حدائق الحقائق

في شرح كلمات كلام الله الناطق

السيد علاء الدين محمد بن أبي تراب گلستانه

المتوفى ١١١٠هـ

ISBN 978-9922-9465-0-4

9 789922 946504

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 3302 لسنة 2020

مصدر الفهرسة : IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC: BP193.1.A2 N375 2020
المؤلف الشخصي : كلستانة الأصفهاني، محمد بن محمد علي، توفي ١١٠٠ للهجرة – مؤلف.
العنوان : حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق /
بيان المسؤولية : السيد علاء الدين محمد كلستانه ؛ تحقيق احمد حميد الشكري، حسن عبد زيد الكربلائي.
بيانات الطبع : الطبعة الأولى.
بيانات النشر : العراق، كربلاء : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠١٨ / ١٤٣٩ للهجرة.
الوصف المادي : ٣ مجلد مادي في ١٠ جزء ببليوجرافي : صور طبق الاصل ؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر : (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٨٠٨).
سلسلة النشر : (مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ ١٩٣).
سلسلة النشر : (سلسلة تحقيق المخطوطات، وحدة تحقيق التراث الروائي ؛١٤).
تبصرة ببليوجرافية : يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
موضوع شخصي : الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة - نهج البلاغة.
موضوع شخصي : علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - خطب.
موضوع شخصي : علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - احاديث.
موضوع شخصي : علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – كلمات قصار.
مصطلح موضوعي : البلاغة العربية.
مصطلح موضوعي : اللغة العربية – الفاظ.
مصطلح موضوعي : اللغة العربية – نحو.
مؤلف اضافي : شرح لـ (عمل) : الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة - نهج البلاغة.
مؤلف اضافي : الشكري، احمد حميد – محقق.
مؤلف اضافي : الكربلائي، حسن عبد زيد – محقق.
اسم هيئة اضافي : العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مؤسسة علوم نهج البلاغة. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

سلسلة تحقيق المخطوطات (١٤)
وحدة تحقيق التراث الروائي

حدائق الحقائق

في شرح كلمات كلام الله الناطق

السيد علاء الدين محمد بن أبي تراب گلستانه
المتوفى ١١١٠هـ

الجزء الأول

القسم الثاني

تحقيق

أحمد حميد عبّاس الشكري

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

العراق - كربلاء المقدسة -مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام
مؤسسة علوم نهج البلاغة
هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣
الموقع الألكتروني: www.inahj.org
الإيميل: Info@Inahj.org

تنويه:

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

تخلي العتبة الحسينية المقدسة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

منها في صفة خَلْق آدم عليه السلام

﴿ثُمَّ جَمَعَ سُبْحانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ، وسَهْلِها، وَعَذْبِها، وَسَبَخها، تُرْبَةً سَنَّها بِالْماءِ، حَتّى خَلَصَتْ، وَلاطَها بِالبِلَّةِ حَتّى لَزَبَتْ﴾[1]

الحَزَن، بالفتح: المكانُ الغليظ الخَشِن، وَالحُزونَة، بالضمِّ: الخُشُونة، والسَهْلُ ضدَّه[2].

والعَذْبُ، بالفتحِ: الَّذي لا مُلوحَةَ فيه[3].

والسَّبخةُ: (الأَرضُ التي تعلوها المُلوحَةُ، ولا تكادُ تُنبِتُ إلَّا بعضَ الشَّجر)[4].

وسَنُّ الماءِ، بالمُهمَلَةِ: صبُّهُ مِن غيرِ تفريقٍ، وَأمَّا الصَّبُّ المُتفرِّق المنقطع فهو الشَّنُّ بالمُعجَمَةِ، قالوا في قوله تعالى: ﴿مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ﴾[5] المسنونُ: المُتغيِّرُ[6]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾[7] في بعض

---

(١) نهج البلاغة: ٢٧ خ١.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (حزن).

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ١٩٥، لسان العرب، مادة (عذب).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٣٣٣، لسان العرب، مادة (سبخ).

(٥) الحجر:٢٦.

(٦) الصحاح، مادة (سنن).

(٧) البقرة:٢٥٩.

الأقوال، وقيل: المسنونُ المَصبُوب[1]، وقيل: (المحكوكِ، مِن سَنَّ الحجر إذا حَكَّهُ)[2]، والأظهرُ في كلامه عليه السلام ما ذكرناه أوّلًا.

وقالَ بعضُ الشَّارحين: سَنَّها بالماءِ، أي: ملَّسهَا[3]، واستشهد بقول عبد الرَّحمن بن حسَّان[4]، حكى الجوهريُّ[5]: (إنَّ يزيد بن معاوية لعنهما الله، قال لأبيه: ألا ترى عبد الرَّحمن بن حسَّان يُشبِّب بأبنتك؟ فقال معاوية: وما قال؟ فقال: قال[6]:

هِيَ زَهْراءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الغَوَّاص ... مـيزَتْ مِـنْ جَـوْهَرٍ مَكْـنونِ

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (سنن).

(٢) مفاتيح الغيب: ١٩/ ١٨٠.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٩٧.

(٤) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار وأمه سيرين بنت شمعون القبطية أخت مارية أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وهبها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان فهو بن خالة إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان عبد الرحمن شاعرا وقد روى عن أبيه، توفي سنة ١٠٤هـ، ينظر ترجمته: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٥/ ٢٦٦، طبقات خليفة، خليفة بن خياط العصفري، تحـ: د. سهيل زكار: ٤٣٨، الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم الرازي: ٤/ ٣٩، شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري، جمع وتحـ: سامي مكي العاني: ٦٠.

(٥) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٦) شعر عبد الرحمن بن حسّان الانصاري: ٦٠، وينظر: في الحماسة البصرية: ٢/ ٢٠٧، تاريخ مدينة دمشق: ٣٤/ ٢٩٦، الشعر والشعراء ١/ ٤٧٤.

فقال معاوية: صدق، فقال يزيد:

وَإِذَا مَا نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونِ

قال: وصدق، قال: فأين قوله:

ثُمَّ خَاصَرْتُهَا اِلَى الْقُبَةِ الخَضْراءِ تَمْشِي فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونِ

فقال معاوية: كَذِبِ.

قوله: خاصِرَتُها، بالخاء المُعجَمَةِ، والصَّادِ المُهملَة)[1].

قال في العين: (فلانٌ مُخَاصِرُ فُلان، أي: أخذَ بيده في المشي بجنبِه، ثُمَّ ذَكَرَ البيت)[2].

وخلصت، بتقديم اللَّام على الصَّاد المُهملَة، أي: صارَت طينة خالِصة، وفي بعض النُّسخ، حتَّى خَضِلَتْ بتقديم الضَّاد المُعجمَة المكسورة، أي: ابْتَلَّ[3]، يُقال: (بَكَوا، حتَّى أَخْضَلّوا لِحاهُم، أي: بلُّوها بالدُّموعِ)[4]، ولعلّه أظهر.

وَلَاطَهَا بِالبِلَّةِ، أي: (جَعَلها مُلتصِقاً بعضها ببعض بسبب البلَّة)[5]،

---

(١) ذكر الحادثة ابن قتيبة في كتابه عندما، تشبيب عبد الرحمن بن حسّان في رملة بنت معاوية: الصحاح، مادة (سنن)، وينظر: في تاريخ مدينة دمشق: ٣٤/ ٢٩٦، الشعر والشعراء ١/ ٤٧٤.

(٢) كتاب العين، مادة (خصر).

(٣) ينظر: بحار الانوار: ١١/ ١٢٣.

(٤) لسان العرب، مادة (خضل).

(٥) بحار الانوار: ١١/ ١٢٣.

ويُقـالُ: (لاطَ الـشَّيء بقلبـي، أي: لَصِـقَ بـه)[1].

ولزَبـت، بالفتـح، أي: لَزِقَـت[2]، قـال الله تعـالى: ﴿**إِنَّـا خَلَقْنَاهُـمْ مِـنْ طِـينٍ لَازِبٍ**﴾[3] قـال ابـن عبَّـاس[4]: الـلَّازِب: (المُلتصـق مِـن الطِـين الحُـرِّ الجَيِّـد)[5]، وقيـل: الـلَّازب، والـلَّازم بمعنـى أُبْدِلَـت مِـن الميـم البـاء.

روى الصَّـدوق[6] في العلـل عـن محمّـد بـن الحلبـي[7] عـن أبي عبـدالله عليه السلام قـال: «**إِنَّ القَبضَـةَ الَتِـي قَبَضَهَـا اللهُ عَـزَّ وَجَـلَّ مِـنَ الطِّـينِ الَّـذِي خُلِـقَ مِنـهُ آدَمَ أَرسَـلَ إِلَيهَـا جبرَئِيـلُ عليه السلام أَن يَقبَضَهَـا، فَقَالَـت الأَرضُ: أَعُـوذُ بِـالله أَن تَأخُـذَ مِنِّـي شَـيئاً، فَرَجَـعَ إِلَى رَبِّـهِ، فَقَـالَ: يَـا رَبِّ تَعَـوَّذَت بِـكَ مِنِّـي، فَأَرسَـلَ إِلَيهَـا إِسرَافِيـلُ، فَقَالَـت مِثـلُ ذَلِـكَ، فَأَرسَـلَ إِلَيهَـا مِيكَائِيـلُ، فَقَالَـت مِثـلُ ذَلِـكَ، فَأَرسَـلَ إِلَيهَـا مَلَـكُ [٤٩: ظ] المَـوتِ، فَتَعَـوَّذَت بِـالله أَن يَأخُـذَ مِنهَـا شَـيئاً، فَقَـالَ مَلَـكُ المَـوتِ: وَأَنَـا أَعُـوذُ بِـاللهِ أَن أَرجِـعَ إِلَيـهِ حَتَّـى أَقبَـضَ مِنـكِ**»[8].

---

(١) لسان العرب، مادة (لاط).

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ٢٤٨.

(٣) الصافات: ١١.

(٤) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٥) التبيان في تفسير القرآن: ٨/ ٤٨٦.

(٦) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٧) محمد بن الحلبي، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، وروى عنه ابن مسكان، ينظر: معجم رجال الحديث: ١٧/ ٤٠، المفيد من معجم رجال الحديث: ٥٢١.

(٨) علل الشرائع: ٢/ ٥٧٩ ح ٩.

وفي رُواية القُطب الرَّاوندي[1] رحمه الله في القَصص: (أَنَّ الله تَعَالىَ لَمَّا أَرسَلَ إسرَافِيلَ، ومِيكَائيلَ خَيَّرَهُمَا، ثُمَّ أرسَلَ مَلَكَ المَوتِ، فَأَمَرَهُ عَلَى الحَتْم)[2].

وروي في العلل في خبر ابن سلام[3]: أنَّه سأل النَّبيّ صلى الله عليه وآله عن: آدم لِمَ سُمِّي آدم؟ قال: (لأَنَّهُ خُلِقَ مِن طِينِ الأَرضِ، قال: فآدم خُلِقَ مِن الطِّين كلِّه، أو مِن طينٍ واحدٍ؟ قال: بَل مِن الطِّينِ كُلِّهِ، ولَو خُلِقَ مِن طِينٍ، واحِدٍ، لَما عَرَفَ النَّاسُ بَعضَهُم بَعضاً، وَكَانُوا عَلَى صُورَةٍ وَاحِدَةٍ، قال: فلهم في الدُّنيا مثلٌ؟ قال: التُّرَابُ فِيهِ أَبيَضُ، وَفِيهِ أَخضَرُ، وَفِيهِ أَشقَرُ، وَفِيهِ أَغبَرُ، وَفِيهِ أَحمَرُ، وَفِيهِ أَزرَقُ، وَفِيهِ عَذبٌ، وَفِيهِ مِلحٌ، وَفِيهِ خَشِنٌ، وَفِيهِ لَيِّنٌ، وَفِيهِ أَصهَبُ؛ فَلِذَلِكَ صَارَ النَّاسُ فِيهِم لَيِّنٌ، وَفِيهُم خَشِنٌ، وَفِيهِم أَبيَضُ، وَفِيهُم أَصفَرُ، وَأَحمَرُ، وَأَصهَبُ، وَأَسوَدُ، عَلَى أَلوَانِ التُّرَابِ)[4].

﴿فَجَبَلَ مِنْها صُورَةً ذات أَحْناءٍ، وَوُصُولٍ، وأَعْضاءٍ، وَفُصُولٍ﴾[5]

---

(١) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٢) قصص الأنبياء: ٤٥ ح ٤.

(٣) أبو يوسف، عبد اللهَّ بن سلام بن الحارث الإسرائيلّي، حليف بني عوف بن الخزرج كان اسمه في الجاهليّة الحصين، فسمّاه رسول اللهَّ صلى الله عليه وآله، حين أسلم: عبد اللهَّ، وشهد له بالجنة، وكان إسلامه حين قدم النّبيّ صلى الله عليه وآله المدينة مهاجرا، روى عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، وروى عنه ابناه: يوسف ومحمّد، وأنس بن مالك وزرارة بن أوفى مات سنة ٤٣ هـ، ينظر: تهذيب التهذيب:٥/ ٢٢٠، أسد الغابة في معرفة الصحابة:٣/ ٢٦٥، إسعاف المبطأ برجال الموطأ، جلال الدين السيوطي، تحـ: موفق فوزي جبر: ٥٨.

(٤) علل الشرائع: ٢/ ٤٧١ ح ٣٣.

(٥) نهج البلاغة: ٢٩ خ١.

جَبَلَ، بالفتح، أي: خَلَقَ [1]، والأَحْنَاءِ: الأطراف، جمعُ حِنْوٍ بالكسر [2]،

والوُصُولُ: هي الفصول باعتبارين. رُوي في العلل [3] عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ** عليه السلام، **وبَقِيَ جَسَدُهُ أَربَعِينَ سَنَةٍ مُلقًى، تَمُرُّ بِهِ المَلَائِكَةُ، فَتَقُولُ: لِأَمرِ مَا خُلِقتَ**» [4].

﴿أَجْمَدَها، حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَها، حَتّى صَلْصَلَتْ لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وأَجَلٍ مَعْلُومٍ﴾ [5]

أي: جَعلهَا جامِدَةً، حتَّى لَزِقَت أجزاؤها، فلا تتفرَّق بسهُولةٍ.

وأَصْلدها، أي: جَعَلَها صُلْبَةً، والصَّلْدُ مِن الحَجَرِ: الصَّلبُ الأملس [6]، وَصلْصَلَتْ، أي: صارت صَلْصَالاً، قال اللهُ تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**﴾ [7].

قال أبو عُبيدَة [8]: الصَّلصَالُ: الطِّيْن الحُرِّ خُلِط بالرّمل فصارَ يتصَلْصَلُ

---

(١) ينظر: الصحاح، مادة (جبل).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (حنا).

(٣) علل الشرائع: ٢/ ٢٧٥ ح ٢.

(٤) علل الشرائع: ٢/ ٢٧٥ ح ٢.

(٥) نهج البلاغة: ٢٩ خ١.

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة (صلد).

(٧) الحجر:٢٦.

(٨) ينظر ترجمته في القسم الأول.

إذا جَفَّ، فإذا طُبِخَ بالنَّارِ فهو الفَخَّار [1]، ويتصلصلُ، أي: يُصوِّت، قيل: كانت الرِّيحُ إذا مرَّت به سُمِعَ له صَلصَلة، فلذلك سمَّاهُ اللهُ تعالى صَلصَالاً[2]، وقيل: الصَّلصالُ: المُتغيِّرُ، وقيل: الصَّلصالُ: الطِّينُ اليابس يُصلصِل، أي: يُصَوِّت إذَا نُقِر[3].

واللَّام في قوله عليه السلام: [لوقت][4] يحتملُ أن تكونَ مُتعلِّقةٌ بمحذوفٍ، أي: كائنةٍ لوقتٍ، فَينفَخُ حينئذٍ رُوحَهُ فيه.

ويُحتمَلُ تَعلُّقه "بجَبَلٍ"[5]، أي: خَلَقَ هذه الصُّورة لِوقتِ نفخِ الرُّوح، أو لِيومِ القيامةِ، ويُمكن أن يكون الوقت مُدَّة الحياة، والأجلُ مُنتهاها، أو يوم القيامة[6]، ووصَفَ الوقت بالمعدود باعتبار الأجزاء.

﴿ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ﴾[7]

الإضافةُ إلى ضميره سُبحانه للتَّشريف المَفهومِ مِنَ الاختصاص، كما رواه في الاحتجاج عن محمَّد بن مسلم [8]، قال: (سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن قول

---

(١) ينظر: مجاز القرآن، تحـ: د. محمد فؤاد سزگين:٢/ ٢٤٣

(٢) ينظر: بحار الانوار: ٧٤ / ٣٠٣.

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (صل).

(٤) في نسخة (ب).

(٥) في نسختي (ب ج): بحبل.

(٦) ينظر: بحار الانوار: ١١/ ١٢٣.

(٧) نهج البلاغة: ٢٩ خ١.

(٨) ينظر ترجمته القسم الأول.

الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[1]، كيف هذا النفخ؟ فقال: «**إِنَّ الرُّوحَ مُتَحَرِّكٌ كَالرِّيحِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ رُوحاً؛ لأَنَّهُ اشتُقَ اسمُهُ مِنَ الرِّيحِ، وَإِنَّمَا أَخرَجَهُ عَلَى لَفظِ الرُّوحِ؛ لَأَنَّ الرُّوحَ مُتَجَانِسٌ لِلرِّيحِ، وَإِنَّمَا أَضَافَهُ إِلَى نَفسِهِ؛ لأَنَّهُ اصطَفَاهُ عَلَى سَائِرِ الأَرواحِ، كَمَا اصطَفَى بَيتاً مِن البُيوتِ، فقال: بيتي، وَقَالَ لِرَسُولٍ مِنَ الرُّسُلِ: خليلي، وَأَشبَاهُ ذَلِكَ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَخلُوقٌ مَصنُوعٌ مَربُوبٌ مُدَبَّرٌ**»)[2].

وعن محمَّد بن مسلم[3]، قال: سألتُ أبا جعفر عليه السلام عمَّا رُوي: (**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ؟ فقال: «هِيَ صُورَةٌ مُحدَثَةٌ مَخلُوقَةٌ، اصطَفَاهَا اللهُ، وَاختَارَهَا عَلَى سَائِرِ الصُّوَرِ المُختَلِفَةِ، فَأَضَافَهَا إِلَى نَفسِهِ، كَمَا أَضَافَ الكَعبَةَ إِلَى نَفسِهِ، وَالرُّوحَ إِلَى نَفسِهِ، فَقَالَ: بَيتِي، فقال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾**»)[4]، وهاتان [٥٠: و] الرِّوايتان رواهما محمّد بن يعقوب الكليني[5] (قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ) عن محمّد بن مسلم[6]، قوله عليه السلام في الخبر الأوَّل[7]، وإنَّما أخرجه على لفظ الرُّوح، يَحتمِلُ أن يكون المُرادُ به تعليلُ التَّعبيرِ عن إيجاده في البَدَن بلفظ

---

(١) من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ الحجر: ٢٩.

(٢) الكافي: ١/ ١٣٤ ح ٤، الاحتجاج: ٢/ ٥٦.

(٣) ينظر ترجمته القسم الأول.

(٤) الكافي: ١/ ١٣٤ ح ٤، الاحتجاج: ٢/ ٥٦.

(٥) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٦) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٧) ينظر: الكافي: ١/ ١٣٣ ح ٣.

النَّفخِ الَّذي يُناسِبُ الرِّيح.

ورَوى الحميريُّ[1] في قُربِ الإسناد عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام قال: «إنَّ رُوحَ آدَم عليه السلام لَمَّا أُمِرَت أَن تَدخُلَ فِيهِ فَكَرِهَتْهُ، فَأَمَرَهَا أَن تَدخُلَ كَرهَاً، وَتَخرُجَ كَرهَاً»[2]. وفي تفسير عليِّ بن إبراهيم[3] في قوله تعالى: ﴿**خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ**﴾[4] قال: (لَمَّا أَجرَى اللهُ الرُّوحَ مِن قَدَمَيهِ، فَبَلَغَت رُكبَتَيهِ،

---

(١) أبو العباس، عبد اللهَّ بن جعفر الحميري القمّي، شيخ القمّيين، ووجههم، ومصنّف كتب قرب الإسناد إلى الرضا، وإلى الجواد، وإلى المهديّ عليهم السلام، أدرك الامامين أبا الحسن الهادي، وأبا محمّد العسكري عليهما السلام، وروى عنهما، وروى أيضاً عن: إبراهيم بن مهزيار، وأيوب بن نوح بن درّاج النخعيّ، وآخرين، روى عنه: ابنه محمد، ومحمد بن أحمد بن يحيى الأشعري القمّي، وغيرهم. قدم الكوفة سنة نيف، وتسعين، ومائتين، وسمع منه أهلها أحاديث أهل البيت عليهم السلام، صنّف كتباً كثيرة، يُعرف منها: الإمامة، الدلائل، العظمة والتوحيد، الغَيبة والحيرة، فضل العرب، التوحيد، والبداء، والإرادة، والاستطاعة، والمعرفة، قرب الإسناد إلى الرضا عليه السلام، قرب الإسناد إلى أبي جعفر ابن الرضا عليهم السلام، قرب الإسناد إلى صاحب الامر عليه السلام، توفي سنة: ٢٠٣هـ، ينظر ترجمته: تاريخ آل زرارة، أبو غالب الزراري: ٢١٣، شرح تكملة رسالة أبي غالب الزراري في آل أعين، الغضائري: ١١٦، رجال الطوسي: ٣٨٩، موسوعة طبقات الفقهاء: ٤/ ٢٣٦.

(٢) قرب الإسناد، تحـ: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث: ٧٩ ح ٢٥٧.

(٣) ينظر ترجمته صفحة في القسم الأول.

(٤) من قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ﴾ الانبياء: ٣٧.

أَرَادَ أن يَقُومَ فَلَم يَقدِر، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[1])[2].

واعلم: إنَّه قد اختُلِفَ في حقيقة الرُوح التي هي النَّفسُ النَّاطِقة على أقوالٍ مُتكثِرَةٍ، والمشهورُ منها أربعةَ عشر منها:

إنَّها غيرُ داخِلَةٍ في البدنِ بالجُزئيَّة، والحُلولُ مجرَّدةً عن اللَّواحق المادِّيَّة، مُتعلِّقَةٌ بالبدن تعلُّقَ التَّدبيرِ، والتَّصرُّف، وهو مُختارُ الحُكماء، وكثيرٌ مِن مُتكلِّمي أصحابنا، كالشَّيخ المُفيد[3] رحمه الله، والمُحقِّقُ الطُّوسّي[4]، والعلَّامة

(١) الانبياء:٣٧.

(٢) تفسير القمي: ٢/ ٧١.

(٣) أبو عبد الله، محمد بن محمد بن نعمان بن عبد السلام بن جابر بن نعمان بن السعيد العربي الحارثي، العكبري الأصل البغدادي النشأة والتحصيل، والملقب بالمفيد،، واشتهر بابن المعلم لما كان تلقب أبيه بالمعلم، وهو من أركان فقهاء المذهب الامامي، ومتكلميهم، عابد زاهد متقي، وقد برع في الفقه وجمع في الأصول إلى النهاية وهو متكلم جدلي ومحدث رجالي، حاو للفضائل العلمية والعملية وجامع للكمالات النفسانية، حاضر الجواب وكثير الرواية وخبير في الأشعار والأخبار ولد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وله قريب من مائتي مصنّف قيمة كبار وصغار، منها: الارشاد، والردّ على الجبائي في التفسير، والكلام في دلائل القرآن، و المسائل العكبرية، في تفسير الآيات المتشابهات القرآنية، توفّي في بغداد لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٤١٣هـ، ينظر ترجمته: قاموس الرجال: ٩/ ٥٥٢، كشف الحجب والأستار: ٣٨، شرح إحقاق الحق:٧/ ٤٠٨، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٥/ ٢٢٨.

(٤) ينظر ترجمته في القسم الأول

الحُلِّي[1]، وذهب إليه، مِن الأشاعِرَة الرَّاغب الأصفهاني[2]، والغزَّالي[3]، والفخرُ الرَّازي[4].

ورُوي: إنَّ الشَّيخ المُفيد[5] رحمه الله رجع عن هذا القول في أواخِر عُمره، وتَابَ عن التديُّن به، ومنها: إنَّها هواءٌ مُتردِّدٌ في مخارِق الحيِّ الَّذي لا يُثْبِتُ كونه حيَّاً

---

(١) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٢) ابو القاسم، الحسين بن محمد بن المفضل الشافعي الراغب الأصفهاني، أديب من أهل أصفهان سكن بغداد واشتهر حتى ذكر الفخر الرازي أنّه من أئمّة السنّة وقرنه بالغزالي، له تصانيف قيّمة منها: محاضرات الأدباء، والذريعة إلى مكارم الشريعة، والمفردات في غريب القرآن وهو من أجل كتبه وأجزلها فائدة وهو في الواقع تفسير جامع لما ورد في القرآن الكريم من الكلمات الصعبة توفّ الراغب سنة ٥٠٢. ينظر: كشف الظنون: ١/ ٣٦،، الكنى والالقاب: ٢/ ٢٦٨، الأعلام: ٢/ ٢٥٥.

(٣) أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الملقب حجة الاسلام الطوسي الفقيه الشافعي، وربانى الأمة بالاتفاق،، مجتهد زمانه وعين وقته وأوانه، قيل: لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره له مصنفات قيمه أشهرها: كتاب البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة في الفقه والجام العوام من علم الكلام والتبر المسبوك في نصيحة الملوك والمنقذ من الضلال والأجوبة الغزالية ومنهاج العابدين واحياء علوم الدين وهو من أنفس كتبه وتوفي بقزوين سنة ٥٢٠، ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٣٢٣، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ابن الدمياطي، تحـ: مصطفى عبد القادر عطا: ٢٧، الكنى والالقاب: ٢/ ٤٩٥.

(٤) ينظر ترجمته في القسم الأول، وينظر في هذه الآراء: مجمع البحرين: ٢/ ٣٥٧، علم الإمام، كمال الحيدري: ٢٢٩.

(٥) ينظر ترجمته في القسم الأول

إلَّا مع تردُّده، وإليه ذهبَ السيِّدُ المُرتضى[1] رضي الله عنه في بعضِ رسائله، وجماعةٌ[2].

ومنها: أنَّها أجسامٌ نورانيَّة سماويَّة، لطيفةُ الجوهرِ، على طبيعة ضوءِ الشَّمس، وهي لا تقبل التَّحليل، و"التَّبديل"[3]، والتفرُّق، والتمزُّق، وهي تنفُذُ في البدن "نفوذَ"[4] دُهن السُّمسُّم في السُّمسُّم، وماءِ الوَردِ في الوَردِ[5].

---

(١) أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - صلوات الله عليهم أجمعين - ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحد في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، وكان متكلما شاعرا أديبا عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا صنف كتبا، منها: كتاب الموضح عن جهة إعجاز القرآن وهو الكتاب المعروف بالصرفة، وكتاب الملخص في أصول الدين، كتاب الذخيرة، كتاب جمل العلم والعمل، كتاب تقريب الأصول، الرد على يحيى بن عدي، كتاب الرد على يحيى أيضا في اعتراضه دليل الموحدين في حدث الأجسام، الرد عليه في مسألة سماها طبيعة المسلمين، مسألة في كونه تعالى عالما، مسألة في الإرادة، مسألة أخرى في الإرادة، كتاب تنزيه الأنبياء والأئمة عليهم السلام، توفي رضي الله عنه لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وصلى عليه ابنه في داره ودفن فيها، ينظر ترجمته: إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان، العلامة الحلي، تحـ: الشيخ فارس الحسون:٢/ ٢٣٥، الفصول العشرة، الشيخ المفيد:١٤، رجال النجاشي: ٢٧٠، الفهرست، الشيخ الطوسي: ١٦٤، خلاصة الأقوال: ١٧٩.

(٢) ينظر: رسائل الشريف المرتضى: ٣٠.

(٣) في نسخة (ب): التدبير.

(٤) في نسخة (ج): نفود.

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢١/ ٤٤.

وقيل: المُرادُ بها الرُّوحُ الحيوانيُّ، ومنها: إنَّها النَّارُ، والحرارةُ الغَريزيَّة، ومنها: إنَّها هذا الشَّكلُ المحسوسُ، المُعبَّرُ عنه بالبدن، ومنها: إنَها القلبُ، أعني العضو الصُّنوبري، ومنها: إنَّها الدِماغ، ومنها: إنَّها أجزاءٌ لا يتجزأ في الدِّماغ، أو في القلبِ، ومنها: إنَها الأعضاءُ الأصليَّة المُتولِّدةُ مِن المَنِي، وَمنها: إنَّها المِزاجُ الحاصِلُ مِن تفاعُل العناصر، ومنها: إنَّها صُورةٌ نوعيَّة قائمةٌ بمادَّة البدنِ، وهو مذهَبُ الطَّبِيعيِّنَ، ومنها: إنَّها الأركانُ الأربعة، ومنها: إنَّها الماءُ، ومنها: إنَّها هو الواجِبُ، تعالى عمَّا يقولون عُلوَّاً كبيراً[1]، ولعلَّ منشأ تَوهُم الذَّاهبين إلى الاخير الآيةُ المذكورةُ، وأشباهها.

وكان مَا، وقعَ في بعضِ الأخبارِ: مِن أنَّ الرُّوح مخلوقةٌ للردِّ عليهم، وروى محمّد بن يعقوب الكليني[2] رحمه الله عن الأحول، قال: سألتُ أبا عبدالله عليه السلام عن الرُّوح التي في آدم قوله: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِين**﴾[3]، قال: «هَذِهِ رُوحٌ مخلُوقَةٌ، وَالتِي فِي عِيسَى مخلُوقَةٌ»[4]، وروى الشَّيخ الطَّبرسيِّ في الاحتجاج عن حمران بن أعين[5]، قال: سألتُ أبا جعفر

(١) والجدير بالذكر ان العلامة المجلسي ذكر هذه الآراء نقلًا عن المحقق القاسني بالتفصيل. ينظر: بحار الانوار: ٥٨/ ٧٥

(٢) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٣) الحجر:٢٩.

(٤) الكافي: ١/ ١٣٣ ح ١.

(٥) أبو الحسن، حمران بن أعين الشّيبانّي: أخو زرارة، من أكابر مشايخ الشيعة، ورد مدحه من قبل الأئمة عليهم السلام، وقد خاطبه الإمام الباقر عليه السلام بقوله: (أنت من شيعتنا في الدّنيا والآخرة). وروى الكشّي في رجاله روايات في مدحه. عدّة الشّيخ في رجاله

عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[1]، قال: «**هِيَ مَخْلُوقَةٌ، خَلَقَهَا اللهُ بِحِكْمَتِهِ فِي آدَم، وَفِي عِيسَى** عليهما السلام»[2].

ولا يخفى أنَّ الظَّاهر مِن الأخبارِ تجسُّم الرُّوح، والدَّلائلُ العقليَّةُ على تجرُّدِها لا تخلو عن ضعفٍ، واللهُ أعلم.

﴿فَمَثُلَتْ إِنْسَانَاً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُها، وفِكَرٍ يَتَصَّرفُ فِيهَا، وَجَوارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا﴾[3]

مثُلَت، بضمِّ المثلثَة - كما في النُّسخ - وكذلك بفتحِها، أي: قامَتْ مُنتصِباً، ويُقالُ: مِثل إذا زالَ عن موضعِه، والفاعلُ ضميرُ الصُّورةِ[4].

وإنساناً [٥١: ظ] منصوبٌ على الحاليَّة [، أو الخبريَّة، بتضمين الفعل

من أصحاب الإمامين الباقر والصّادق عليهما السلام، يتظر: الرجال، الطوسي: ١٣٢، رجال الكشّيّ: ١٧٦، خلاصة الأقوال: ١٣٤.

(١) من قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾ النساء: ١٧١.

(٢) الاحتجاج: ٢/ ٥٦.

(٣) نهج البلاغة: ٢٩ خ١.

(٤) شرح نهج البلاغة: ١/ ١٦٩.

معنى النَّاقصة، كما قيل في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[1]][2].

وفي بعضِ النُّسخ: فمُثِّلَتْ، بتشديد المُثلَّثة على صيغةِ المُؤنَّث المجهول، قال ابنُ الأثير[3]: تقولُ: (مثَلْتُ، بالتَّثقيلِ، والتَّخفيف، إذا صَوَّرْتَ مِثالًا، ومنه الحديث: (رَأيتُ الجَنَّةَ، والنَّارُ مُمَثَّلِينَ فِي الجِدَارِ)[4].

والإنسانُ على قول الجوهري[5] هو: الإنس، أي: البَشُر، بزيادَة الألف، والنُّون، قال: وَيُجمَعُ على أناسيِّ، فتكونُ الياءُ عِوضَاً عن النُّونِ، وتقديرُ إنسانٍ فِعْلان، وإنَّما زِيدَ في تصغيره، ياء، كما زيدَ في تصغير رجُلٍ، فقيل: رُويجِل[6].

وقال في العين: سُمِّي الإنسانُ مِن النِّسيان، والإنسانُ في الأصلِ: إِنْسِيانٌ؛ لأنَّ جماعته: أَناسيُّ، وتصغيره أُنَيْسِيان، يرجع المَدَّة التي حُذِفَت، وهو الياء،

وكذلك إنسانُ العين، جمعه: أناسيِّ[7]، قال[8]: [من الطويل]

---

(١) من قوله تعالى: ﴿اتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ مريم:١٧.

(٢) في نسخة (ب).

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول

(٤) النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٢٩٥.

(٥) ينظر ترجمته في القسم الأول

(٦) ينظر: الصحاح، مادة (أنس).

(٧) ينظر: كتاب العين، مادة (نسي).

(٨) وصدر البيت: ذَا اسْتَوْجَسَتْ آذَانَهُا اسْتَأْنَسَتْ لَهَا

أَنَاسِيُّ مَلْحُودٍ لَهَا فِي الْحَوَاجِبِ

يَصِفُ إبِلاً غارت عُيونُها مِن التَّعبِ، والسَّير.

وقال الزَّوزنيُ [١]: أَنَاسِيُّ، جمعُ إنسانٍ العيُن مُشدَّد، والآخرُ يُخَفَّف، ويُشدَّد[٢].

وحكى الشَّيخ في التِّبيانُ[٣] عن ابن عبَّاس[٤]، أنَّه قال: إنَّما سُمِّي إنساناً؛ لأنَّه عُهِدَ إلَيهِ فَنَسِي، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**﴾[٥])[٦].

ورَوى الصَّدوق[٧] رحمه الله في العلل عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (سُمِّيَ الإنسَانُ إنسَاناً؛ لأنَّه يَنسَى، وقال اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ**﴾[٨])[٩].

ينظر: ديوان ذو الرمة، تح: أحمد حسن بسج: ٣٤.

(١) لم اقف عليه.

(٢) لسان العرب، مادة (انس).

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول

(٤) ينظر ترجمته في القسم الأول

(٥) طه:١١٥.

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٧/ ٢١٣.

(٧) ينظر ترجمته في القسم الأول

(٨) من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىَ آدم مِنْ قَبْلُ فَنَسَيِ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ طه:١١٥.

(٩) علل الشرائع: ١/ ١٥ ح ١.

وفي معاني الأخبار مُرسَلاً: (مَعنَى الإِنسَانُ: أَنَّهُ يَنسَى، وَمَعنَى النِّسَاءُ: إِنَّهُنَّ إِنسٌ لِلرِّجَالِ)[1].

والذِّهنُ: (الفِطْنَةُ، والحِفْظُ)[2]، ولعلَّ المُراد هاهنا: القِوى المُدرِكَة[3]، ويُمكِن أن يكونَ المُرادُ: الفِطنَةُ، والجَمعُ باعتبار الموادِّ، وتعدُّد آثارها باعتبارها.

والإجالةُ: الإدارة، والتَّحريكُ مِن الجَوَلان، والفِكَر، جمعُ فِكرَة، بالكسر: وهي الاسمُ مِن التَّفكُّر: التأمُّل، وفي بعضِ النُّسخِ: ﴿يتصرّف بها﴾[4]، فيُمكِن أن يكونَ المُرادُ بالفكرِ: القُوَى، والمبادئ التي بها تتحصَّلُ المطالِب.

ويختدَمُها، أي: (يَستَخدِمُها)[5]، والأدواتُ: أمَّا الجوارح، فالفِقرَةُ كالتَّفسيرِ لِسَابِقها، أو أعمُّ منها، ومِنَ القُوى.

﴿وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الحَقِّ، والبَاطِلِ، وَالأَذْوَاقِ، والمُشَامِّ، والأَلْوانِ، والأَجْناسِ﴾[6]

يَفْرُقُ: بِضمِّ الرَّاءِ، مِن قولهم: (فَرَقتُ بَينَ الشَّيئينِ، أَفرُقُ فَرقاً،

---

(١) معاني الأخبار، الصدوق، تحـ: علي اكبر غفاري: ٤٨ ح ١.

(٢) الصحاح، مادة (ذهن).

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ١٧٠.

(٤) نهج البلاغة: ٢٩ خ١.

(٥) اختيار مصباح السالكن، ابن ميثم البحراني:٧١.

(٦) نهج البلاغة: ٢٩ خ١.

وفُرْقانـاً)[1]، وفي بعـضِ النُّسـخِ: يفـرّق بالتَّشـديد، ولعـلَّ الأوَّل أظهـرُ.

والأَذْواقُ: جمـعُ ذوقٍ، وهـو في الأَصْـلِ مَصْـدرٌ، والظَّاهـرُ: أنَّ المُـراد بـهِ الطَّعـمُ[2]، والمَشَـامُّ: الرَّوائـحُ[3].

المُرادُ بالمعرِفَـةِ: إمَّـا إدراكُ النَّفس النَّاطِقَـة بنـاءً عـلى كونهـا هـي "المُدرِك"[4]، مُطلقـاً، أو أعـمُّ مِـن إدراكهـا، وإدراكُ القُـوى الجُزئيَّـة فوحـدَةُ المعرِفـةِ جنسيَّتُهُ[5].

﴿مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْأَلْوانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَشْباهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالْأَضْدادِ الْمُتَعادِيَةِ، وَالْأَخْلاطِ الْمُتَباينَةِ، مِنَ الْحَرِّ، وَالْبَرْدِ، وَالْبِلَّةِ، وَالْجُمُودِ، وَالْمَساءَةِ، وَالسُّرُورِ﴾[6]

مَعجونـاً، صفـةٌ لقولـه عليه السلام: إنسَـانَاً، أو حـالاً عنـه، والطِّينـةُ أخـصُّ مِـن الطِّـينِ، وَطينَـةُ الإنسـانِ خَلْقُـهُ، وجِبِلَّتُـه[7]، والظَّاهـرُ: إنَّ المُـراد بِالألـوانِ: الأنـواع[8]، والبِلَّـةُ، بالكسـرِ: النَّـداوة[9][10].

---

(١) الصحاح، مادة (فرق).

(٢) لسان العرب، مادة (ذوق).

(٣) ينظر: المصدر نفسه، مادة (شمم).

(٤) في نسخة (ب): المدركة.

(٥) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٦٣.

(٦) نهج البلاغة: ٢٩ خ١.

(٧) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٢٤، ح١٠٧.

(٨) ينظر: مرآة العقول في شرح اخبار آل الرسول: ٤/ ٢٩٢.

(٩) النداوة: التي بقيت في يدك من وضوئك. فقه الرضا، علي ابن بابويه الصدوق القمي: ٨٠.

(١٠) ينظر: الصحاح، مادة (بلل).

﴿وَاسْتَأْدَى اللهُ سُبْحانَهُ، وتَعَالَى المَلائكَةَ وَديعَتَه لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهم فِي الْإِذْعَانِ بالسّجُودِ لَهُ، والخُنُوعِ لِتكْرِمتِه﴾[1]

استأدى وديعته، أي: طَلَبَ أداءَها[2]، والعَهْدُ: المعهودُ المعروفُ الَّذي عاهَدُوا عليه، أو الوصَّيةُ، ومنه العَهد: الَّذي يُكتَبُ للوُلاةِ، وعهدتُ إليه، أي: أوصيتُه[3]، أو رعايةُ الحُرمَة، والحِفاظ،

والإذعانُ: الذُّلُّ، والخُضوع[4] [٥٢: و]، وكذا الخُنُوع.

والتَّكرِمَةُ: مصدرُ كرم كالتَّكريم، ولكنَّ التَّفعيل في غيرِ النَّاقصِ قياسيٌّ مُطَّردٌ، والتَّفعلة كثيرةٌ، لكنَّها مسموعةٌ، وكذا في المهموزِ اللَّام نحو تَخْطِئَة.

وعن سيبويه: أنَّ تَفْعِلةً لازمٌ في المهموزِ اللَّام، كما في النَّاقِص[5]، وتكونُ التَّكرمة: (للموضِعِ الخاصِّ لجُلوسِ الرَّجُلِ مِن فراشٍ أو سريرٍ، مِمَا يُعدُّ لإكرامه)[6].

ووديعتُه سُبحانه، ووصيَّتُه: ما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي

---

(١) نهج البلاغة: ٢٩ خ١.

(٢) ينظر: بحار الانوار: ٦٠/ ٢١٣.

(٣) ينظر: الصحاح، مادة (عهد).

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (ذعن).

(٥) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١/ ١٦٤.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ١٦٨.

فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1].

روى عليٌّ بن إبراهيم في التَّفسير بإسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن آبائه، عن عليٍّ عليه السلام قال: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَرَادَ أن يَخلُقَ خلقاً بِيَدِهِ، وَذَلِكَ بَعدَ مَا مَضَى مِنَ الجِنِّ، والنَّسنَاسِ فِي الأَرضِ سَبعَةَ آلَافِ سَنَةٍ، وَكَانَ مِن شَأنِهِ خَلقُ آدَم كَشَطَ – كَشَفَ – عَن أطبَاقِ السَّمَاوَاتِ، وَقَالَ لِلمَلَائِكَةِ: انظُرُوا إِلَى أَهلِ الأَرضِ مِن خَلقِي مِنَ الجِنِّ، والنَّسنَاس.

فَلَمَّا رَأَوا مَا يَعمَلون فِيهَا مِنَ المَعَاصِي، وَسَفكِ الدِّمَاءِ، وَالفَسَادِ فِي الأَرضِ بِغَيرِ الحَقِّ، عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيهُم، وَغَضِبُوا لله، وَأَسِفُوا عَلَى أَهلِ الأَرضِ، وَلَم يَملِكُوا غَضَبِهِم، فَقَالُوا: رَبَّنَا، أَنتَ العَزِيزُ القَادِرُ، الجَبَّارُ، القَاهِرُ، العَظِيمُ الشَّأنِ، وَهَذا خَلقُكَ الضَّعِيفُ الذَّلِيلُ، يَتَقَلَّبُونَ فِي قَبضَتِكَ، وَيَعِشُونَ بِرِزقِكَ، وَيَستَمتِعُونَ بِعَافِيَتِكَ، وَهُم يَعصُونَكَ بِمثلِ هَذِه الذُّنُوبِ العِظَامِ، لَا تَأسَف عَلَيهِم، وَلَا تَغضَب، وَلَا تَنتَقِمُ لِنَفسِكَ لِمَا تَسمَعُ مِنهُم، وَتَرَى، وَقَد عَظُمَ ذَلِكَ عَلَينَا، وأكبَرنَاهُ فِيكَ، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ المَلَائِكَةِ، قَالَ: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[2] يَكُونُ حُجَّةٌ لِي فِي أَرضِي عَلَى خَلقِي، فَقَالَت المَلَائِكَةُ: سُبحَانَكَ ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا**﴾[3] كَمَا أَفسَدَت بَنُو الجَانِّ،

---

(١) ص: ٧١-٧٢.

(٢) من قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٣٠.

(٣) من قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ

وَيَسفِكُونَ الدِّمَاءَ كَمَا سَفَكَت بَنُو الجَانِّ، وَيَتَحَاسَدُونَ، وَيَتَبَاغَضُونَ، فَاجعَل ذَلِكَ الخَلِيفَةَ مِنَّا؛ فَإِنَّا لَا نَتَحَاسَد، وَلَا نَتَبَاغَض، وَلَا نَسفِكُ الدِّمَاءَ، وَنُسَبِّحُ بِحَمدِكَ، وَنُقَدِّسُ لَكَ، فَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿**قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[1] إِنِّي أُرِيدُ أن أخلُقَ خَلقاً بِيَدِي، وَأَجعَلَ مِن ذُرِّيَّتِهُ أَنبِيَاءَ، ومُرسَلِينَ، وَعِبَاداً صَالِحِينَ، وَأَئِمَّةً مُهتَدِينَ، وَأجعَلَهُم خَلَفَاءَ فِي أَرضِي عَلَى خَلقِيَ، يَنهَونَهُم عَن مَعصِيَتِي، وَيُنذِرُونَهُم مِن عَذَابِي، وَيُهدُونَهُم إِلَى طَاعَتِي، وَيَسلِكُونَ بِهِم طَرِيقَ سَبِيلِي، وَأجعَلَهُم لِيَ حُجَّةً عَلَيهُم، وَعُذرَاً، وَنَذِرَا، وَأبِيرَ النَّسنَاسَ عَن أَرضِي، وَأُطَهِرُهَا مِنهُم، وَأَنقُلُ مَرَدَةِ الجِنِّ العُصَاة عَن بَرِيَتِي، وخَلقِيَ، وخَيرَتِي، وَأُسكِنَهُم فِي الهَوَاءِ، وَفِي أَقطَارِ الأَرضِ، فَلَا يُجَاوِرُونَ نَسلَ خَلقِيَ، وَأَجعَلُ بَينَ الجِنِّ، وبَينَ خَلقِي حِجَابَاً، فَلَا يَرَى نَسلُ خَلقِيَ الجِنّ، وَلَا يُجَالِسُونَهُم، وَلَا يُخَالِطُونَهُم، فَمَن عَصَانِي مِن نَسلِ خَلقِيَ الَّذِينَ اصطَفَيتَهُم، أَسكَنتُهُم مَسَاكِنَ العُصَاةِ، وَأَورَدتُهُم مَوارِدَهُم، وَلَا أُبَالِي.

قَالَ: فَقَالَت المَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا، افعَل مَا شِئتَ: ﴿**سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾[2]، قَالَ: فَبَاعَدَهُم اللهُ مِنَ العَرشِ مَسِيرَةَ خَمِسمِائَةَ عَامٍ، قَالَ: فَلَاذُوا بِالعَرشِ، وَأَشَارُوا بِالأَصَابِعِ، فَنَظَرَ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ إِلَيهِم، وَنَزَلَتِ الرَّحمَةُ، فَوَضَعَ لَهُم البَيتَ المَعمُورَ، فَقَالَ: طُوفُوا

فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٣٠.

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) البقرة: ٣٢.

بِهِ، وَدَعَوا العَرشَ، فَإِنَّهُ لِيَ رِضىً، فَطَافُوا بِهِ، وَهوَ البَيتُ الَّذِي يَدخُلُهُ كُلَّ يَومٍ سَبعُونَ أَلفَ مَلَكٍ، لَا يَعُودُونَ إِلَيهِ أَبَداً، فَوَضَعَ اللهُ البَيتَ المَعمُورَ تَوبَةً لِأَهلِ السَّمَاءِ، وَوَضَعَ الكَعبَةَ تَوبَةً لِأَهلِ الأَرضِ»[1] [٥٣: ظ].

الكلام في السجود لآدم عليه السلام

فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[2]، قَالَ: وَكَانَ ذَلِكَ مِنَ اللهِ تَقْدِمَةٌ فِي آدَم قَبلَ أن يَخلُقَهُ، وَاحتِجَاجاً مِنهُ عَلَيهِم، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ**﴾[3]، وقَبيلَهُ: الكلامُ هاهنا في مقامَين:

الأَوَّلُ: في السُّجودِ، اعلم أنَّه قد أجمعَ المُسلمونَ على أنَّ ذلك السُّجود ليسَ سُجودَ عِبادَةٍ؛ لأنَّ العِبادَة لِغَيرِ اللهِ كُفرٌ، والأَمرُ بِالكُفرِ لا يَرِدُ، ثُمَّ اختَلفوا على ثلاثةِ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ ذلكَ السُّجود كان لله تعالى، وآدم عليه السلام كالقِبلَةِ، وهو قولُ أبي عليّ الجبائي[4]، وأبي القاسم البلخي[5]، وجماعةٌ، واعتُرِضَ عليه بوجهين:

---

(١) تفسير القمي: ١/ ٣٦-٣٧.

(٢) الحجر: ٢٨-٢٩.

(٣) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة: ٣٤.

(٤) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٥) أبو القاسم، عبد اللهّ بن أحمد بن محمود الكَعْبيّ، البَلْخيّ، شيخ المعتزلة، يقال لهم الكعبية ولد سنة ثلاث وسبعين ومائتين، وكان من كبار المتكلّمين، غزير

الأَوَّل: أنَّه لا يُقالُ: صَلَّيتُ للقِبلَةِ، بل يُقالُ: صَلَّيتُ إلى القِبلَةِ، فلو كان آدم عليه السلام قِبلَةً لذلك السُّجود، لوَجَبَ أن يُقال: اسجُدوا إلى آدم.

الثَّاني: أنَّ إبليس قال: ﴿**أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ**﴾[1]، وقال: ﴿**أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ**﴾[2]، ولا رَيبَ أنَّ امتناع إبليس عن السُّجود؛ إنَّما هو لاعتقاده تفضيله به، وتكرمتُه، ولو لم يكن الأمرُ على هذا الوجه، لوَجَبَ أن يُعَلِمَهُ اللهُ تعالى أنَّه لم يأمُرهُ بالسُّجودِ على جِهَةِ تعظيمه، وتفضيله عليه، فإنَّه سببُ معصية إبليس، وضلالته[3].

وأُجيبَ: عن الأوَّلِ: بأنَّه كما يجوزُ أن يُقالُ صَلَّيتُ إلى القِبلَةِ، جازَ أن يُقال: صَلَّيتُ لِلقِبلَةِ، بدليل قوله تعالى: ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ**﴾[4]،

العلم بالكلام والفقه والأَدب، واسع المعرفة بمذاهب الناس صنّف كتباً كثيرة، منها: المقالات، الغرر، الاستدلال بالشاهد على الغائب، الجدل، السُنّة والجماعة، وتفسير كبير في عدّة مجلدات، توفى ببلخ في أيام المقتدر سنة: ٣٢٧ه، على أصحّ الأقوال، ينظر ترجمته: رسائل الشريف المرتضى:٢/ ١٤٠، شرح الأزهار، الإمام أحمد المرتضى:١/ ٢٢، موسوعة طبقات الفقهاء: ٤/ ٢٣٥.

(١) من قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾الإسراء:٦٢.

(٢) من قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ص: ٧٦.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢/ ٢١٢، بحار الانوار: ١١/ ١٤٠.

(٤) من قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الإسراء:٧٨.

والصَّلاةُ لله لا للدُّلوكِ، وقولُ حسَّان بن ثابت[1]:

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْأَمْرَ مُنْصَرِفٌ ... عَنْ هاشِمٍ ثُمَّ مِنْها عَنْ أَبي حَسَنِ
أَلَيْسَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى لِقِبْلَتِكُمْ ... وَأَعْرَفَ النّاسِ بِالْقُرآنِ، والسُّنَنِ

وأجاب الفخرُ الرَّازي[2] عن الثاني: بأنَّ إبليس حكى تكريمهُ، وذلك التَّكريمُ لا نُسَلِّم أَنَّه حَصَلَ بمجرَّد السُّجود، بل لعلَّهُ حصلَ بذلك مَعَ أمورٍ أُخَر، ولا يخفى ما فيه مِن التَعسُف لقوله تعالى: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۞ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ**﴾[4]، وسيجيءُ زيادَةُ توضيحٍ له في دِلالَةِ سُجودِ الملائكة لآدم عليه السلام على أفضليته[5].

وثانيها: إنَّ السُّجودَ في أصلِ اللُّغة هو: (الانقيادُ، والخُضوع)[6].

قال الشاعر[7]: [من الطويل]

---

(١) لم اقف عليهما في ديوانه، لكن ذكرهما ابن ميثم في الشرح. ينظر: شرح نهج البلاغة:١/ ١٧٣، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم:٢/ ٢٦٩، ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٢) ينظر ترجمته في القسم الأول .

(٣) الاعراف: ١٢.

(٤) الاسراء: ٦١-٦٢.

(٥) مفاتيح الغيب: ٢/ ٢١٢.

(٦) شرح نهج البلاغة: ١/ ١٦٠.

(٧) صدر البيت : بجَيْشٍ تَضِلُّ الْبُلْقُ فِي حَجَرَاتِهِ

تَرَى الأُكْمَ فيها سُجَّداً لِلحَوافر.

أي: الجِبالُ الصِّغار، كانَتْ مُذَلَّلةٌ لِحَوافِر الخُيول[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**﴾[2].

وأُورِدَ عليه: بأنَّ المُتبادَرُ مِنَ السُّجودِ، وَضعُ الجَبهَةِ على الأرضِ، فيجبُ الحَملُ عليه، ما لم يَدلُّ دليلٌ على خلافه، ويُؤيدهُ قوله تعالى: ﴿**فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[3]، وسيجيءُ مَنَ الأخبارِ، وما يدلُّ عليه صريحاً، وما يُتوهَّمُ دليلاً مِن أنَّ السُّجود لشيءٍ مُطلقاً عِبادَةٌ له فممنوعٌ، وقيل: السُّجود لا شكَّ أنَّه في عُرفِ الشَّرعِ عِبارَة عن وضعِ الجَبهَةِ على الأرضِ، فوَجَبَ أن يكونَ في أصلِ اللُّغة[4] كذلك؛ لأصَالَةِ عَدمِ النَّقلِ، وفيه نظرٌ لتصريح أهلِ اللُّغةِ بالمعنى الآخر.

و**ثالثها**: وهوَ الحقُّ، إنَّ السُّجود كان تعظيماً لآدم عليه السلام، وتكرمةً له، وهو في الحقيقةِ عِبادَةٌ للهِ تعالى، وهو مختارُ جماعةٍ مِن المُفسِّرين[5]، ويدلُّ عليه كثيرٌ

ينظر: شعر زيد الخيل الطّائي، جمـ وتحـ: د. احمد مختار البرزة:١١٠.

(١) شرح نهج البلاغة: ١/ ١٦٠.

(٢) الرحمن:٦.

(٣) الحجر: ٢٩.

(٤) ينظر: الصحاح، مادة (سجد)، مفاتيح الغيب: ٢/ ٢١٣.

(٥) ينظر: تفسير بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي: ٢/ ٢٥٥، التبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٣٣٢، الكشف والبيان عن تفسير القرآن:٥/ ٣٤٠، المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان، ابن ادريس الحلي، تحـ: السيد مهدي

مِنَ الأخبارِ الوَارِدَةِ عن أهلِ بيتِ العِصمَةِ، وَالطَّهارةِ صَلواتُ اللهِ عليهم.

ورُوي في الاحتجاج عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: (إنَ يَهُودِيّاً سَألَ أَمِيرَ المُؤمِنِينَ عليه السلام عَن مُعجِزَاتِ النَّبِيِّ، فَقَالَ: هَذَا آدَم عليه السلام أَسْجَدَ اللهُ لَهُ مَلَائِكَتَهُ، فَهَل فَعَلَ بِمُحَمَّدٍ شَيئاً مِن هَذَا؟ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: لَقَد كَانَ ذَلِكَ، وَلَكِن أَسجَدَ اللهُ لِآدَم مَلَائِكَتُهُ، فَإِنَّ [٥٤: و] سُجُودَهُم لَم يَكُن سُجُودَ طَاعَةٍ، إِنَّهُم عَبَدُوا آدَم مِن دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِن اعتَرَفَاً لِآدَمَ بِالفَضِيلَةِ، وَرَحمَةً مِنَ اللهِ لَهُ، وَمُحَمَّدٌ أُعطِيَ مَا هُوَ أَفضَلُ مِن هَذَا، إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا صَلَّى عَلَيهِ فِي جَبَرُوتِهِ، وَالمَلَائِكَةُ بِأَجمَعِهَا، وتُعُبِّدَ المُؤمِنِينَ بِالصَّلَاةِ عَلَيهِ، فَهَذِهِ زِيَادَةٌ لَهُ يَا يَهُودِيُّ)[1].

وفي العُيونِ عن أبي الصَّلت الهرويّ[2] عن الرِّضا، عن آبائه عليهم السلام عن عليٍّ عليه السلام قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ فَضَّلَ أَنبِيَاءَهُ المُرسَلِينَ عَلَى مَلَائِكَتِهِ المُقَرَّبِينَ، وَفَضَّلَنِي عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ، والمُرسَلِينَ، وَالفَضلُ بَعدِي لَكَ يَا عَلِيّ، ولِلأَئِمَّةِ مِن بَعدِكَ - وساق الحديث، إلى أن قال -:

ثُمَّ إنَّ اللهَ تَبَارَكَ، وتَعَالَى، خَلَقَ آدَم، فَأَودَعَنَا صُلبَهُ، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لَهُ، تَعظِيماً لَنَا، وإكرَاماً، وَكَانَ سُجُودُهُم للهِ عَزَّ وَجَلَّ عُبودِيَّةً، وَلآدَمَ إِكرَاماً، وطَاعَةً، لِكَونِنَا فِي صُلبِهِ، فَكَيفَ لَا نَكُونُ أَفضَلُ مِنَ المَلَائِكَةِ، وَقَد سَجَدُوا

الرجائي: ٢/ ٤٧، بحار الانوار: ١١/ ١٤٠.

(١) الاحتجاج: ١/ ٣١٤.

(٢) ينظر ترجمته في القسم الأول.

لآدَم كُلُّهُم أَجمَعُونَ)[1].

وفي كتاب قَصصُ الأنبياءِ للقُطبِ الرَّاوندِيّ[2] رحمه الله عن أبي بصير[3] قال: قلتُ لأبي عبدالله عليه السلام: سَجَدَت المَلَائِكَةُ لآدم عليه السلام، ووضَعُوا جِبَاهَهُم على الأرضِ؟ قال: (نَعَم، تَكرِمَةً مِنَ اللهِ تَعَالَى)[4].

وفي الاحتجاج عن أبي محمَّد العسكريّ عليه السلام في خبرٍ طويلٍ، يذكُرُ فيه أمرَ العَقَبَةِ: (إنَ النَّبيَّ صلى الله عليه وآله قال: فَلَمَّا عَرَّفَ اللهُ مَلَائِكَتَهُ فَضلَ خِيَارِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وشِيعَةِ عَلِيٍّ عليه السلام، وخُلَفَائه عليهم السلام، واحتِمَالِهِم فِي جَنبِ مَحَبَّةِ رَبِّهِم مَا لَا تَحتَمِلُهُ المَلَائِكَةُ، أَبَانَ لِبَنِي آدَمَ الخِيَارَ المُتَّقِينَ بِالفَضلِ عَلَيهُم، ثُمَّ قَالَ: فَلِذَلِكَ فَاسجُدُوا لآدَم، لَمَّا كَانَ مُشتَمِلاً عَلَى أَنوَارِ هَذِهِ الخَلَائِق الأَفضَلِينَ،، ولَم يَكُن سُجُودُهُم لآدَم؛ إنَّمَا كَانَ آدَم قِبلَةً لَهُم يَسجُدُونَ نَحوَهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ بِذَلِكَ مُعَظَّماً مُبَجَّلاً، وَلَا يَنبَغِي لِأَحَدٍ أَن يَسجُدَ لِأَحَدٍ مِن دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَخضَعَ لَهُ خُضوعَهُ للهِ، ويُعَظِّمُ بِالسُّجُودِ لَهُ كَتَعظِيمَهُ للهِ، وَلَو أُمِرَ أَحَدٌ أَن يَسجُدَ هَكَذَا لِغَيرِ اللهِ لَأَمَرتُ ضُعَفَاءَ شِيعَتِنَا، وَسَائِرَ المُكَلَّفِينَ مِن شِيعَتِنَا أَن يَسجُدُوا لِمَن تَوَسَّطَ فِي عُلُومِ وَصِيِّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، ومَحضِ وِدَادِ خَيرِ خَلقِ اللهِ عَلِيٍّ بَعدَ مُحَمَّدٍ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله، واحتَمَلَ المَكَارِهَ، والبَلَايَا فِي التَّصرِيحِ بِإِظهَارِ

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٢٣٧ ح ٢٢.

(٢) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٤) قصص الأنبياء: ٤٤ ح ٥.

حُقُوقِ اللهِ، وَلَمْ يُنكِرْ عَلَيَّ حَقّاً أَرقَبُهُ عَلَيهِ، قَد كَانَ جَهِلَهُ، أَو أَغفَلَهُ)[1].

وفي تُحفِ العُقول عن أبي الحسن الثالث[2] عليه السلام قال: (إنَّ السُّجُودَ مِنَ المَلَائِكَةِ لآدَم لَم يَكُن لِآدَم عليه السلام، وإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ طَاعَةً لله، وَتَحِيَّةً مِنهُم لِآدَم)[3].

وفي الاحتجاج في جواب مسائل الزِّنديق، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأَلَ فيما سأَلَ: (أفيصلُح السُّجود لغيرِ الله؟ قال: لَا قال: فكيفَ أمرَ اللهُ الملائكةَ بالسُّجودِ لآدم؟ فقال: إنَّ مَن سَجَدَ بِأَمرِ الله، فَقَد سَجَدَ لله، فَكَأَنَّ سُجُودَهُ لله إِذَا كَانَ عَن أَمرِ الله)[4]، وقد ظهرَ مِن مجموعِ الأخبارِ: إنَ السُّجودَ لا يجوزُ لغيرِ الله ما لم يكُن عن أَمرِ الله، وانَّ المَسجُودَ لهُ لا يكونُ معبوداً مُطلقاً، بل قد يكون السُّجود تحيَّةً لا عِبَادَةً، وإن لم يجُز إلَّا بأمره تعالى، وأنَّ أمرَهُ سُبحانه للملائكة بالسُّجودِ لآدم عليه السلام يدلُّ على أفضليته، وتقديمه عليهم، لا كما زَعمَهُ الجبائي[5]، وغيره، مِن أنَّه لا يدلُّ على أفضلية آدم عليه السلام، وقد جعلهُ أصحابُنَا رضوانُ الله عليهم، مِن أدلَّةِ تفضيلِ الأنبياءِ عليهم السلام، ونطَق به الأخبار، زائداً على ما ذُكِرَ، وسيأتي مزيدُ تفضيلٍ لهذه المسألة في موضِعٍ أليَقُ به إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

ثُمَّ إنَّه قد استشكَلَ في سَجدَة يُوسُف عليه السلام: بأنَّ يعقوبَ عليه السلام كان أباً ليُوسُف عليه السلام، وحَقُّ الأُبوَّةِ حقٌّ عَظيمٌ، قال اللهُ تعالى تعالى [٥٥: ظ]:

---

(١) الاحتجاج: ١/ ٦٣.

(٢) هو الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام عاشر أئمة أهل البيت عليهم السلام

(٣) تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني: ٤٧٨.

(٤) الاحتجاج: ٢/ ٨٠. قد نقله من بحار الانوار: ١٠/ ١٦٨.

(٥) ينظر ترجمته في القسم الأول.

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1]، فقَرَنَ حقَّهما بحقِّهِ، وأيضاً كان يعقوب عليه السلام شيخاً كبيراً، وقد قال عليه السلام: (مِن إجلَالِ اللهِ إِجلَالُ ذِي الشَّيبَةِ المُسلِمِ)[2].

ومع ذلك كان لهُ مِن مُوجِبَاتِ التَّعظيمِ، والتَّكريم لفضلِ النُّبوَّة، وعُلوِّ الشَّأنِ ما لا يخفى، فكيفَ استجازَ يُوسُف أن يَسجُدَ لَهُ يعقوب عليه السلام، وأُجيبَ عنه بوجوهٍ[3]:

الأَوَّلُ: أنَّ المُراد بقوله تعالى: ﴿**وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا**﴾[4] إنهَّم خرُّوا لأجلِ وجدَانِه سُجَّداً لله، فكانَ ذلك سَجدَةَ الشُّكرِ لِما أنعمَ اللهُ عليهم مِن لِقاءِ يُوسُف عليه السلام، ويُؤيِّدُ هذا التَّأويل، قولُه تعالى: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا**﴾[5]، لإشعاره بأنهَّم صَعَدُوا ذلك السرَّير، ثُمَّ سَجَدوا، ولو كان سُجودهُم له لَسَجدُوا قبل الصُّعودِ على السَّرير، وهذا الوجهُ مرويٌّ

---

(١) من قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ الاسراء:٢٣.

(٢) الكافي: ٢/ ١٦٥ ح ١.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٨/ ٢١١.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يوسف:١٠٠.

(٥) يوسف:١٠٠.

عـن ابـن عبَّـاس[1].

ويُؤيـده مـا رواه عـليٍّ بـن إبراهيـم[2] في التَّفسير بالإسنادِ عـن جابر بـن عبدالله الأنصـاري[3]، قـال: قـال: (فَأَمَـا الشَّـمس فَـأُمُّ يُوسُـف رَاحِيـل، وَالقَمَـرُ يَعقُـوبَ، وَأَمَّـا أَحَـدَ عَـشَرَ كَوكَبَـاً فَإِخوَتُـهُ، فَلَـمَّا دَخَلُـوا عَلَيـهِ سَـجَدُوا شُـكرَاً لله وَحـدَهُ، حِـينَ نَظَـرُوا إلَيـهِ، وَكَانَ ذَلِـكَ السُّـجُود لله)[4]، ومـا رواه القطـب الرَّاونـدي[5] رحمه الله في قصـص الأنبيـاء عـن أبي بصـير[6] عـن أبي جعفـر صَلَـواتُ الله عليـهِ في حديـثٍ طويـلٍ، قـال: قـال: (لَمَّـا رَأَوهُ سَـجَدُوا شُـكرَاً لله، وَمَـا تَطَيَّـبَ يُوسُـف فِي تِلـكَ المُـدَّةِ، وَلَا مَـسَّ النِّسَـاءَ، حَتَّـى جَمَـعَ اللهُ يَعقُـوبَ صَلَـوَاتُ الله عَلَيهِ شَـملَهُ)[7].

ولا يُنافيـه قولـه: ﴿يَـا أَبَـتِ هَـذَا تَأْوِيـلُ رُؤْيَـايَ مِـنْ قَبْـلُ﴾[8]، والمُـرادُ قولـه: ﴿يَـا أَبَـتِ إِنِّي رَأَيْـتُ أَحَـدَ عَـشَرَ كَوْكَبًـا وَالشَّـمْسَ وَالْقَمَـرَ رَأَيْتُهُـمْ لِي

---

(١) مفاتيح الغيب: ١٨/ ٢١٢، نقله بحار الأنوار: ١٢/ ٣٣٦.

(٢) ينظر ترجمته القسم الأول.

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٤) تفسير القمي: ١/ ٣٣٩.

(٥) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٦) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٧) قصص الأنبياء: ١٣٤ ح ١٣٤.

(٨) مـن قولـه تعـالى: ﴿وَرَفَـعَ أَبَوَيْـهِ عَـلَى الْعَـرْشِ وَخَـرُّوا لَـهُ سُـجَّدًا وَقَـالَ يَـا أَبَـتِ هَـذَا تَأْوِيـلُ رُؤْيَـايَ مِـنْ قَبْـلُ قَـدْ جَعَلَهَـا رَبِّي حَقًّـا وَقَـدْ أَحْسَـنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِـي مِـنَ السِّـجْنِ وَجَـاءَ بِكُـمْ مِـنَ الْبَـدْوِ مِـنْ بَعْـدِ أَنْ نَـزَغَ الشَّـيْطَانُ بَيْنِـي وَبَـيْنَ إِخْـوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيـفٌ لِمَـا يَشَـاءُ إِنَّـهُ هُـوَ الْعَلِيـمُ الْحَكِيـمُ﴾ يوسـف: ١٠٠.

سَاجِدِينَ﴾[1]؛ لأنَّ المُطابقة للرُؤيا لا يَستلزم التَّساوي مِن جميعِ الوُجوه، فكما أنَّ سُجود الكواكب، والقَمرَينِ له، كان تأويله سُجود الأبوَينِ، والإخوَة له، وبُلوغه أرفعَ المنازِل، وأعلى الدَّرجات، ولا يَضرُّه عدمُ المُطابقة صُورةً، جازَ أن يكونَ التأويل سُجود الأبوينِ، والأُخوة شُكراً للقائه، وما قيلَ: مِن أنَ التأويل جارٍ بعينه في قوله: ﴿**رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾، أي: أنَّهُم سَجَدوا للهِ، ومصلحتي، وإعلاءَ منصبي، فلا يخلو عن تكلُّف.

الثاني: إنَهم جعلوا يُوسُف عليه السلام كالقِبلَةِ، كما مرَّ في سُجودِ آدم عليه السلام.

وقال الشَّيخُ الجليل أبو عليٍّ الطَّبرسيِّ[2] في مجمع البيان قيل: (إنَّ السُّجودَ كان لله تعالى شُكراً له، كما يفعله الصَّالحون عندَ تجدُّد النِّعم، وتوجَّهوا إلى السُّجودِ إليه، فهذا السُّجود كان له، كما يُقال: صلَّى لِلقِبلَةِ، ويُرادُ به استقبالها، عن ابن عبَّاس[3]، وهو المرويُّ عن أبي عبد الله عليه السلام)[4]، انتهى.

وهذا الوجهُ في الحقيقةِ مُركَّبٌ عن الوَجهينِ، ولعلَّ توجههم إليه في سُجودهم، وجعلهم إيَّاهُ كالقِبلَةِ، كان تحيَّةً ليُوسُف منهم، وتكريماً له،

---

(١) من قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ يوسف:٤.

(٢) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥/ ٤٥٧.

فيُطابِقُ ما رواه عليّ بن إبراهيم[1] في التَّفسير، وحكاهُ الطَّبرسيّ[2] رحمه الله في مجمع البيان قال: (حدَّثني محمّد بن عيسى بن عُبيد[3] أنَّ يحيى بن أكثم[4] سأل موسى بن محمّد بن عليٍّ مسائل، فعرضها على أبي الحسن عليّ بن محمّد عليهما السلام فكان إحداها أن قال: أخبرني عن قولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا**﴾[5] أَسَجَدَ يعقوبُ، ووُلْدُه لِيُوسف، وهُم أنبياء؟ فأجاب أبو الحسن عليه السلام: أَمَّا سُجود يَعقُوبَ، ووُلْدُهَ، فَإِنَّهُ لَم يَكُن لِيُوسُف، وإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِن يَعقُوبَ، ووَلَدُهُ طَاعَةٌ لله، وَتَحِيَّةٌ لِيُوسُف، كَمَا كَانَ السُّجُودَ مِنَ المَلَائكَةِ لآدَمَ، وَلَم يَكُن لِآدَمَ، وَإِنَّمَا كَانَ مِنهُم ذَلِكَ طَاعَةً لله، وَتَحِيَّةً لِآدَم، فَسَجَدَ يَعقُوبَ، وَ[٥٦: و] وَلَدَهُ، ويُوسَفَ مَعَهُم شُكرَاً لله،

(١) ينظر ترجمته القسم الأول.

(٢) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٣) أبو جعفر، ابن يقطين بن موسى، روى عن الإمام الجواد عليه السلام ثقة، جليل القدر، كثير الرواية، سكن بغداد، له كتب، منها: كتاب الإمامة، كتاب المعرفة، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ٣٣٣، الرجال، ابن داود: ٢٧٥.

(٤) أبو محمد، يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن، ولاه المأمون العباسي القضاء ببغداد، ناظر الامام الجواد عليه السلام بدفع من المأمون فكشف الإمام عليه السلام قصوره، توفي سنة ٢٤٣ ه، ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد: ١٤/ ١٩٥، تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، تحـ: مصطفى عبد القادر عطا: ٢/ ٢٩٧.

(٥) من قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يوسف: ١٠٠.

لاجتِماعِ شَملِهِم، أَلَم تَرَ أَنَّهُ يَقُولُ فِي شُكرِهِ ذَلِكَ الوَقت: ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾[1])[2] أنتهى.

ومُوسى هو المشهورُ بالمُبرقَع[3] أخو عليٍّ بن محمّد التَّقيُّ عليهما السلام، وكان عَرَضَ المسائل على أخيه عليه السلام.

الثالثُ: إنَّ المُراد بالسُّجودِ الخُضوع، والانقياد، ورُدَّ: بأنَّ قوله تعالى: ﴿**وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا**﴾[4]صريحٌ في وضعِ الجَبهَةِ على الأرضِ، وأُجيبَ: أنَّ الخُرور قد يكونُ بمعنى المُرور، وفيه نظرٌ.

الرَّابع: إنَّ الضَّمير المرفوع راجِعٌ إلى الأُخوة، والتَّقديرُ: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا**﴾[5]، وأمَّا الأُخوة، وسائرُ الدَّاخلين عليه فخرُّوا لهُ

---

(١) يوسف:١٠١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥/ ٤٥٧.

(٣) موسى بن محمد الجواد بن علي الرضا عليهم السلام ولد بقم وتوفي فيها، ينظر ترجمته في: معجم رجال الحديث:٢٠/ ٨٨.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يوسف:١٠٠.

(٥) يوسف:١٠٠.

سُجَّداً، ورُدَّ: بأنَّهُ لا يُلائمُ قوله: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾[1]، وأُجيبَ: بأنَ تعبيرَ الرُّؤيا لا يَجِبُ أن يكونَ مُطابِقاً مِن كُلِّ الوُجوهِ، فسُجودُ الكواكب، والشَّمس، والقمر، تعبيرُه تعظيمُ الأكابر مِنَ النَّاسِ للسُّجود، ولا شكَّ أنَّ ذِهاب يعقوب عليه السلام مع أولاده مِن كنعان إلى مصر ليُوسُف عليه السلام نهايةُ التَّعظيم[2]، فيكفي في صحَّة الرُّؤيا، وهذا مع أنَّه لا يخلو عن بُعدٍ، ومخالَفَتِه لِمَا هُوَ المَشهورُ مِن سَجدَةِ الأبوينِ أيضاً له عليه السلام لا يَصفُو عن شَوبِ شُبهَةٍ، وإن كان يندفِعُ به الإيرادُ المذكور سابقاً؛ وذلك لأنَّه يُمكِن أن يُقال: كيف رضيَ يُوسف عليه السلام بأن يسجُد لهُ إخوته، مع أنَّ السُّجود لا يجوزُ إلَّا لله تعالى؟

ويُمكن أن يُجاب: بأنَّ سُجودَهم كان بأمرِ الله، وقد ظهرَ مِن الأخبارِ: لا يجوزُ السُّجودَ لغيره ما لم يكُن عن أمره سُبحانه.

الخامس: إنَّ الأُمم السَّالِفة، كان تعظيمَهُم لأشرَافِهم، وعظَائِهم بالسُّجودِ لهُم، والسُّجودُ كما يكونُ للعِبَادَةِ تكون للتكريم، والتَّحيَّة.

ورُدَّ: بأنَّه لو كان الأمر كذلك، لكان الأنسَبُ أن يَسْجُدَ يُوسف عليه السلام ليَعقوب عليه السلام رِعايةً للأبوَّةِ، والشَّيخوخةِ، ويَرِدُ عليهِ: إنَّ الظَّاهر مِنَ الأخبارِ: عدمُ جوازِ السُّجودِ لغيرِ الله في جميعِ الشَّرائع، والأديان ما لم يكن عن أمر الله.

ورُوي أنَّ معاذاً[3] لَمَّا قَدِمَ مِنَ اليمنِ سَجَدَ للنَّبيِّ صلى الله عليه وآله فقال: (يَا

---

(١) يوسف: ١٠٠.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٨/ ٢١٣.

(٣) أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي المدني، أسلم

مَعَاذ! مَا هَذَا؟ فَقَالَ: إنَّ اليهود تسجُد لعُظمائها، وعُلمائها، ورأيتُ النَّصارى يسجُدونَ لقسيسها وبطارقتها، فقلتُ: ما هذا؟ فقالوا: تحيَّةُ الأنبياءِ عليهم السلام فقال: صلى الله عليه وآله كَذِبُوا عَلَى أَنبِيَائِهِم)[1].

ورُوي أنَّه دَخلَ الجاثليق[2] على عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام فأرادَ أن يَسجُدَ له، فقال عليه السلام: (اسجُد لله، وَلا تَسجَدُ لِي)[3]، ثمَّ قال عليه السلام: (لَو أُمِرَ أَحَدٌ أَن يَسجُدَ لِأَحدٍ، لَأَمَرتُ المَرأَةَ أَن تَسجُدَ لِزَوجِهَا؛ لِعَظَمِ حَقِّهِ عَلَيهَا)[4].

في العقبة وصحب النبي صلى الله عليه وآله شهد بدرا والمشاهد كلها، آخى النّبي بينه وبين عبد اللهّ بن مسعود، بعثه النبي صلى الله عليه وآله إلى اليمن عاملا عليها ومعلما لأهلها، روى عن النبي صلى الله عليه وآله وعنه عمر وابنه وأبو قتادة وأنس وأبو أمامة وعبد الرحمن بن غنم وغيرهم، مات في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ هجرية، ينظر: الخلاف، الشيخ الطوسي، تحـ: جماعة من المحققين: ١/ ٥٤٦، غنية النزوع: ١٢٠، منتهى الطلب: ١/ ١٨٧.

(١) مسند أحمد: ٤/ ٣٨١، مجمع الزوائد: ٤/ ٣٠٩، مسند بن أبي أوفى، يحيى بن محمد البغدادي، تحـ: سعد بن عبد الله آل الحميد: ٩٦، مفاتيح الغيب: ٢/ ٢١٢، نصب الراية، الزيلعي، تحـ: أيمن صالح شعبان: ٢/ ٤١٢، صبح الأعشى في صناعة الإنشا: ٦/ ٣٢٧.

(٢) الجاثليق رئيس النصارى في بلاد الاسلام، ويكون تحت يد بطريق أنطاكية، وقد ارسله ملك الروم عندما أخبر بوفاة رسول صلى الله عليه وآله وعلم خبر أمته واختلافهم، أمر العلماء الذين في مملكته أن يختاروا من بينهم رجالا يحققوا ذلك فاختاروا مائة رجل يقدمهم جاثليق لهم قد أقرت له جميع الروم بالعلم والفضل، ينظر: أعيان الشيعة:٧/ ٢٨٣، الأنوار العلوية، الشيخ جعفر النقدي: ٨١.

(٣) مفاتيح الغيب: ٢/ ٢١٣، صبح الأعشى في صناعة الإنشا: ٦/ ٣٢٧.

(٤) الحديث مروي عن رسول اللهّ صلى الله عليه وآله قال فيه: (لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد

الثاني: في أنَّ إبليس هل كان مِنَ الملائكة أم لا؟[1]، فالَّذي ذهبَ إليه أكثرُ المُتكلِّمينَ - لا سيَّما المُعتزلة -، وكثيرٌ مِن أصحابنا: كالشَّيخُ المُفيد[2] رضي الله عنه أنَّه لم يكُن مِنَ الملائكة، بل كان مِنَ الجِنِّ، قال: وقد جاءت الأخبارُ به مُتواتِرَةً عن أئمَّة الهُدى سَلامُ الله عليهم أجمعين، وهو مذهَبُ الإماميَّة[3]، وذهبَ طائفَةٌ مِنَ المُتكلِّمينَ، وكثيرٌ مِن فُقهاءِ الجَمهورِ إلى أنَّه منهم[4]، واختارهُ الشَّيخُ أبو جعفر الطُّوسيّ[5] رضي الله عنه، قال: وهو المرويُّ عن أبي عبدالله عليه السلام، والظَّاهر في تفاسيرنا، ثُمَّ اختلَفَ مَن قال: إنَّه كان مِن الملائكة، فمنهُم مَن قال: إنَّه كان خازِناً على الجِنَان، ومنهُم مَن قال: كان له سُلطانُ سَماءِ الدُّنيا، وسُلطانُ

لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقّه عليها)، وهو مروي بأسانيد متعددة باختلاف يسير في الألفاظ، ينظر: مجمع الزوائد: ٤/ ٣٠٩، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٨٥، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم المنذري:٣/ ٥٥، صبح الأعشى في صناعة الإنشا: ٦/ ٣٢٧،

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٢/ ١٢٤.

(٢) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٣) ينظر: اوائل المقالات: ٢٢٤، الرسائل العشرة، الشيخ الطوسي: ٣٢٨، التبيان في تفسير القرآن: ١/ ١٥١، شرح نهج البلاغة: ١/ ١٧٤، جامع البيان عن تأويل آي القرآن:١/ ٣٢٢، تفسير بحر العلوم للسمرقندي: ٢/ ٢٥٥، مفاتيح الغيب: ٢/ ٢١٥، الجامع لأحكام القرآن:١٠/ ٢٥.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم الرازي: ٧/ ٢٣٦٦، الجامع لأحكام القرآن:١٠/ ٢٥، بحار الانوار: ١١/ ١٤٤.

(٥) ينظر ترجمته في القسم الأول.

الأرضِ، ومنهُم مَن قال: أنَّه كان يُوسوسُ ما بينَ السَّماءِ، والأَرض [1].

ولنذكُر أوَّلاً كلام الفريقين، ثُمَّ نُورِدُ الأخبار [٥٧: ظ] التي وصَلت إلينا في ذلك، احتجَّ الأوَّلُونَ بإمورٍ:

أحدها: قولهُ تعالى في سُورةِ الكهفِ: ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**﴾[2] قالوا: متى أُطلِقَ لفظُ الجِنِّ لم يُجز أن يعني به إلاَّ الجِنسُ المعروف، الَّذي يُقابَلُ بالإِنسِ في الكتاب الكريم، وأُجيبَ عنه بوجهينِ:

الأَوَّلُ: أنَّ معنى كان مِن الجِنِّ صارَ مِنَ الجِنِّ، كما أنَّ قوله: ﴿**وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾[3] معناهُ: صارَ مِن الكافرين، ذَكرَ ذلك الأخفش[4]، وجماعةٌ مِن أهلِ اللُّغة[5].

الثاني: إنَّ إبليس كان مِن طائفةٍ مِنَ المَلائكةِ يُسمَّونَ جِنَاً من، حيثُ كانوا خَزَنَةَ الجَنَّةِ، وقيل: سُمُّو جِنَّاً لاختفائهم عن العُيونِ[6]، واستشهدوا بقولِ

---

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/ ١٥١.

(٢) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآِدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الكهف: ٥٠.

(٣) من قوله تعالى: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ص: ٧٤.

(٤) الأخفش الاوسط، ينظر ترجمته في صفحه: ٢١٠.

(٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٧/ ٥٦ شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد: ٦/ ٤٣٥،

(٦) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/ ١٥١-١٥٤.

الأعشى[1] في سُليمان عليه السلام[2]: [من الطويل]

وَسَخَّرَ مِنْ جِنِّ المَلائِكِ تِسْعَةً قِيَامًا لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بِلَا أَجْرِ

وَرُدَّ الأوَّل: بأنَّه خِلافُ الظَّاهرِ، فلا يُصارُ إليه إلَّا لدَليلٍ.

والثاني: بأنَّ اللهَ سُبحانه علَّل تركه للسُجودِ: بأنَّه كان مِنَ الجِنِّ، ولا يُمكن تعليلُ تركِ السُّجودِ بكونه خازناً للجَنَّة، ولا باختفائه عن العُيون.

ولفظُ الجِنِّ، وأن جَازَ إطلاقُه بحسبِ اللُّغةِ على المَلَكِ[3]، إلاَّ أنَّه صارَ بحسَبِ العُرفِ مُختصَّاً بالجِنسِ المُقابِلِ للإنسِ، والمَلَك، فلا يُحمَلُ على المعنى اللُّغويُّ إلَّا الدَّليل.

وثانيها: قوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[4]، فنَفَى عن الملائكة المَعصيَة نفياً عامَّاً، فوجَبَ أن لا يكونَ إبليس منهُم.

وأُجيبَ عنهُ، بأنَّ قوله تعالى صِفَةٌ لخَزَنَةِ النِّيران لا لِمُطلَقِ المَلائكة، يدلُّ

---

(١) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٢) ديوان الاعشى الكبير: ٢٦٤، تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، تح: الشيخ إسماعيل الأسعردي: ٢٥٧.

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (جنن). ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

(٤) من قوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم: ٦.

عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ﴾[1] الآية، ولا يلزمُ مِن كونهم معصومين كون الجميع كذلك[2].

وهذا الجوابُ، وإن كان مُوجهاً في مقام المُناظرة، إلَّا أنَّه يدفعُه صريحاً رواية يوسف بن محمَّد بن زياد[3]، وعليِّ بن سيَّار[4] عن أبويهما[5] عن أبي الحسن العسكري عليهما السلام فإنَّها تدلُّ على أنَّ ذلك مِن صفاتِ جميعِ الملائكة، وإنَّ الملائكة كُلَّهم مَعْصُومُونَ، ولا يُنافيه كونُ الموصوفِ المذكور في الآية الزَّبانيَّة؛ لأنَّ اتصافهُم بهذه الصِّفة يجوزُ أن يكونَ من حيث هُم ملائكة، لا مِن حيث أنَّهم زبانيَّة، وأهلُ البيتِ أعلمُ بما في البيتِ، وسنذكرُ الرِّواية بطولها في موضعه إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

الثالث: (إنَّ إبليس له نسلٌ، وذُريَّة، قال اللهُ تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾[6]، والملائكةُ لا ذُريَّةَ لهم؛ لأنَّه ليس فيهم

(١) التحريم:٦.

(٢) ينظر: بحار الانوار: ٦٠/ ٢٨٦-٢٨٧.

(٣) غير معروف في كتب الرجال، ووقع في إسناد بعض المرويات، ينظر: جامع الرواة: ٢/ ٣٥٤، معجم رجال الحديث: ٢١/ ١٨٦.

(٤) لم يرد ذكره في كتب الرجال عدى الشاهرودي قال: (لم يرد ذكره في كتب الرجال وروى عن مولانا الحسن العسكري عليه السلام). ينظر: مستدركات علم رجال الحديث: ٥/ ٣٨٥.

(٥) وهي رواية طويلة، أوردها الصدوق في معاني الأخبار: ٢٤ ح ٤.

(٦) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ

أُنثى، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾[1]، والذُّريَّة إنَّما تحصلُ مِن الذَّكرِ، والأُنثى.

ويُمكن الجواب عنه، بعد تسليم دِلالَة الآية على السَّلبِ الكُلِّي: بأنَّ انتفاء الأُنثى فيهم لا يدلُّ على انتفاء الذُّريَّة، كما أنَّ الشَّياطين ليس فيهم أُنثى، مع أنَّ لهم ذُريَّة)[2].

يدلُّ على ذلك، ما رواه الصَّدوق[3] رحمه الله في الخصال بالإسناد عن معاوية بن عمَّار[4]، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (الآبَاءُ ثَلاثَةٌ: آدمُ، وُلِدَ مُؤمِناً، وَالجَانُّ (وُلِدَ كَافِراً)[5]، وَإِبلِيسُ وُلِدَ كَافِراً، وَلَيسَ فِيهُم نَتَاجٌ، إِنَّمَا يَبِيضُ، ويَفرِخُ، وَوُلْدُهُ ذُكُورٌ، لَيسَ فِيهُم إِنَاثٌ)[6]، وفي العلل عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يدلُّ

فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الكهف:٥٠.

(١) من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ الزخرف:٦.

(٢) ينظر: بحار الانوار: ٦٠/ ٢٨٧، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ٢٦/ ٢٨٢.

(٣) ينظر ترجمته في صفحة: ١٦٢.

(٤) معاوية بن عمار بن أبي معاوية، الدهني، روى عن الامام الصادق، والكاظم عليهما السلام، كان ثقة ووجهاً بين في الأصحاب، كبير الشأن، له كتب، ينظر: الرجال، النجاشي: ٤١١، الفهرست، الشيخ الطوسي: ٢٤٧.

(٥) نص المصدر: والجان ولد مؤمناً وكافراً.

(٦) الخصال: ١٥٢.

على أنَّ إبليس ليس له زوجةٌ، وأنَ ذُريَّته مِن نفسه[1]، وقال الشَّيخُ[2] رحمه الله في التِّبيان[3] مَن قال: (إنَّ إبليس له ذُريَّةٌ، والملائكةُ لا ذُريَّة لهم، ولا يتناكحُونَ، ولا يتناسَلونَ، فقد عوَّلَ على خبرٍ غيرِ معلومٍ)[4].

الرَّابع: إنَّ الملائكة رُسلُ الله لقوله تعالى: ﴿**جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا**﴾[5]، ورُسلُ [٥٨: و] الله معصومون لقول الله تعالى: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾[6]) [7]، ولا يجوزُ على رُسلِ الله الكفر، والعصيان، ملائكةً كانوا أم بشراً.

وأُجيبَ: بأنَّه ليس المُراد في الآية العُموم لقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ**

---

(١) وفيه (حديث عن زيد بن علي عن آبائه صلوات الله عليه قال: قال رسول: صلى الله عليه وآله إن الله تعالى حين أمر آدم أن يهبط هبط آدم وزوجته، وهبط إبليس ولا زوجه له، وهبطت الحية ولا زوج لها، فكان أول من يلوط بنفسه إبليس، فكانت ذريته من نفسه)، علل الشرائع: ٢/ ٥٤٧ ح ٢.

(٢) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ٧/ ٥٧. (من حديث طويل رواه عكرمة عن ابن عباس).

(٥) من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فاطر: ١.

(٦) من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ الانعام: ١٢٤.

(٧) عصمة الأنبياء، الفخر الرازي: ١٥.

الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾[1]، قال الشَّيخ رحمه الله في التِّبيان: وكلمةُ مِن للتبعيض بلا خِلاف، ولم يكُن كذلك لجاز لنا أن نخصَّ هذا العموم بقوله تعالى: ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾[2]؛ لأنَّ حمل الاستثناءِ على أنَّه مُنقطِعٌ حملٌ له على المَجَاز، كما أنَّ تخصيص العُموم مَجَازٌ، وإذا تَعَارَضَا سَقَطَا، لو لم يكن التَّخصيص أوَّلِي)[3].

واستدلُّوا على مُغايرَة الجنِّ للمَلَكِ: بأنَّ الملائكة رَوحَانِيون مَخلُوقونَ مِنَ الرِّيح - في قول بعضهم - ولا يَطعَمُونَ، ولا يشربون، والجِنُّ خُلِقوا مِنَ النَّارِ لقوله تعالى: ﴿**وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ**﴾[4]، وقد وَرَدَ في الأخبارِ النَّهيُ عن التَّمسُّح بالعَظمِ، والرَّوَث؛ لكونهما طعاماً لهم، ولدَوابِّهم[5].

وأُجيبَ بمنعِ المُقدِّمات، وقال الشَّيخ رحمه الله: (الأكلُ، والشُّرب لو عُلِمَ فَقدُهمَا في الملائكة، فلا نعلم أنَّ إبليس كان يأكُل، ويَشرَب، وقد قيل: إنَّهم يتشمَّمونَ الطَّعام، ولا يأكُلونَه)[6].

---

(١) من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الحج: ٧٥.

(٢) من قوله تعالى: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ص: ٧٤.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ١/ ١٥٣.

(٤) الحجر: ٢٧.

(٥) ينظر: تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ١/ ٣٥٤ ح ١٠٥٣.

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٧/ ٥٧.

ورُوي في الاحتجاج [1] في حديثِ مسائل الزِّنديق: إنَّه سأل أبا عبدالله عليه السلام فقال: (كيف صَعَدَت الشَّياطينُ إلى السَّماءِ، وهُم أمثالُ النَّاس في الخِلقَةِ، والكَثافَة، وقد كانوا يبنُونَ لسُليمان بن داود عليهما السلام مِنَ البناءِ ما يَعجَزُ عنه وُلْدُ آدم؟ قال: غَلّظُوا لِسُلَيمَانَ كَمَا سُخرَّوا، وَهُم خَلقٌ رَقِيقٌ، غَذَاؤهُم التَّنَسُّم، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ صُعُودَهُم إلَى السَّمَاءِ لِاستِرَاقِ السَّمعِ، وَلَا يَقدِرُ الجِسمُ الكَثِيفُ عَلَى الارتِقَاءِ إلَيهَا إلَّا بِسُلَّم أَو سَبَبٍ)[2].

ولا يخفى أنَّ رُواية مُعاوية بن عمَّار[3] تدلُّ على مُغايَرَةِ الشَّياطين للجَانِّ، واستُدِلَّ أيضا بقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ**﴾[4]، وعُورِضَ بقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا**﴾[5]؛ لأنَّ قُريشاً قالت: الملائكةُ بناتُ اللهِ، فردَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿**سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[6].

---

(١) الاحتجاج: ٢/ ٨١.

(٢) الاحتجاج: ٢/ ٨١، بحار الانوار: ١٠/ ١٦٨. هذا النص من البحار وصاحب البحار اخذه من الطبرسي في الاحتجاج.

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ سبأ: ٤٠-٤١.

(٥) من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ الصافات: ١٥٨.

(٦) الصافات: ١٥٩.

وأُجيبَ بالمَنعِ، فإنَّه فُسِّرَت الآية بوجوهٍ أُخر، منها:

أنَّ المُراد به قولُ الزَّنادقة: إنَّ اللهَ، وإبليسَ أَخوانِ، وإنَّ اللهَ خَلَقَ النُّور، والخير، والحيوانُ النَّافع، وإبليسُ خَلقَ الظُّلمَةَ، والشَّرَ، والحيوانَ الضَّار.

ومنها: إنَّهم أَشرَكُوا الشَّيطان في عِبَادَةِ الله تعالى، فذلك هو النَّسب الَّذي جعلوه بينه سُبحانه، وبين الجِنَّة، ومنها: إنَّهم قالوا: صَاهرَ اللهُ الجِنَّ فَحَدَثَت الملائكة[1].

وأنتَ تعلم أنَّ الوجه الأخير أوفَقُ بقولِ المُعترِضِ؛ فإنَّ إطلاق النَّسَب على المُصاهَرَة تَجوز، ولا يخفى أنَّ وجوه المُغايَرَة مِن مُتمِّمات الدَّليل الأوَّل، فتأمَّل.

واحتجَّ القائلون: بأنَّهُ مِنَ الملائكة، بوجهين:

الأوَّل: أنَّ اللهَ تعالى استثناهُ مِنَ الملائكة، والاستثناءُ يُفيدُ إخراج ما لولاه لدَخَل، وذلك يُوجِبُ كونه مِنَ الملائكة.

وأُجيبَ: بأنَّ الاستثناء هاهنا مُنقَطِعٌ، وهو مشهورٌ في كلام العرب، كثيرٌ في كلامه تعالى، قال سبحانه: ﴿**لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا**﴾[2]، وقال: ﴿**ولاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ**﴾[3]، وأيضاً: فلأنَّه كان جِنيَّاً واحداً بين الأُلوف مِنَ

(١) ينظر: بحار الانوار: ٦٠/ ٢٨٨.

(٢) الواقعة: ٢٥-٢٦.

(٣) من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ

الملائكة فغُلِّبُوا عليه في قوله: ﴿فَسَجَدُوا﴾[1]، ثُمَّ استُثنِي هو منهم استثناءً واحداً منهم، وقد كان مأمورا بالسُّجود معهم، فلمَّا دخلَ معهم في الأمرِ جاز إخراجه بالاستثناء منهم.

ورُدَّ: بأنَّ كُلُّ واحدٍ مِن هذين الوجهين على[٥٩: ظ] خلاف الأصلِ، فلا يُصار إليه إلَّا عِندَ الضَّرورة، والدَّلائل التي ذكرتموها في نفي كونه مِنَ الملائكة ليس فيها إلَّا الاعتماد على العُمومات، فلو جعلناه مِنَ الملائكة لَزِمَ تخصيصُ ما عوَّلتُم عليه مِنَ العُمومات، ولو قلنا: إنَّه ليس مِن الملائكة لَزِمَنَا حملُ الاستثناء على المُنقَطِع، ومعلومٌ أنَّ تخصيص العُموم أكثرُ في كتابِ اللهِ مِن حملِ الاستثناء على المُنقطِع، فكانَ قولنا أولى.

وأمَّا قولُكم: إنَّه جِنِيٌّ واحدٌ بين الأُلوف مِنَ الملائكة فَغُلِّبوا عليه، فنقولُ: إنَّما يُغَلَّبُ الكثير على القليل إذا كان ذلك القليل ساقِط العِبرَة، غيرُ مُلتَفَتٍ إليه، أمَّا إذا كان مُعظَمُ الحديث ليس إلَّا عن ذلك الواحد، لم يجُز تغليبُ غيره عليه، وفيه نظرٌ[2].

وقال الفخرُ الرَّازي[3] في الجوابِ عن حملِ الاستثناء على المُنقطع الاستثناء؛ إنَّما يُشتقُّ مِنَ الثَّني، والثَّني هو: الصَّرفُ، وهو إنَّما

تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء:٢٩.

(١) من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ الاعراف:١١.

(٢) ينظر: بحار الانوار: ٦٠/ ٢٨٩.

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول.

يتحققُّ حيثُ لولا الصَّرف لدخل، والشَّيءُ لا يدخُل في غير جِنسِه، فيمتنعُ تحققُّ معنى الاستثناء منه [1]، وضَعفُهُ ظاهرٌ.

الثاني: إنَّه لو لم يكن مِنَ الملائكة لَما كان قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا**﴾[2] مُتَناوِلًا له، فلا يكونُ تركه للسُّجود إباءً، واستكبارا، ومعصيَّةً، ولَمَّا استحقَّ الذَّمُّ، والعِقاب[3]، فعُلِمَ أنَّ الخِطاب كان مُتَناولًا له، ولا يتناوله الخِطاب إلَّا إذا كان مِنَ الملائكة.

وأُجيبَ: بأنَّه، وإن لم يكُن مِنَ الملائكة، إلَّا أنَّه نشأ، وطالت خلطته بهم، والتصقَ بهم، فلا جرمَ تناوله ذلك الخطاب، وأيضاً يجوزُ أن يكونَ مأموراً بالسُّجود بأمرٍ آخر، ويكونُ قوله تعالى: ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ**﴾[4]، إشارة تعالى لذلك الأمر.

ورُدَّ الأوَّل: بأنَّ مُخالَطَتِه لهُم لا تُوجِبُ توجُّه الخِطاب إليه - كما حُقِّق في موضعه-.

والثاني: بأنَ ظاهرُ قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا**

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢/ ٢١٥.

(٢) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة:٣٤.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢/ ٢١٥.

(٤) من قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ الاعراف: ١٢.

إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[1] أنَّ الإباء، والعصيان؛ إنَّما حصلَ بمُخالَفَةِ هذا الأمر، لا بمُخالَفةِ أمرٍ آخر[2]، هذا ما قيل، أو يُقالُ مِنَ الجانبين.

وأمَّا الأخبارُ الوارِدَةُ عن أهل البيت سلامُ اللهِ عليهم أجمعين، في هذا المقام، فمنها:

ما رواه الشَّيخ الجليل أبو عليٍّ الطَّبرسيِّ في مجمع البيان عن الشَّيخ أبي جعفر بن بابويه، إنَّه روى في كتاب النُّبوَّة، بالإسناد عن جميل بن درَّاج[3] عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن إبليس، أكانَ مِنَ الملائكة، أو كان يلي شيئاً مِن أُمورِ السَّماء؟ فقال: (لَم يَكُ مِنَ المَلائكَةِ، وَلَم يَكُن يَلِي شَيئاً مِن أَمرِ السَّماءِ، وَكَانَ مِنَ الجِنِّ، وَكَانَ مَعَ المَلائكَةِ، وَكَانَت المَلائِكَةُ تَرَى أَنَّهُ مِنهَا، وَكَانَ اللهُ سُبحَانَهُ يَعلَمُ أَنَّهُ لَيسَ مِنهَا، فَلَمَّا أُمِرَ بِالسُّجُودِ لِآدَم، كَانَ مِنهُ الَّذِي كَانَ)[4]،

---

(١) البقرة: ٣٤.

(٢) ينظر: بحار الانوار: ٦٠/ ٢٩٠، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ٢٦/ ٢٨٣- ٢٨٤.

(٣) أبو علي، جميل بن دراج بن عبد الله، النخعي، روى عن الإمامين الصادق، والكاظم عليهما السلام، من أصحاب الاجماع، ثقة، جليل، وجه الطائفة بالاتفاق، مات في أيام الرضا صلوات الله عليه، وله كتاب رواه جماعات ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ١٢٦، الفهرست، الشيخ الطوسي: ٩٤، مستدركات علم رجال الحديث: ٢/ ٢٣٧.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ١٦٣.

قال: وكذا رواه العياشي في تفسيره[1]، ومنها ما رواهُ عليّ بن إبراهيم[2] في تفسيره بالإسناد عن جميل[3]، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (سُئلَ عمَّا نَدبَ اللهُ الخلقَ إليه، أدخلَ فيه الضُلَّال؟ قال: نَعَم، وَالكَافِرُونَ دَخَلُوا فِيهِ؛ لَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ، وتَعَالَى أَمرَ المَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لآدَم، فَدَخَلَ فِي أَمرِهِ المَلَائِكَةُ، وإبلِيسُ، وَأَنَّ إبلِيسَ كَانَ مِنَ المَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ يَعبُدُ اللهَ، وَكَانَت المَلَائِكَةُ تَظُنُّ أَنَّهُ مِنهُم، وَلَم يَكُن مِنهُم، فَلَمَّا أَمَرَ اللهُ المَلَائِكَةَ بِالسُّجودِ لآدَم عليه السلام أَخرَجَ مَا كَانَ فِي قَلبِ إِبلِيسَ مِنَ الحَسَدِ، فَعَلِمَ المَلَائِكَةُ عِندَ ذَلِكَ أَنَّ إِبلِيسَ لَم يَكُن مِنهُم.

فقيل له عليه السلام: فكيفَ وقعَ الأمرُ على إبليس، وإنَّما أمرَ اللهُ الملائكةَ بالسُّجودِ لآدم؟ فقال: كَانَ إِبلِيسُ مِنهُم بِالوَلَاءِ، وَلَم يَكُن مِن جِنسِ [٦٠: و] المَلَائِكَةِ، وَذَلِكَ أَنَ اللهَ خَلَقَ خَلقاً قَبلَ آدَم، وَكَانَ إِبلِيسُ فِيهُم[4] حَاكِماً فِي الأَرضِ، فَعَتَوا، وأَفسَدُوا، وسَفَكُوا الدِّمَاءَ، فَبَعَثَ اللهُ المَلَائِكَةَ فَقَتَلُوهُم، وَأَسَرُوا إِبلِيسَ، وَرَفَعُوهُ إِلَى السَّمَاءَ، فَكَانَ مَعَ المَلَائِكَةِ يَعبُدُ اللهَ، إِلَى أَن خَلَقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى آدَمَ)[5].

قوله عليه السلام: (كَانَت المَلَائِكَةُ تَظُنُّ أَنَّهُ مِنهُم) يُحتمَلُ أن يكونَ المُرادُ به: إنَّ

---

(١) ينظر: تفسير العياشي، أبو النظر عياش السمرقندي، تحـ: السيد هاشم الرسولي المحلاتي: ٢/ ٣٢٨ ح ٣٦.

(٢) ينظر ترجمته القسم الأول.

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٤) في المصدر: منهم.

(٥) تفسير القمي: ١/ ٣٥، بحار الانوار: ٦٠/ ٢٣٤.

الملائكةَ تظنُ أنَّه منهُم في طاعةِ اللهِ، وعدمِ العصيانِ؛ لمُواظبته على طاعةِ اللهِ أعواماً مُتطاولَة، كما سيجيئ بيانه إنْ شاءَ اللهُ تعالى في شرح الخُطبة القاصعة[1]، لبُعدِ عدَم عِلمِ الملائكة بأن ليس منهم بعد أن أَسروه، ورفعوه إلى السَّماء، وأَهلكُوا قومه، فيكونُ مِن قبيلِ قولهم عليهم السلام: (سَلمَانٌ مِنَّا أَهلَ البَيتِ)[2]، وأمثالُه كثيرة.

ويُحتملُ أن يكونَ الملائكة، وإن عَلِمُوا أنَّه كان فيهم، إلَّا أنَّهم ظنُّوا أنَّه

---

(١) ذكر الشارحون في تسمية الخطبة القاصعة وجوها:

أحدها: وهو أقربها أنّه عليه السّلام كان يخطبها على ناقته وهى تقصع بجرّتها فجاز أن يقال: إنّ هذه الحال لمّا نقلت عنه في أسناد هذه الخطبة نسبت الخطبة إلى الناقة القاصعة فقيل: خطبة القاصعة ثمّ كثر استعمالها فجعلت من صفات الخطبة نفسها، أو لأنّ الخطبة عرفت بهذه الصفة لملازمة قصع الناقة لإنشائها. والعرب يسمّى الشيء باسم لازمه. الثاني: إنّها سميّت بذلك لأنّ المواعظ والزواجر فيها متتابعة فأشبهت جرّات الناقة وتتابعها. الثالث: سميّت بذلك لأنّها هاشمة كاسرة لإبليس، ومصغّرة ومحقّرة لكلّ جبّار. وهو وجه حسن أيضا. الرابع: لأنّها تسكّن نخوة المتكبّرين وكبرهم فأشبهت الماء الّذي يسكّن العطش فيكون من قولهم: قصع الماء عطشه إذا سكّنه وأذهبه واعلم أنّ مدار هذه الخطبة على النهى عن الكبر والتوبيخ عليه، وعلى ما يلزمه من الحميّة والعصبيّة لغير اللهّ تعالى ليكون الناس على ضدّ ذلك من التواضع والرفق، ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢/ ٢٢٧، شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد: ١٣/ ١٢٨، شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٣٥.

(٢) ينظر: المستدرك على الصحيحين: ٣/ ٥٩٨، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٧٥، مجمع الزوائد: ٦/ ١٣٠.

كان مَلَكاً، جعلهُ اللهُ حاكِماً عليهم، فرفعوه إلى السَّماء، ويُحتملُ: أن يكونَ غيرُ العالِمِ بعضُ الملائكة، ولعلَّهم الَّذين كان إبليس فيهم، ويَعبُدُ اللهَ معهُم، وحملُهُ على نسيانِ الملائكةِ لا يخلو عن بُعدٍ، مع أنَّه قد مرَّ في كلامه عليه السلام: ﴿أَنَّهُم لَا تَلحَقَهُم سَهوُّ العُقُولِ، وَلَا غَفلَةَ النِسيَانِ﴾[1].

ومنها: ما رواه القُطب الرَّاوندي رحمه الله في قصص الأنبياء بسندٍ غير سند الخبر السَّابق، عن جميل بن درَّاج قال: (سألتُ أبا عبدالله عليه الصَّلاة، والسَّلام: أكان إبليس مِنَ الملائكة أم مِنَ الجِنِّ؟ قال: كَانَت المَلَائِكَةُ تَرَى أَنَّهُ مِنهَا، وَكَانَ اللهُ يَعلَمُ أَنَّهُ لَيسَ مِنهَا، فَلَمَّا أُمَرَ بِالسُّجُودِ كَانَ مِنهُ الَّذِي كَانَ)[2].

ومنها ما رواه الصَّدوق[3] رحمه الله في الأمالي، والعلل رفعه إلى سلمان الفارسي رحمة الله عليه، قال: (مرّ إبليس لعنه الله بنفرٍ يتناولون أمير المؤمنين عليه السلام فوقفَ أمامهم، فقال القوم: مَنِ الَّذي وقفَ أمامنا؟ فقال: أنا أبو مُرَّة، فقالوا: يا أبا مُرَّة، أما تسمع كلامنا؟ فقال: سَوْءَةً لكم، تسبُّون مولاكم عليّ بن أبي طالب، قالوا له: مِن أين عَلِمتَ أنَّه مولانا؟ قال: مِن قولِ نبيِّكُم: صلى الله عليه وآله مَن كُنتُ مَولَاهُ، فَعَلِيٌّ مَولَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَن وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانصُر مَن نَصَرَهُ، وَأخذُل مَن خَذَلَهُ. فقالوا له: فأنت مِن مواليه، وشيعته؟ فقال: ما أنا

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٩١، شرح نهج البلاغة:١/ ١٣٢. والحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام:

﴿لا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَلا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَلا فَتْرَةُ الأَبْدانِ، وَلا غَفْلَةُ النِّسْيانِ﴾

(٢) قصص الأنبياء: ٤٦ ح ٦.

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول.

مِن مواليه، ولا مِن شيعته، ولكنِّي أُحبُّه، وما يبغضهُ أحدٌ إلَّا شاركتُهُ في المالِ، والوَلَد، فقالوا له: يا أبا مُرَّة، فتقولُ في عليٍّ شيئاً؟ فقال لهم: اسمعوا كلامي معاشر النَّاكثين، والقاسطين، والمارقين، عبدتُ اللهَ عزَّ وجلَّ في الجَانِّ اثني عشر ألف سنة، فلمَّا أهلكَ الجَانَّ، شكوتُ إلى الله عزَّ وجلَّ الوحدَة، فعرجُ بي الى السَّماءِ الدُّنيا، فعبدتُ اللهَ في السَّماءِ الدُّنيا اثني عشر ألف سنةٍ أُخرى في جُملة الملائكة، فبينما نحنُ كذلك، نُسبِّحُ اللهَ عزَّ وجلَّ، ونقدِّسه، إذ مرَّ بنا نورٌ شعشاني[1]، فخرَّت الملائكة لذلك النُّور سُجَّداً، فقالوا: سبوحٌ قدُّوسٌ، هذا نورُ مَلَكٍ مُقرَّب، أو نبيٌّ مُرسَل، فإذا بالنِّداءِ مِن قِبَل الله عَزَّ وجلَّ: ما هذا نورُ مَلَكٍ مُقرَّب، ولا نبيٌّ مُرسَل، هذا نورُ طِينَة عليِّ بن أبي طالب)[2].

وهذا الخبر ليس في الدَّلالة كالأخبار السَّابقة ومنها: ما رواه الصَّدوق رحمه الله في عيون الأخبار في حديثٍ طويلٍ، فيه حكاية

هاروت، وماروت[3]: عن يوسف بن محمّد بن زياد، وعلّي بن سيَّار

(١) الشعشعاني: الطويل الحسن، لسان العرب، مادة (شعع).

(٢) الامالي، الشيخ الصدوق: ٤٢٧ ح ٥٦٥، علل الشرائع: ١/ ١٤٣ ح ٩.

(٣) في خبر هاروت وماروت عن الرضا عليه السلام في حديث قال: (وأما هاروت وماروت فكانا ملكين علما الناس السحر ليحترزوا به من سحر السحرة ويبطلوا به كيدهم، وما علما أحدا من ذلك شيئا حتى قالا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ البقرة:١٠٢، فكفر قوم باستعمالهم لما أمروا بالاحتراز منه، وجعلوا يفرقون بما تعلموه بين المرء وزوجه. قال الله عز وجل: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾البقرة: ١٠٢)، عيون أخبار الرضا عليه السلام:١/ ٢٤٥، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه:٧/ ٤٥٦، الحدائق الناضرة: ١٨/ ١٧٨، سداد العباد ورشاد العباد، الشيخ

عن أبويهما، أنّهما قالا: قلنا له – أي: للحسن العسكريِّ عليه السلام –: (فعلى هذا، لم يكن إبليس أيضاً مَلَكاً؟ فقال: لَا، بَل كَانَ مِنَ الجِنِّ، أمَا تَسمَعُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، يقول: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا** [٦١: ظ] **إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ**﴾[1]، فَأَخبَرَ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَّهُ كَانَ مِنَ الجِنِّ، وَهوَ الَّذِي قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ**﴾[2])[3].

ثُمَّ قال الإمام الحسن[4] بن عليٍّ عليهما السلام: (حَدَّثَنِي أَبِي، عَن جَدِّي، عَن الرِّضَا، عَن آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اختَارَنَا مَعَاشِرَ آلَ مُحَمَّدٍ، وَاختَارَ النَّبِيِّينَ، وَاختَارَ المَلَائِكَةَ المُقَرَّبِينَ، وَمَا اختَارَهُم إِلَّا عَلَى عِلمٍ أَنَّهُم لَا يُوَاقِعُونَ مَا يَخرُجُونَ بِهِ عَن وُلَايَتِهِ، وَيَنقَطِعُونَ بِهِ عَن عِصمَتِهِ، وَيَتَسَمُّونَ[5] بِهِ إِلَى المُستَحِقِّينَ لِعَذَابِهِ وَنِقمَتِهِ، قالا: فقلنا له: فقد رُوي لنا: أنَّ عليّاً عليه السلام لَمَّا نصَّ عليه رَسولُ الله صلى الله عليه وآله بالإمامة، عرض

حسين آل عصفور، تح: الشيخ محسن آل عصفور: ٤٣٠.

(١) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الكهف: ٥٠.

(٢) الحجر: ٢٧.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٢٤٤.

(٤) في المصدر: قال الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، اما نص تفسير الامام العسكري عليه السلام: قال الإمام عليه السلام: حدثني أبي، عن جدي، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن علي عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد نقل الحديث منه.

(٥) في المصدر: وينتمون.

اللهُ عزَّ وجلَّ ولايته في السَّماوات على فئام[1]، وفئام مِن الملائكة فأبوها، فمسَخهُم اللهُ ضفادِعَ؟ فقال عليه السلام: مَعَاذَ الله! هَؤلَاءِ المُكَذِّبُونَ لَنَا، المُفتَرُونَ عَلَينَا، المَلَائِكَةُ هُم رُسُلِ الله، فَهُم كَسَائِرِ أَنبِيَائِهِ، ورُسُلَهُ إلَى الخَلقِ، أَفَيَكُونُ مِنهُم الكُفرَ بِالله؟ قلتُ: لا قال: فَكَذَلِكَ المَلَائِكَةُ، إنَّ شَأنَ المَلَائِكَةِ لَعَظِيمٌ، وَإِنَّ خَطبَهُم لَجَلِيلٌ)[2].

وفي تفسير عليِّ بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿**وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ**﴾[3]، قال: (أَبُو إبلِيسَ، وقال: الجِنُّ مِن وُلدِ الجَانِّ، مِنهُم مُؤمِنُونَ، وَكَافِرُونَ، وَيَهُودٌ، ونَصَارَى، مُختَلِفُ أَديَانِهُم، وَالشَّيَاطِينَ مِن وُلدِ إبلِيسَ، وَلَيسَ فِيهُم مُؤمِنُونَ إلَّا وَاحِدٌ، اسمُهُ هَام بن هِيم بن لاقِيس بن إبلِيس، جَاءَ إلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فَرَآهُ جَسِيماً عظيماً، وامرُءاً مَهُولاً، فَقَالَ لَهُ: مَن أَنتَ؟ قَالَ: أَنَا هَام بن هَيم بن لَاقِيس بن إبلِيس، كُنتُ يَومَ قَتلِ قَابِيلَ هَابِيلَ غُلَامٌ ابنُ أعوَامٍ، أَنهي عَن الاعتِصَامِ، وآمُرُ بِإفسَادِ الطَّعَامِ.

فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: بِئسَ لَعَمرِي الشَّابُّ المُؤمِّلُ، وَالكَهلُ المُؤمِّر، فَقَالَ: دَع عَنكَ هَذَا يَا مُحَمَّد، فَقَد جَرَت تَوبَتِي عَلَى يَدِ نُوحٍ عليه السلام، ولَقَد كُنتُ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ، فَعَاتَبتُهُ عَلَى دُعَائِهِ عَلَى قَومِهِ، وَلَقَد كُنتُ مَعَ إبرَاهِيمَ عليه السلام حَيثُ أُلقِيَ فِي النَّارِ، فَجَعَلَهَا اللهُ ﴿**بَرْدًا وَسَلَامًا**﴾[4]، وَلَقَد كُنتُ مَعَ مُوسَى

---

(١) الفئام: (الجماعة من الناس ولا واحد له من لفظه)، مجمع البحرين، مادة (فأم).

(٢) عيون أخبار الرضا: ١/ ٢٤٤.

(٣) الحجر: ٢٧.

(٤) من قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ الأنبياء: ٦٩.

حِينَ غَرَّقَ اللهُ فِرعَونَ، وَنَجَّا بَنِي إِسرَائِيلَ، وَلَقَد كُنتُ مَع هُودٍ حِينَ دَعَا عَلَى قَومِهِ فَعَاتَبتُهُ، وَلَقَد كُنتُ مَع صَالِح فَعَاتَبتُهُ عَلَى دُعَائِهِ عَلَى قَومِهِ، وَلَقَد قَرَأتُ الكُتُب، فَكُلُّهَا يُبَشِّرُنِي بِكَ، وَالأَنبِيَاءُ يُقرِؤونَكَ السَّلَام، وَيَقُولُونَ: أَنتَ أَفضَلُ الأَنبِيَاءِ، وأَكرَمُهُم، فَعَلِّمنِي مِمَا أَنزَلَ اللهُ عَلَيكَ شَيئاً.

فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله لِأَمِيرِ المُؤمِنِينَ صَلَوَاتُ الله عَلَيهِ: عَلِّمْهُ، فَقَالَ هَام: يَا مُحَمَّد إِنَّا لَا نُطِيعُ إِلَّا نَبِيّاً أَو وَصِيَّ نَبِيٍّ، فَمَن هَذَا؟ قَالَ: هَذَا أَخِي، وَوَصِيِّ، وَوَزِيرِي، وَوَارِثِي عليّ بن أبي طالِب، قَالَ: نَعَم، نَجِد اسمُهُ فِي الكُتُبِ إِلَيَا، فَعَلَّمَهُ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ عليه السلام، فَلَمَّا كَانَت لَيلَةُ الهَرِيرِ بِصِفِّين جَاءَ إِلَى أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام)[1].

وفيه قال الصَّادق عليه السلام: (مَا مِن قَلبٍ إِلَّا وَلَهُ أُذُنَانِ، عَلَى أَحَدِهِمَا مَلَكٌ مُرشِدٌ، وَعَلَى الآخَر شَيطَانٌ مُغتَرٌّ، هَذَا يَأمُرُه وَذَا يَزجُرُه، كَذَلِكَ مِنَ النَّاسِ شَيطَانٌ يَحمِلُ النَّاسَ عَلَى المَعَاصِي، كَمَا حُمِلَ الشَّيطَان مِنَ الجِنِّ)[2].

هذا ما ظفرنا به مِن الأخبار في هذا الباب.

ويدلُّ أيضاً على أنَّ الشَّياطينَ مِنَ الجِنِّ: إنَّ اللهَ تعالى حكى عن الجِنِّ بقوله سبحانه: ﴿**وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ**

(١) تفسير القمي: ١/ ٣٧٥.

(٢) الكافي: ٢/ ٢٦٦ ح ١، تفسير القمي: ١/ ٤٥٠.

شِهَابًا رَصَدًا﴾ [1]، وقال في موضعٍ آخر: ﴿**وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ**﴾ [2].

وظاهرٌ: أَنَّ المُراد بالجِنِّ هاهنا هو الجِنس المعروف، ولعلَّه ممَّا لا خِلافَ فيه، وما ذكروه: مِن أنَّ المُراد بالجِنّ في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ**﴾[3] صِنفٌ مِنَ [٦٢: و] المَلائكة، فقد عرفتَ ضَعفَهُ، وتدفعُه رواية يوسف بن محمّد بن زياد، وعليّ بن سيّار، وأمَّا ما يُشعِرُ به كلام الشَّيخ رحمه الله مِن وُرودِ الأخبارِ بأنَ إبليس كان مِنَ الملائكة [4]، فلم نظفر به، واللهُ أعلم.

ويُمكن أن يُستدلَّ عليه بقولِ أميرِ المؤمنين عليه السلام في الخُطبة القاصعة، حيثُ قال:

«فَمَنْ بَعْدَ إِبليسَ يَسْلَمُ عَلَى الله بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلّا، ما كانَ اللهُ سُبْحانهُ، لِيُدْخلِ الجَّنةِ بَشَراً بأَمْرٍ أَخْرَجَ مِنْها مَلَكاً»[5]

---

(١) الجن: ٩.

(٢) من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ الملك: ٥.

(٣) من قوله تعالى ﴿: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الكهف: ٥٠.

(٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٣٣٣.

(٥) نهج البلاغة: ٣٧٦ خ ١٩٢.

(ويُمكن الجواب: بأنَّ إطلاق المَلَكِ عليه؛ لكونه مِنَ الملائكة بالولاء)[1].

كما دلَّ عليه خبر جميل، أو لكونه مِن أهلِ السَّماء، على ما يُشعرُ به كلامه عليه السلام بعد ذلك: ﴿إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّماءِ، وأَهْلِ الأرْضِ لَوَاحِدٌ﴾[2]، وقد أسندَ الفريقان كِلاً مِن القولينِ إلى ابن عبَّاس.

وقال الشَّيخ في التِّبيان: (وأما ما رُوي عن ابن عبَّاس، مِن: إنَّ الملائكة كانت تُقاتل الجِن، فَسُبِيَ إبليس، وكان صغيراً، فكان مع الملائكة، فتعبَّد معها، فلمَّا أُمِروُا بالسُّجود لآدَمَ، سجدوا إلَّا إبليس، فلذلك قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[3]، فإنَّه خبرٌ واحِدٌ لا يصحُّ، والمعروفُ عن ابن عبَّاس[4]: أنَّه[5] كان مِن الملائكة ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[6])[7]، وينبغي في هذا المقام التَّنبيه لأُمورٍ:

---

(١) بحار الانوار: ٦٠/ ٢١٥.

(٢) نهج البلاغة: ٣٧٧ خ١٩٢.

(٣) من قوله تعالى ﴿: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الكهف: ٥٠.

(٤) ينظر ترجمته في صفحة: ١٥٦.

(٥) أي إبليس.

(٦) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة: ٣٤.

(٧) التبيان في تفسير القرآن: ١/ ١٥٣.

الأوَّل: إنَّ المأمور بالسُّجودِ لآدم عليه السلام كان جميعُ الملائكة، حتَّى جبرئيل، وميكائيل، وسائرُ الملائكةِ المُقرَّبين، ولذلك أكَّد الكلام سبحانه بقوله: ﴿**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ**﴾[1]، ولم يتقدمَّ جبرئيل عليه السلام في الصَّلاة على هبة الله، مُحتجَّاً بأنَّه أمرٌ بالسُّجودِ لآدم عليه السلام، وخالَف في ذلك طائفةٌ، فقالوا: إنَّ الأمرَ كان خاصَّاً بِصنفٍ من الملائكة كانوا مع إبليس، طهَّر اللهُ به الأرض مِن الجَانِّ، وهو ضعيفٌ.

ومِمَن صرَّح مِن أصحابنا بالعموم شيخُ الطَّائفة في التِّبيان [2]، والشَّيخُ الجليل أبو عليّ الطَّبرسيِّ في مجمع البيان[3].

الثاني: إنَّه زَعمَ قومٌ مِن النَّحويِّين: أنَّ إبليس اسمٌ أعجميٌّ مُعرَّب، وهو لا ينصرِف للتعريف، واستدلُّوا عليه بامتناع صرفهِ[4]، وذهبَ طائفةٌ، ومنهم الطَّبريِّ[5]، والجوهري[6] إلى أنَّه عربيٌّ، مشتقٌ مِنَ الإبلاس، لأنَّه أبلسَ مِن رحمة الله، أي:

---

(١) الحجر: ٣٠.

(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٣٣٢.

(٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ١٦١.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ١/ ١١٤، مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ١٦١.

(٥) أبو القاسم اللاَّلكائي هبة اللهَّ بن الحسن بن منصور الطَّبريّ الرّازيّ الفقيه الشّافعيّ محدّث بغداد، تفقّه على الشّيخ أبي حامد الأسفراييني، وسمع من جعفر بن عبد اللهَّ بن فناكي وأبي القاسم عيسى بن عليّ الوزير وأبي طاهر المخلص وغيرهم، صنّف كتابا في السّنة، وكتابا في رجال الصّحيحين، وكتابا في السّنن، مات سنة ٤١٨هـ، ينظر: تذكرة الحفّاظ: ٣/ ١٠٨٣، شذرات الذّهب: ٣/ ٢١١.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٧/ ٢٥٦، الصحاح، مادة (بلس).

يئس، وزعموا انَّه لا ينصرِف استثقالاً له، مِن حيث أنَّه اسمٌ لا نظيرَ له في أسماء العرب، فشبهته العرب بأسماء العجم التي لا تنصرف [1].

ويدلُّ على أنَه مِنَ الإبلاسِ، ما رواه الصَّدوق رحمه الله في كتاب معاني الأخبار بإسناده عن العبَّاس بن هلال [2] عن الرِضا عليه السلام أنَّه ذكر: (أنَّ اسمَ إِبلِيس الحَارِث، وَإِنَّمَا قَولُ الله عَزَّ وَجَلَ: يَا إِبلِيسَ، يَا عَاصِي، وَسُمِّيَ إِبلِيس لَأَنَّهُ أَبلَسَ مِن رَحمَةِ الله)[3].

ورُوي في العيون، والعلل: أنَّه سألَ الشَّامي أميرَ المُؤمنين عليه السلام عن اسم إبليس، ما كان في السَّماء؟ فقال: (كَانَ اسمُهُ الحَارِث) [4].

الثالث: إنَّ الظَّاهر مِن كلامه عليه السلام: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ، وَقَبِيلَهُ﴾[5]، إنَّ إبليس كان له في السَّماءِ نَسْلاً، وذريَّة، فإنَّ الظَّاهر مِن الأخبارِ: إنَّ الملائكة صعدوا به وحده بعد إهلاك بني الجان، فليسَ أتباعُه إلَّا مِن نَسلِه، ويكونُ عدم التَّعرُّض لهم في الأخبارِ، والآيات لعدم الاعتناء بهم.

ويُحتملُ - على ما هو الظَّاهر - مِن بعضِ الأخبار، مِن أنَّه حَدَثَ لهُ

---

(١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ١٦١.

(٢) العباس بن هلال الشامي، ثقة، روى عن الإمام أبي الحسن موسى الرضا عليه السلام مولاه، ينظر ترجمته في: الرجال، النجاشي: ٢٨٢، معجم رجال الحديث: ١٠/ ٣٧١، مستدركات علم رجال الحديث: ٤/ ٣٦١، المفيد من معجم رجال الحديث: ٣٠٣.

(٣) معاني الأخبار: ١٣٨ ح ١.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٢١٩ ح ١، علل الشرائع: ٢/ ٥٩٤ ح ٤٤.

(٥) نهج البلاغة: ٢٩ خ١.

ذُرِّيَّة بعد إهباطه إلى الأرض أن يكون قبيلهُ طائفةٌ خَلقَها اللهُ تعالى في السَّماء غيرُ الملائكة، وقد فُسِّرَ القبيلُ بالجنودِ، والأعوانِ في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ**﴾(١)، كما فُسِّرَ بالنَّسل، والذُّريَّة.

و [٦٣: ظ] يمكن أن يكون إسناد الآباء من السجدة إلى قبيله من قبيل إسناد العقر في كلامه سبحانه: ﴿**إِلَى ثَمُودَ**﴾(٢)، وسيجيء في كلامه عليه السلام ﴿**أيها النّاس؛ انما يَجْمَعُ النّاسَ الرِّضى، والسَّخَطُ؛ وَإِنَّما عَقَرَ ناقَةَ ثَمُود رَجُلٌ واحِدٌ فَعَمَّهم اللهُ بالعَذاب لّما عَمُّوه بِالرِّضا فقال سبحانه: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾(٣)**﴾(٤)

والقبيلُ في الأصلِ: الجماعةُ، تكونُ مِنَ الثلاثة فصاعداً، مِن قومٍ شتَّى؛ مثلُ الرُّوم، والزِّنج، والعرب، فإن كانوا مِن أبٍ واحدٍ فهم قبيلةٌ، وجمعُ القبيلةِ: قبائل، وجمعُ القبيلِ(٥): قُبُل، بضمَّتين، قال الأخفشُ في قوله تعالى:

---

(١) من قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الاعراف: ٢٧.

(٢) من قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الاعراف:٧٣.

(٣) الشعراء:١٥٧.

(٤) نهج البلاغة: ٤٢٢ خ٢٠١.

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (قبل).

(﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾[1] أيْ: قَبِيلًا قَبِيلا)[2].

﴿ اعْتَرَتْهُمُ الحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشِّقْوَةُ، وَتَعَزَّزُوا بِخِلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ ﴾[3]

اعتراه، أي: غَشِيَهُ، وقصده[4].

والحَمِيَّةُ: الأَنَفةُ، والانكار، يُقالُ: (فلانٌ ذو حَمِيَّة، إذا كان ذا غضبٍ، وأَنَفَةٍ)[5]، وحَمَيْتُ عن كذا حِمَيَّة، ومَحْمِيَة، إذا أَنِفْتَ منهُ، ودَاخَلَكَ عارٌ[6]، والشِّقوة، بالكسرِ، نقيضُ السَّعادة، الفتحُ لغةٌ[7] فيه، وفي النُّسخ بالكسرِ[8].

والتَّعزُّز: التَّكبُّر[9]، وحَدُّ التَّكبرُّ: (بأنَّه رفعُ النَّفسِ إلى مَنزِلَةٍ لا تُستَحَقُّ)[10]،

---

(١) من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ الانعام:١١١.

(٢) معانى القرآن: ١/ ٣١٠.

(٣) نهج البلاغة: ٢٩ خ١.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (عرا).

(٥) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تح: خالد عبد الرحمن العك:٤/ ٢٠٤.

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة (حما).

(٧) ينظر: الصحاح، مادة (شقا).

(٨) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ١/ ٩٧،

(٩) ينظر: لسان العرب، مادة (عزز).

(١٠) التبيان في تفسير القرآن:١/ ١٥٤.

واستوهنه، أي: عَدَّهُ وَهِناً ضَعِيفاً[1].

والصَّلصالُ: قد مرَّ تفسيره، فقيل: إنَّه المُتغيِّر، وقيل: الطِّينُ الحُر، خُلِطَ بالرَّمل، وقيل: الطِينُ اليابس، يُصَلصِلُ؛ أي: يُصَوّتُ إذا نُقِرَ، أو لأنَّه كانت الرِّيح إذا مرَّت به سُمِعَ له صَلصَلة، وصوت[2].

روى عليّ بن إبراهيم في التَّفسير عن الصَّادق عليه السلام قال: (خَلَقَ اللهُ آدَم، فَبَقِيَ أربَعِينَ سَنَةً مُصَوَّراً، وَكَانَ يَمُرُّ بِهِ إبلِيس اللَّعين، فَيَقُولُ: لِأَمرِ مَا خُلِقتُ، فَقَالَ العَالِمِ عليه السلام: فَقَالَ إبلِيس: لَئِن أَمَرَنِي اللهُ بِالسُّجُودِ لِهَذِهِ العُصَيَّة، قال:

ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ، فَلَمَّا بَلَغَت فِيهِ الرُّوحُ إلَى دَمَاغِهِ عَطِسَ، فَقَالَ: الحَمدُ لله، فَقَالَ اللهُ لَهُ: يَرحَمُكَ اللهُ، قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: فَسَبَقَت لَهُ مِنَ الله الرَّحمَة، ثُمَ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ، وتَعَالَى لِلمَلَائكَةِ: ﴿**اسْجُدُوا لِآدَمَ**﴾[3]؛ فَأَخرَجَ إبلِيس مَا كَانَ فِي قَلبِهِ مِنَ الحَسَدِ، فَأَبَى أَن يَسجُدَ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾[4]، قَالَ الصَّادِق عليه السلام: فَأَوَلُ مَن قَاسَ إبلِيس، واستكبَرَ، والاستِكبَارُ هُوَ أَوَّلُ مَعْصِيَةٍ

---

(١) ينظر: بحار الأنوار: ٦٠/ ٢١٤.

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تحـ: عبد الرزاق المهدي:٢/ ٥٣٢، زبدة التفاسير: ٣/ ٥١٧، بحار الأنوار: ١١/ ١٠٦.

(٣) من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ الاعراف: ١١.

(٤) الاعراف: ١٢.

عُصِيَ اللهُ بِهَا، قَالَ: فَقَالَ إبْلِيسُ: يَا رَبِّ أعفِنِي مِنَ السُّجُودِ لآدَم، وَأَنَا أَعبُدُكَ عِبَادَةً لَم يَعْبُدْكَهَا مَلَكٌ مُقَرَّب، وَلَا نَبِيٌّ مُرسَل، فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لَا حَاجَةَ لِي إلَى عِبَادَتُكَ؛ إنَّمَا أُرِيدَ أَنْ أُعْبَدَ مِن حَيثُ أُرِيدُ، لَا مِن حَيثُ تُرِيد، فَأَبَى أن يَسجُدَ، فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**﴾[1])[2]

ورَوى البرقيُّ[3] في المحاسن بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (إنَّ إبلِيسَ قَاسَ نَفسَهُ بِآدَم، فَقَالَ: ﴿**خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾[4]، فَلَو قَاسَ الجَوهَر الَّذِي خَلَقَ اللهُ مِنهُ آدَم بِالنَّارِ، كَانَ ذَلِكَ أَكثَرُ نُوراً، وضِيَاءً مِنَ النَّارِ)[5].

---

(١) الحجر: ٣٤-٣٥.

(٢) تفسير القمي: ١/ ٤٢.

(٣) أبو جعفر، أحمد بن محمّد بن خالد بن عبد الرّحمن بن محمّد بن عليّ البرقيّ، أصله كوفيّ، وكان ثقة في نفسه، هرب إلى برق رود مع أبيه من ظلم يوسف بن عمر والي الكوفة، فنسب إليها، صحب الإمام الجواد والهادي عليهما السلام، وروى عنهما، وثقه أكثر من ترجم له، وصنف كتبا كثيرة، منها: المحاسن، وقد زيد في المحاسن ونقص، كتاب التبليغ والرسالة، كتاب التراحم والتعاطف، كتاب التبصرة، كتاب الرفاهية، كتاب الزي، كتاب الزينة، كتاب المرافق، كتاب المراشد، كتاب الصيانة، توفي سنة ٢٧٤ وقيل سنة ٢٨٠، ينظر ترجمته: الفهرست، الشيخ الطوسي: ٦٣، رسالة في آل أعين، أبو غالب الرازي: ٥٠، رجال النجاشي: ٧٦، رجال ابن الغضائري: ٣٩، منتهى الطلب: ٢/ ١٨٤.

(٤) من قوله تعالى ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ الاعراف: ١٢.

(٥) المحاسن، تصـ و تعـ: السيد جلال الدين الحسيني: ١/ ٢١١ ح ٨١.

قولـه عليه السلام: الجوهـر الَّـذي خَلـقَ اللهُ منـهُ آدم، ويُمكـن أن يكـونَ المُـراد بـه رُوحُ آدم الَّـذي أشـارَ إليـه سُبحانه بقولـه: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[1]، فإنَّـه قـاسَ نفسـهُ بجسـدِ آدَم المَخلـوق مِـنَ الطِّين، فقـال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾[2]، وسـيأتي الـكلام في معنـى القيـاس، وذمِّ الاسـتكبار في شرح الخُطبـة القاصعـة إنْ شـاءَ اللهُ تعـالى.

﴿فَأَعْطَاهُ اللهُ تَعالَى النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ، وَاسْتِتْماماً لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۞ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ [٦٤: و] الْمَعْلُومِ﴾[3]﴾[4]

النَظِـرة: بفتـح النُّـون، وكـسر الظَّـاء المُعجمَـة: التَّأخـيرُ، والإمهـال[5]، والسَّـخْطَة، بالسُّكون: الغضـب[6]، والبَلِيَّـةُ، والبَلْـوَى، والبَـلاءُ واحـد[7]، ويكونُ في الخـيرِ، والـشَّرِّ[8]، والابتـلاءُ، والامتحـانُ، والاختبـارُ، يقـال: بَلَوْتـه، وأَبْلَيْتُـه،

---

(١) مـن قولـه تعـالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ الحجـر: ٢٩.

(٢) مـن قولـه تعـالى: ﴿: قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ الاعـراف: ١٢.

(٣) مـن قولـه تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۞ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ الحجـر: ٣٧-٣٨.

(٤) نهج البلاغة: ٢٩ خ١.

(٥) لسان العرب، مادة (نظر).

(٦) ينظر: مفردات الفاظ القرآن، مادة (سخط).

(٧) ينظر: مجمع البحرين، مادة (بلا).

(٨) ينظر: لسان العرب، مادة (بلا).

وأَبْتَلَيْتُهُ[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[2].

وقال القتيبي[3]: يُقالُ مِنَ الخيرِ: أَبْلَيْتُهُ أُبْليهِ إِبْلاءً، ومِنَ الشرِّ: بَلَوْتُهُ أَبْلُوهُ بَلاءً[4]. والمعروفُ هو الأوَّل، واستتمام البليَّة، واتمامها، وتتميمها بمعنى.

والعِدَةُ: الوَعْدُ، والهاءُ عِوَضٌ مِن الواو[5]، وانجازُ الوعدِ: إحضاره[6]، ولعلَّ المُراد بإنجاز العِدَةُ لإبليس: إعطاؤه ما وَعَدَهُ مِنَ الثَّواب على عِبَادَتِه، وإجابَةُ دعائه لَمَّا سأَلَ الله الإنظار، فقال: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۞ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[7].

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ١٥٥.

(٢) من قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ الانبياء: ٣٥.

(٣) أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، النحوي، اللغوي، الكاتب. نزيل بغداد، كان رأسا في العربية واللغة والأخبار و أيام الناس، ولي القضاء في الدينور سنة ثلاث عشرة ومائتين، حدث عن إسحاق بن راهويه، ومحمد بن زياد الزيادي وروى عنه: عبيد الله بن عبد الرحمن السكري، وله مصنفات منها: المعارف، أدب الكاتب، عيون الأخبار، طبقات الشعراء، إصلاح الغلط، الفرس، توفي سنة ٢٧٦ هـ، ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء: ١٣/ ٢٩٧، كشف الظنون: ٢/ ١٤٦٤، إيضاح المكنون: ١/ ٣٥٦، معجم المطبوعات العربية: ١/ ٢١١.

(٤) ينظر: الفروق اللغوية: ١٢، النهاية في غريب الحديث والاثر: ١/ ١٥٥.

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (وعد).

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة (نجز).

(٧) الحجر: ٣٦- ٣٨.

وقال بعضُ الشَّارحين: معناهُ أنَّ اللهَ تعالى كان قد وَعَدَهُ الإبقاءُ[1]، وبُعدُهُ ظَاهرٌ، وكُلٌّ مِنَ المنصوبات الثلاثة مفعولٌ له لقوله عليه السلام: أَعْطاهُ، وحكايةُ الآيةِ ليسَت بلفظها؛ لُوجودِ الفاء فيها في سورة الحجر، ويُحتملُ وقوعُ التَّحريف فيها، كما وردَ في غيرها.

وأمَّا ما في سُورة الأعراف، فهكذا: ﴿**قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۞ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي**﴾[2] الآية، ويومُ الوقت المعلوم؛ أمَّا يومُ القيامة، فالمُراد أنَّ اللهَ سُبحانه أنظرَهُ، ولم يُعاجِلهُ بالعَذابِ في دار الدُّنيا، بل أخره إلى يوم القيامة.

ولعلَّه هو المُرادُ ببقائه إلى يوم الدِّين، على ما رواه عليٌّ بن ابراهيم في التَّفسير[3] عن الصَّادق عليه السلام قال: (فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**اخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**﴾[4] قَالَ إبليسُ: يَا رَبِّ، فَكَيفَ، وأنتَ العَدلُ الَّذِي لَا تَجُورُ، فَثَوَابُ عَمَلِي بَطُلَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِن سَلنِي مِن أَمرِ الدُّنيَا مَا شِئتَ ثَوَابَاً لِعَمَلِكَ أُعطِيكَ، فَأَوَّلُ مَا سَأَلَ البَقَاءَ إِلَى يَومِ الدِّينِ، فَقَالَ اللهُ: قَد أَعطَيتُكَ، قَالَ: سَلِّطنِي عَلَى وُلدِ آدَم، قَالَ: سَلَّطتُكَ، قال: أجرِنِي فِيهُم مَجرَى الدَّمِ فِي العُرُوقِ، قَالَ: قَد أجرَيتُكَ، قَالَ: لَا يُولَدُ لَهُم وَاحِدٌ إِلَّا

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ١٩٢.

(٢) من قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۞ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الاعراف:١٤- ١٦.

(٣) تفسير القمي: ١/ ٤٢.

(٤) الحجر:٣٤- ٣٥.

وُلِدَ لِي اثنَانِ، وَأَرَاهُم وَلَا يَرَونِي، وَأَتَصَوَّرُ لَهُم فِي كُلِّ صُورَةٍ شِئتُ، فَقَالَ: قَد أعطَيتُكَ، قَالَ: يَا رَبِّ زِدنِي، قَالَ: قَد جَعَلتُ لَكَ، ولِذُرِّيتِكَ صُدُورَهُم أَوطَانَاً، قَالَ: رَبِّ حَسبِيَ، قَالَ إبلِيسُ عِندَ ذَلِكَ: ﴿**فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾[1] ﴿**ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾[2])[3].

وأمَا يومُ نفخِ الصُّورِ، على ما رواه الصَّدوق رحمه الله في العلل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (يَومُ الوَقتِ المَعلُومِ: يَومَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَمُوتُ إبلِيسَ مَا بَينَ النَّفخَةِ الأُولَى، والثَّانِيَةِ)[4].

وإمَّا يومَ يَذبَحَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله على ما رواه عليِّ بن إبراهيم في التَّفسير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تَبارَك وتَعالى: ﴿**رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۞ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ**﴾[5]، قال: (يَومُ الوَقتِ المَعلُومِ يَومَ يَذبَحَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله عَلَى الصَّخرَةِ التِي فِي بَيتِ المَقدِسِ)[6].

ولا مُنافاة بين الوجوه لِمَا عرَفتَ مِن معنى البقاء إلى يوم الدِّين، وجوازُ أن يكونَ موته يوم يُنفخُ في الصُّور بالذَّبحِ، ولا مانع مِن إرادة المعاني المُتعدِّدَة

---

(١) ص:٨٢- ٨٣.

(٢) الاعراف:١٧.

(٣) تفسير القمي: ١/ ٤٢.

(٤) علل الشرائع: ٢/ ٤٠٢ ح ٢. من حديث طويل.

(٥) ص: ٧٩- ٨١.

(٦) تفسير القمي: ٢/ ٢٤٥.

في لفظِ القرآن، فإنَّ للقُرآن بُطوناً، على ما دلَّت عليه الأخبار، وما قيلَ: مِن أنَّ يوم [٦٥: ظ] الوقت المعلوم، هو اليومُ الَّذي قَدَّرَ اللهُ أجلَهُ فيه، والدَّليلُ عليه: إنَّ إبليس كان مُكلَّفاً، والمُكلَّفُ لا يجوزُ أن يَعلَمَ أنَّ اللهَ تعالى أخَّرَ أَجَلَهُ إلى الوقت الفُلاني؛ لأنَّ ذلك المُكلَّف يَعلمُ أنَّه متى تابَ قُبِلَت توبتُه، فإذا عَلِمَ وقتَ موته بعينه أقدَمَ على المَعصِيَةِ بقلبٍ فارغٍ، فإذا قَرُبَ وقتُ أَجَلِه تابَ عن تلك المعاصي، فظهرَ: أنَّ تعريف وقتِ الموتِ بعينهِ إغراءٌ بالقبيحِ، فلا يجوزُ على الله سُبحانه، فلذلك أَبهَمُ اللهُ سُبحانه عليه الوَقتَ، ولم يُجبهُ إلى ما سَأَلَ مِنَ الإمهالِ إلى يومِ الدِّين، ففيه نظرٌ؛ لبقاءِ الإبهامِ بحاله، على تقديرِ كون المُراد به يوم القيامة، أو يومَ نفخِ الصُّور، وإنَّما يتمُّ ذلك لو كان اليومان مَعلُومَينِ لهُ.

وأيضاً: فهذا؛ إنَّما يتمُّ فِيمَن يجوزُ أن يُقبلُ توبته، ولعلَّ إبليس يعلمُ أنَّه لا يُقبَلُ توبتُهُ، ولو جوَّز إبليس قبولَ توبتِه يجوزُ أن يستحقَّ هذا النُّوع مِن الإغراءِ لو أُطلِقَ عليه الإغراء على سبل الاستدراج، وأمثاله كثيرةٌ في الأخبار، وقبحُ الإغراءِ بالقبيحِ مُطلقاً، ولو بهذا المعنى ممنوعٌ.

وأُجيبَ ايضاً: بأنَّ تعريفَ الله تعالى إيَّاهُ كونُه مِن المُنظَرِينَ الى يومِ القيامَة، لا يُفيدُ إغراءه بالقبيحِ؛ لأنَّه تعالى يعلمُ أنَّه يموتُ على أقبحِ أنواعِ الكُفرِ، والفِسقِ، سواءٌ أَعلَمَهُ وقتَ موته أو لم يُعلِمَهُ، فلم يكن ذلك الإعلام مُوجِباً إغراءه بالقبيحِ[1].

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٤/ ٣٦.

﴿ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ﴾[1]

أرغَدَ عيشَتَهُ، أي: جَعلهَا رَغَداً، والرَّغدُ مِنَ العيشِ: الواسِعُ الطَّيِّبُ[2]، الَّذي ليسَ فيهِ عَناءٌ[3]، قال اللهُ تعالى ﴿وَقُلْنَا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[4]، والعيشُ: الحياةُ، والعِيشَةُ، بالكسرِ: الحالةُ التي تستمرُّ بها الحياة[5]، وفي بعضِ النُّسخِ: عَيْشه، بالفتح بدون التاء[6].

والأمنُ: ضِدَّ الخوفِ [7]، والمَحلَّة: مصدرُ قولِكَ: حَلَّ بالمَكَانِ، والإسنادُ إلى المَحلَّةِ تجوزٌ، والمُرادُ بالدَّارِ: الجَنَّةِ.

الكلام في جنّة آدم عليه السلام

واختُلِفَ في جنَّة آدم عليه السلام هل كانت في الأرضِ، أم في السَّماء؟ وعلى تقدير أنَّها كانت في السَّماء، فهل الجنَّة التي هي دارُ الثَّوابِ وجنَّةُ الخُلدِ أم غيرها؟ فذهب أكثرُ المُفسِّرين، وأكثرُ المُعتزِلَة إلى أنَّها جَنَّةُ الخُلدِ.

---

(١) نهج البلاغة: ٢٩ خ١.

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (رغد).

(٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/ ١٥٧، مجمع البحرين، مادة (رغد).

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدم اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٣٥.

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (عيش).

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ١٦٩.

(٧) ينظر: كتاب العين، مادة (امن).

وقال أبو هاشم[1]: هي جنَّةٌ مِن جِنَانِ السَّماءِ غيرُ جَنَّةِ الخُلدِ، وقال أبو مسلم الأصفهاني[2]، وأبو القاسم البلخي[3]، وطائفةٌ: هي بُستانٌ مِن بساتِين الدُّنيا في الأرضِ وهو الظَّاهِرُ مِن بعضِ الأخبارِ[4]، كما سيجيئ إنْ شاءَ اللهُ.

احتجَّ الأوَّلون بوجهين:

الأوَّل: إنَّ الألف واللَّام في الجنَّة في قوله تعالى ليس للاستغراق؛ لأنَّ سُكون جميع الجنَّات مُحالٌ، فلا بُدَّ مِن صَرفِها إلى المَعهودِ السَابق، والمعهودُ المعلوم بينَ المسلمين هي جنَّةُ الخُلد، ودارُ الثَّواب، فوجَبَ صرفُ اللَّفظ إليه، وفيه نظرٌ؛لأنَّه يُمكِن أن تكون الأُخرى التي كان يسكنُها آدم عليه السلام معهُودةٌ بينه تعالى، وبين آدم عليه السلام حين توجَّه الخطابُ إليه، ولا يلزمُ أن يكون معهوداً بينه سبحانه، وبين المسلمين، فإنَّ الكلام حكايةٌ عن مُخاطَبة آدم عليه السلام.

---

(١) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٢) أبو مسلم محمد بن بحر، الأصفهاني، معتزلي، ولد سنة ٢٥٤ وهو كاتب، متكلّم، مفسّر، محدّث، نحوي، شاعر، له كتب منها: جامع التأويل لمحكم التنزيل، على مذهب المعتزلة في ١٤ مجلداً، والناسخ والمنسوخ، وكتاب في النحو، ومات سنة ٣٢٢، ينظر ترجمته: ناسخ الحديث ومنسوخه، عمر بن شاهين، تحـ: د. كريمة بنت علي: ٥٥، إكمال النقصان من تفسير منتخب التبيان، ابن ادريس الحلي، تحـ: السيّد محمّد مهدي واخرون: ١٦، كشف الظنون: ٢/ ١٩٢٠.

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/ ١٥٦، مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ١٦٨، التفسير الكبير: ٣/ ٤، بحار الانوار: ١١/ ١٤٣.

الثاني: إنَّ المُتبادَر مِن لفظةِ الجنَّة هي دارُ الخُلد، ودارُ الثَّواب، حتَّى صارَ اللَّفظُ كالعَلَمِ لها، فوجَبَ الحملُ عليها [1].

وأُجيبَ: بعدَ تسليمِ التَّبادُر حين نُزولِ الآيةِ: بأنَّ الظَّاهر يُعدَلُ عنه عِندَ وُجودِ دليلٍ يدلُّ على خِلافه، والأخبارُ الصَّريحةُ تدلُّ على أنَّها غيرُ جنَّةِ الخُلدِ، فوجَبَ العُدول عنه.

ولا يخفى أنَّ الأخبار وإن كانت صريحةً إلَّا أنَّها يُعارِضُها [٦٦: و] ما سيجيء، وهذه وإن كانت أصرحُ إلَّا أنَّ في سندها وتعدُّدها كلامٌ.

وأحتجَّ القائلُ: بأنَّها في السَّماءِ غيرُ جنَّة الخُلدِ: بأنَّ قوله تعالى: ﴿**اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾[2] يدلُّ على الإهباطِ مِنَ السَّماءِ الى الأرض، وليست بجنَّةِ الخُلدِ، لِما سيذكُره مِن أدلَّةِ القائلين بأنَّها غيرُها، فلزِم المَطلوب.

وأُجيبَ: بأنَّ الإهباط لا يدلُّ على أنَّها كانت في السَّماء؛ لانَّ الانتقال مِن أرضٍ إلى أُخرى - على بعض الوجوه - يُسمَّى هُبوطاً، كما في قوله تعالى: ﴿**اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ**﴾[3].

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٣/ ٤.

(٢) من قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ البقرة:٢٦.

(٣) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ

ولا يخفى أنَّ آخِرَ الآيةِ تدلُّ بظاهرها على أنَّ الهُبوط كان مِن غيرِ الأرضِ، إلَّا أن يُحمَلُ اللَّام في الأرضِ على العَهدِ، أو يُأَوَّل بوجهٍ آخر للأخبارِ الآتية، ولكن تدلُّ على أنَّها كانت في السَّماء، ما رواهُ الصَّدوق رحمه الله في العيون، والعلل في حديث الشَّامي، وسيجيئ، قال: سألَ أميرُ المؤمنين عليه السلام عن أكرَمِ وادٍ على وجه الأرض، فقال له: (وَادٍ يُقَالُ لَهُ: سَرَنْدِيب[1]، سَقَطَ فِيهِ آدَم مِنَ السَّمَاءِ)[2].

واحتجَّ القائلون بأنها مِنَ "بساتينِ"[3] الأرضِ بوجوهٍ[4]:

الأوَّلُ: إنَّها لو كانت دارُ الخُلدِ لَما خرجَ آدم منها؛ لقوله: ﴿**وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾[5].

الثَّاني: إنَّ جنَّة الخُلدِ لا يَفنى نَعيمُها؛ لقوله تعالى: ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا**﴾[6]، ولقوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ**

الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ البقرة: ٦١.

(١) سرنديب: جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند، طولها ثمانون فرسخا في مثلها، وهي جزيرة تشرع إلى بحر هركند، وبحر الأعباب، ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٣/ ٢١٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٢٢١ ح ١، علل الشرائع: ٢/ ٥٩٥ ح ٤٤.

(٣) في نسخة (ب): بساطين.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٣/ ٣، بحار الانوار: ١١/ ١٤٤.

(٥) من قوله تعالى: ﴿لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ الحجر:٤٨.

(٦) من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ

فِيهَا﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾[2].

وأُجيبَ عن الوجهَينِ: بأَنَّ عَدَم الخُروجِ عن جنَّة الخُلدِ، ودوامُ النَّعيم؛ إنَّما يكونُ إذا استقرَّ أهلُ الجنَّةِ في الجَنَّةِ للثَّواب، فأمَّا قبلَ ذلك؛ فإنَّها تفنى لقوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[3].

ولا يخفى إنَّ هذا الجواب موجَّهٌ في مقامِ المَنعِ بالنِّسبةِ إلى الوجه الأوَّل، إلَّا أنَّ مِن الأخبارِ ما يدلُّ على أنَّ مَن دَخلَها لا يَخرُجُ منها مُطلقاً، فالدليلُ هي في الحقيقة، لا هذه الآية.

وما ذَكروُه في مقام السَّند لا يصلُحُ لهُ؛ لأنَّ الفناء لا يَستلزِم الخُروجَ، وأمَّا بالنِّسبة إلى الوجه الثاني، فلا يخلو عن كلامٍ؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا**﴾[4] مُطلَقٌ، ولو قيَّدَهُ آيَةُ الفناءِ في صُورةٍ مخصوصةٍ، فينبغي بقاؤه على الإطلاق في غيرها، فتأمَّل.

الثَّالث: إنَّها لو كانت جنَّةُ الخُلدِ لَما لَحِقَ آدم عليه السلام الغُرور مِن إبليس

وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ الرعد: ٣٥.

(١) من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ هود: ١٠٨.

(٢) هود: ١٠٨.

(٣) من قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ القصص: ٤٨.

(٤) من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ الرعد: ٣٥.

بقوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾[1]، وقوله: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[2]، ولَكَانَ آدم عليه السلام عَالِماً بذلك، ولم يَحتَج إلى دِلالةٍ.

ويُمكنُ الجواب: بأنَّ الغُرور لوسوسته إليه أنَّ الأكل مِنَ الشَّجرةِ يُوجِبُ خُلودَ آدم عليه السلام ومِن أينَ كان يَعلَم أنَّه مِنَ الخالدين فيها، وإن عَلِمَ أنَّها دارُ الخُلدِ، بمعنى: أنَّ مَن دخلها للثَّواب كان خالِداً فيها، مع أنَّه غيرُ لازمٍ أيضاً.

الرَّابع: إنَّه لا يجوزُ في حكمته تعالى أن يبتدئ الخَلقَ في دارٍ يُخَلِّدَهُم فيها بلا تكليفٍ، فإنَّه لا بُدَّ مِن ترغيبٍ وترهيبٍ، وَوَعدٍ وَوَعِيدٍ.

ويُمكنُ الجواب: بأنَّه إنَّما يكونُ مُخالِفاً للحِكمَةِ لو لَم يَعلَم اللهُ سُبحانه أنَّ آدم عليه السلام يُخالِف الأمرَ، فيُخرَجُ منها، وقد كان عالِماً بذلك، فلا يُنافي الحِكمَة.

الخامس: إنَّ إبليس لَمَّا امتنَعَ مِن السُّجودِ لُعِنَ، فكيفَ كان يَقدِرُ أن يَدخُلَ جنَّة الخُلدِ ويُوسوسُ آدم عليه السلام.

وأُجيبَ: بأنَّ وسوسته لآدم عليه السلام لا يستلزمُ دُخولهُ الجنَّة، وقد قيل: أنَّه كان يَقرُبُ إلى بابِ الجنَّة، فيُوسوسُ إليه، وقيل فيه وُجوهٌ أُخر، مع أنَّ كون

---

(١) من قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ طه: ١٢٠.

(٢) من قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ الاعراف: ٢٠.

لَعنِهِ مَانِعاً [٦٧: ظ] مِن دُخولـه الجنَّة على أيِّ وجهٍ كان ممنوع.

السَّادس: إنَّه لا نِزاعَ في أنَّ اللهَ سُبحانَهُ خَلَقَ آدَم عليه السلام في الأرضِ، ولم يَذكُر في هذه القصَّة رُفِعَ إلى السَّماء، مع أنَه مِن أعظمِ النِّعم، ودفعُهُ ظاهرٌ.

ولا يذهبُ عليكَ أنَّ هذه الأدلَّة بعد تمامها لا يدلُّ على أنَّها كانت في الأرضِ، فلا ينفي ما ذَهبَ إليه مَن يقولُ بأنَّها غيرُ جنَّةِ الخُلدِ، وكانت في السَّماءِ، نعم: هو الأظهرُ مِنَ الأخبارِ.

روى عليُّ بن إبراهيم في التَّفسير رَفَعهُ، قال: سُئِلَ أبو عبدالله عليه السلام عن جنَّةِ آدَم عليه السلام أَمِنْ جِنَانِ الدُّنيا، أم مِن جِنَانِ الآخِرَة؟:(فَقَالَ: كَانَت مِن جِنَانِ الدُّنيَا، تَطلُعُ فِيهَا الشَّمسُ وَالقَمَرُ، وَلَو كَانَت مِن جِنَانِ الآخِرَةِ مَا خَرَجَ مِنهَا أَبَداً)[1].

روى الصَّدوق رحمه الله في العلل بإسناده عن الحسن بن بشَّار [2] عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألتُه عن جنَّةِ آدم؟ فقال: (جَنَّةٌ مِن جِنَانِ الدُّنيَا، تَطلُعُ

---

(١) تفسير القمي: ١/ ٤٣.

(٢) الحسن بن بشار المدائني، روى عن الإمام الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام وقف ثمَّ رجع، وهو ثقة صحيح، فهو عن رجال الشيخ. وعده البرقي من دون توصيف بالمدائني، ينظر ترجمته: الرجال، الشيخ الطوسي: ٣٧٥، الرجال، ابن داود: ٧٢، شعب المقال في درجات الرجال، ميرزا أبو القاسم النراقي، تحـ: الشيخ محسن الأحمدي:٦٤، مستدركات علم رجال الحديث:٢/ ٣٥٦، معجم رجال الحديث: ٥/ ٢٧٨.

فِيهَا الشَّمسُ وَالقَمَرُ، وَلَو كَانَت مِن جِنَانِ الخُلدِ مَا خَرَجَ مِنهَا أبدَاً)[1].

وروى محمّد بن يعقوب الكليني[2] رحمه الله عن الحسين بن [...][3] مثله، ولعلَّ الظَّاهرَ مِن رُواية الهروي[4] عن الرِّضا عليه السلام، ورُواية المُفضَّل[5] عن الصَّادق عليه السلام، وسنذكرها إنْ شاءَ اللهُ تعالى في تحقيق الشَّجرة، أنَها لَيسَت مِن جِنَانِ الدُّنيا، لكنَّ الأخبار المذكورة أصرحُ، وفي الجميعِ مِن حيث السَّند كلامٌ، وكذا في تعدُّد تلك الأخبار كما سَبَقَ.

وظاهِرُ الشَّيخ في التِّبيان، والشَّيخُ الطَّبرسي في مَجمَع البيان الميلُ إلى أنَّها جنَّةُ الخُلدِ، واللهُ يعلَمُ[6].

ويُمكن أن يُستدلّ له بقوله عليه السلام في هذه الخُطبة: ﴿وَوَعَدَهُ المَرَدَّ إِلَى

---

(١) علل الشرائع: ٢/ ٦٠٠ ح ٥٥.

(٢) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٣) لم ترد الكلمة في النسخ الثلاث وانما ترك مكانها فارغاً. اما الكليني فقد رواه في الكافي عن الحسين بن ميسر، ينظر: الكافي: ٣/ ٢٤٧ ح٢.

(٤) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٥) أبو عبد الله المفضل بن عمر الجعفي الكوفي، من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام، وقد وقع الخلاف في توثيقه وتضعيفه. فنجد الشيخ المفيد وثقة في الإرشاد بقوله: إنه من شيوخ أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وخاصته وبطانته وثقاته، وضعفه النجاشي بقوله: فاسد المذهب مضطرب الرواية، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ٤١٦، خلاصة الأقوال: ٤٠٧، منتهى المطلب: ٤/ ١٧١، رجال ابن الغضائري: ٨٧.

(٦) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤/ ٢٦٧، مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ١٦٩.

جَنَّتِهِ﴾[1]، وبما في الخبرِ الَّذي سنذكُره في شرَحه مِن إعادة آدم إلى الدَّار التي أُخرِجَ منها، وجَعلُ العودِ والردِّ باعتبار الاشتراك في الجِنسِ لا يخلو عن بُعْدٍ.

ولو قيلَ بكونها في السَّماءِ على وجهٍ تَطلُعَ فيها الشَّمسُ والقمرُ، حتَّى يحصلَ الجمعُ بين هذه الأخبار، وبين ظاهر قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[2]، وما ذُكِرَ مِن حديثِ الشَّامي أمكن أن يكون وجهاً، واللهُ أعلم.

﴿وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ، وَعَدَاوَتَهُ﴾[3]

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدم إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾[4].

﴿فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ، وَمُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَالعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ﴾[5]

اغترَّه، أي: طَلَبَ غفلته، وأتاه على غِرَّةٍ، والغِرَّة: الغُفْلة، واغترَّ فلانٌ بالشَّيء، أي: خُدِعَ به[6]، ونفِسْتُ عليه الشيَّء، وبالشيَّءِ بالكسر، نَفاسَةً

(١) نهج البلاغة: ٣٠ خ١.

(٢) الاعراف: ٢٤.

(٣) نهج البلاغة: ٢٩ خ١.

(٤) طه:١١٧.

(٥) نهج البلاغة: ٢٩ خ١.

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة (غرر).

بالفتح، إذا لم تره له أهلاً، وَنفِسْتُ به، بالكسر أيضاً، أي: بَخِلتُ به [1].

والمُقامُ، بالضمِّ: مصدرُ أقام إقامَةً، ولا مُقامَ لكم، أي: لا إقامَة لكُم [2]، ويكونُ للموضِعِ أيضاً، ولعلَّ المُراد بالأبرار الذين كانوا رُفَقاءُ آدم عليه السلام في الجنَّةِ هُم الملائكة.

وللشارحين في بَيعِه اليقين بالشكِّ وجوهٌ [3]:

الأوَّل: إنَّ معيشة آدم في الجنَّة كانت على حالٍ يَعلمُها يقيناً، وما كان يَعلَمُ كيف يكونُ معاشُه بعد مُفارقتها.

الثَّاني: إنَّ ما أخبرَه اللهُ تعالى مِن عداوةِ إبليس بقوله: ﴿**إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ**﴾[4] كان يقيناً باعثهُ بالشَّكِّ في نُصحِ إبليس: ﴿**وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ**﴾[5].

الثَّالث: إنَّ هذا مَثلٌ قديمٌ للعرب لِمَن عَمِلَ عَمَلاً لا يَنفَعُه، وتركَ ما ينبغي له أن يَفعلُه.

ويُحتملُ أن يكون المعنى: إنَّ كونَه في الجنَّةِ كان يقيناً فباعَهُ؛ بأنَّ أَكَلَ مِنَ

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، مادة (نفس).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (قوم).

(٣) بحار الانوار: ١١/ ١٢٤.

(٤) من قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ طه:١١٧.

(٥) الاعراف: ٢١.

الشَّجرةِ، فأُهبِطَ إلى دارِ [٦٨ : ظ] التَّكليف التي مِن شأنها الشَّكُّ في انَّ المصير منها إلى الجنَّةِ أو إلى النَّار[١]، ولا يُنافيه كونُ رُجوعِه إلى الجنَّة بعدما صارَ نبيَّاً، واصطفاهُ اللهُ سُبحانه يقيناً.

والعزيمَةُ، والعَزمُ في الأصلِ: توطينُ النَّفس على الفِعلِ، وَالقَطعِ[٢] عليه، ويُستعمَلُ بمعنى الجِد، والصَّبرِ، والثَّبات على الأمرِ، والقُوَّة[٣]، والوهنُ: هو الضَّعفُ[٤]، ولا ريبَ في أنَّ بيعَ اليقِين بالشَّكِّ، والعزيمةُ بالوهنِ كان بالأكلِ مِنَ الشَّجرة.

الكلام في الشجرة المنهيّة

واختُلِفَ فيها، فقيل: هي السُّنبلَةُ، رووه عن ابن عبَّاس[٥]، ويدلُّ عليه ما رواه في القصص بالإسنادِ عن الصَّادق عليه السلام قال: (الشَّجَرَةُ الَتِي نُهِيَ عَنهَا آدَم صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِ هِيَ السُّنبُلَة)[٦].

ويُحملُ عليه ما رواه الصَّدوق رحمه الله في العيون عن عليِّ بن الجهم[٧] عن

---

(١) ينظر: بحار الانوار: ١١/ ١٢٤.

(٢) ينظر: رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ٢٧٨.

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (عزم).

(٤) ينظر: كتاب العين، مادة (وهن).

(٥) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٦) قصص الأنبياء: ٤٦ ح ٧، تفسير ابن زمنين، ابن أبي الزمنين، تحـ: أبو عبد الله حسين بن عكاشة: ١/ ١٣٣، التبيان في تفسير القرآن: ١/ ١٥٨.

(٧) علي بن محمد بن الجهم أحد النواصب المبغضين لأهل البيت عليهم السلام، حتى ان

الرِّضا عليه السلام في حديث عِصمَة الأنبياء عليهم السلام قال: (قَالَ اللهُ لِآدَم عليه السلام ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾[1]، وأَشَارَ إلىَ شَجَرَةِ الحِنطَة: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2])[3]، وقيل: هي الكَرمَةُ، رووه عن ابن مسعود[4]

والسُّدِّي[5]، ويدلُّ عليه ما رووه في القصص قال: في رُوايةٍ أُخرى عن

الصدوق قال بعد نقله لهذا الحديث: وهذا الحديث عجيب من طريق علي بن محمد بن الجهم مع نصبه، وبغضه، وعداوته لأهل البيت عليهم السلام، ينظر ترجمته: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ١٨٢، تاريخ آل زراره: ١٩٣، جامع الرواة: ١/ ٥٩٧، معجم رجال الحديث: ١٣/ ١٤٢، مستدركات علم رجال الحديث: ٥/ ٤٤٢.

(١) من قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٣٥.

(٢) البقرة: ٣٥.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ١٧٤ ح ١.

(٤) أبو عبد الرحمن، عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شخص بن هذيل الهذلي، حليف بني زهرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وخادمه، أسلم قبل عمر، وحفظ من في رسول الله صلى الله عليه وآله سبعين سورة، شهد بدرا، والمشاهد بعدها، روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسعد بن معاذ، وروى عنه: أبو رافع، وجابر، وأنس وآخرون. توفي بالمدينة سنة ٣٢ ه، ينظر ترجمته: المسائل السروية، الشيخ المفيد، تح: صائب عبد الحميد: ١٠٤، الناصريات: ١٩٨، البيان، الشهيد الاول، تح: الشيخ محمد الحسّون: ١٦٢، الكنى والالقاب: ١/ ٢١٧، خاتمة المستدرك: ٨/ ١٧٣.

(٥) أبو محمد، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، الإمام، المفسرِّ، الحجازي، حدَّث عن أنس بن مالك وابن عبّاس، كان من أصحاب علي بن الحسين ومحمد بن علي

الصَّادق عليه السلام أنَّه قال: «أنَّ الشَّجَرَة التِي نُهِيَ عَنهَا آدَم عليه السلام، وهيَ شَجَرَةُ العِنَب»[1].

وقيل: هي شَجرَةُ الكافور، وقال الشَّيخُ رحمه الله في التِّبيان: رُوي عن عليٍّ عليه السلام أنَّه قال: «شَجَرَةُ الكَافُورِ»[2]، وذَكَرَه الشَّيخ الطَّبرسي رحمه الله في مجمع البيان[3].

وقيل: هي التِّينةُ، وقيل: شجرةُ العِلم، عِلمَ الشَّر، والخير، وقيل: هي شَجرَةُ الخُلدِ التي كانت تأكُلُ منها الملائكة[4].

والرِّوايةُ الجامعة في ذلك: ما رواه الصَّدوق رضي الله عنه في كتاب معاني الأخبار، وعيون أخبار الرِّضا عليه السلام بإسناده عن الهروي قال: (قلتُ للرِّضا عليه السلام: يا ابن رسُول الله، أخبرني عن الشَّجرة التي أَكلَ منها آدم، وحوا، ما كانت؟ فقد أختلفَ النَّاس فيها؛ فمنهم مَن يروي أنَّها الحِنطَةُ، ومنهم: مَن يروي أنَّها

وجعفر بن محمد عليهما السلام قال النسائي: صالح الحديث، روى كذلك عن الامامين السجاد والباقر عليهما السلام توفي سنة ١٢٧ه، ينظر ترجمته: دراسات فقهية في مسائل خلافية، الشيخ نجم الدين الطبسي: ٧٠، الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام عبد الحسين الشبستري:١/ ١٧١، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٤/ ٢٧٦.

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١/ ٣٣٢، التبيان في تفسير القرآن: ١/ ١٥٨، قصص الأنبياء: ٤٦ ح ٨.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ١/ ١٥٨.

(٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ١٦٩.

(٤) ينظر:المصدر نفسه: ١/ ١٦٩.

العِنَب، ومنهم: مَن يروي أنَّها شَجرةُ الحَسَد؟! فقال: كُلُّ ذَلِكَ حَقٌّ قلتُ: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال: يَا أَبَا الصَّلت! إنَّ شَجَرَة الجَنَّة تَحمِلُ أَنواعاً، فَكَانَت شَجَرَةُ الحِنطَة، وَفِيهَا عِنَب، وَلَيسَت كَشَجَرِ الدُّنيَا، وَإِنَّ آدَم عليه السلام لَمَّا أَكرَمَهُ اللهُ تَعَالَى ذِكرُه بِإِسجَادِ مَلَائِكَتِه لَهُ، وَبِإِدخَالِهِ الجَنَّةَ، قَالَ فِي نَفسِهِ: هَل خَلَقَ اللهُ بَشَراً أَفضَلُ مِنِّي؟ فَعَلِمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا وَقَعَ فِي نَفسِهِ، فَنَادَاهُ عَزَّ وَجَلَّ: إرفَع رَأسَكَ يَا أَدَم، فَانظُر إِلَى سَاقِ عَرشِي.

فَرَفَعَ آدمُ رَأسَهُ، فَنَظَرَ إِلَى سَاقِ العَرشِ، فَوَجَدَ عَلَيهِ مَكتُوباً: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، عَلِيٌّ بن أَبِي طَالِب أَمِيرُ المُؤمِنِينَ، وَزَوجُهُ فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِينَ، وَالحَسَنُ، والحُسَينُ سِيِّدَا شَبَابِ أَهلِ الجَنَّةِ.

فَقَالَ آدَم عليه السلام: يَا رَبِّ! مَن هَؤلَاءِ؟ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: مِن ذُرِّيَّتِك، وَهُم خَيرٌ مِنكَ، ومِن جَمِيعِ خَلقِي، وَلَو لَاهُم مَا خَلَقتُكَ، وَلَا خَلَقتُ الجَنَّةَ، والنَّارِ، وَلَا السَّمَاء وَالأَرضِ، فَإِيَّاكَ أَن تَنظُرَ إِلَيهِم بِعَينِ الحَسَدِ، فَأُخرِجُكَ عَن جِوَارِي، فَنَظَرَ إِلَيهِم بِعَينِ الحَسَدِ، وَتَمَنَّى مَنزِلَتَهُم، فَتَسَلَّطَ الشَّيطَانُ عَلَيهِ، حَتَّى أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ التِي نُهِي، وَتَسَلَّطَ عَلَى حَوَّاءَ؛ لِنَظَرِهَا الَى فَاطِمَةَ عَلَيهَا السَّلَام بِعَينِ الحَسَدِ، حَتَّى اَكَلَت مِنَ الشَّجَرَةِ كَمَا أَكَلَ آدَم، فَأَخرَجَهُمَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَن جَنَّتِهِ، وَأَهبَطَهُمَا عَن جِوَارِه إِلَى الأَرضِ)[1].

ورُوي في كتاب معاني الأخبار بالإسنادِ عن المُفضَّل[2]، قال: قال أبو

(١) معاني الأخبار: ١٢٤ ح ١، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٢٧٤ ح ٦٧.

(٢) ينظر ترجمته في القسم الأول.

عبدالله عليه السلام: (خَلَقَ اللهُ [٦٩: و] الأَرْوَاحَ قَبلَ الأَجسَادِ بِأَلفَي عَامٍ، فَجَعَلَ أَعلاهَا، وأَشرَفَهَا أَرْوَاحُ مُحَمَّدٍ، وعَلِيٍّ، وفَاطِمَةَ، والحَسَنِ، والحُسَينِ، والأَئِمَّةُ بَعدَهُم، صَلَوَاتُ الله عَلَيهِم، فَعَرَضَهَا عَلَى السَّمَاوَاتِ، والأَرضِ، والجِبَالِ، فَغَشِيهَا نُورُهُم، فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلسَّمَاوَاتِ، والأَرضِ، والجِبَالِ: هَؤلَاءِ أَحِبَّائِي، وَأَولِيَائِي، وَحُجَجِي عَلَى خَلقِي، وَأَئِمَّةُ بَرِيَّتِي، مَا خَلَقتُ خَلقاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنهُم، لَهُم، ولِمَن تَوَلَّاهُم خَلَقتُ جَنَّتِي، وَلِمَن خَالَفَهُم، وعَادَاهُم خَلَقتُ نَارِي، فَمَن ادَّعَى مَنزِلَتَهُم مِنِّي، ومَحَلَّهُم مِن عَظَمَتِي، عَذَّبتُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِن العَالَمِينَ، وَجَعَلتُهُ مِنَ المُشرِكِينَ فِي أَسفَلِ دَرَكٍ مِن نَارِي، وَمَن أَقَرَّ بِوَلَايَتِهِم، وَلَم يَدَّعِ مَنزِلَتَهُم مِنِّي، وَمَكَانَهُم مِن عَظَمَتِي، جَعَلتُهُ مَعَهُم فِي رَوضَاتِ جِنَّانِي، وَكَانَ لَهُم فِيهَا مَا يَشَاؤونَ عِندِي، وَأَبَحتُهُم كَرَامَتِي، وَأَحلَلتُهُم جِوَارِي، وَشَفَّعتُهُم فِي المُذنِبِينَ مِن عِبَادِي، وإِمَائِي، فَوُلَايَتُهُم أَمَانَةٌ عِندَ خَلقِي، فَأَيُّكُم يَحمِلُهَا بِأَثقَالِهَا، وَيَدَّعِيهَا لِنَفسِهِ دُونَ خِيَرَتِي؟، فَأَبَت السَّمَاوَاتُ، والأَرضُ، والجِبَالُ أَن يَحمِلنَهَا، وَأَشفَقنَ مِن ادِّعَاءِ مَنزِلَتِهَا، وَتَمَنِّي مَحَلِّهَا مِن عَظَمَةِ رَبِّهَا، فَلَمَّا أَسكَنَ اللهُ آدَم، وزَوجَتَه الجَنَّة، قَالَ لَهُمَا: ﴿**كُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[1] يَعنِي شَجَرَةَ الحِنطَةِ ﴿**فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾، فَنَظَرَ إِلَى مَنزِلَةِ مُحَمَّدٍ، وعَلِيٍّ، وفَاطِمَةَ، والحَسَنِ، والحُسَينِ، وَالأَئِمَّةُ بَعدَهُم، فَوَجَدَاهَا أَشرَفُ مَنَازِلَ الجَنَّةِ، فَقَالَا: يَا رَبَّنَا، لِمَن هَذِهِ المَنزِلَة؟ فَقَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ارفَعَا رُؤوسَكُمَا إِلَى سَاقِ عَرشِي،

---

(١) من قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٣٥.

فَرَفَعَا رُؤوسَهُمَا، فَوَجَدا أَسمَاءَ مُحَمَّدٍ، وعَلِيٍّ، وفَاطِمَةَ، والحَسَن، والحُسَين، والأَئمَّة بَعدَهُم، صَلَواتُ الله عَلَيهِم مَكتُوبَةً عَلَى سَاقِ العَرشِ بِنُورٍ مِن نُورِ الجَبَّارِ جَلَّ جَلَالُهُ، فَقَالَا: يَا رَبَّنَا، مَا أَكرَمَ أَهلِ هَذِهِ المَنزِلَة عَلَيكَ، وَمَا أَحَبَّهُم إِلَيكَ، وَمَا أَشرَفَهُم لَدَيكَ! فَقَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: لَولَاهُم مَا خَلَقتُكُمَا، هَؤلَاءِ خَزَنَةُ عِلمِي، وَأُمَنَائِي عَلَى سِرِّي، إِيَّاكُمَا أَن تَنظُرَا إِلَيهِم بِعَينِ الحَسَدِ، وَتَتَمَنَّيَا مَنزِلَتَهُم عِندِي، وَمَحَلَّهُم مِن كَرَامَتِي، فَتَدخُلَا فِي نَهيِي، وعِصيَانِي، فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، قَالَا: رَبَّنَا، وَمَن الظَّالِمُونَ؟ قَالَ: المُدَّعُونَ لِمَنزِلَتِهِم بِغَيرِ حَقٍّ. قَالَا: رَبَّنَا فَأَرِنَا مَنَازِلَ ظَالِمِيهُم فِي نَارِكَ، حَتَّى نَرَاهُم كَمَا رَأَينَا مَنزِلَتَهُم فِي جَنَّتِكَ، فَأَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّارَ، فَأُبرِزَت جَمِيعَهَا فِيهَا مِن أَلوَانِ النَّكَالِ، والعَذَابِ، وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَكَانُ الظَّالِمِينَ لَهُم، المُدَّعِينَ لِمَنزِلَتِهِم فِي أَسفَلِ دَرَكٍ مِنهَا ﴿**كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا**﴾[1]، وكُلَّمَا نَضَجَت جُلُودَهُم بُدِّلُوا سِوَاهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ[2].

يَا آدَم، ويَا حَوَا لَا تَنظُرَا إِلَى أَبرَارِي، وحُجَجِي بِعَينِ الحَسَدِ فَأُهبِطَكُمَا عَن جِوَارِي، وَأُحِلُّ بِكُمَا هَوَانِي، فَوَسوَسَ لَهُمَا الشَّيطَانُ لِيُبدِيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا، وَقَالَ: ﴿**مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**﴾[3]، وحَمَلُهُمَا عَلَى تَمَنِّي مَنزِلَتِهِم، فَنَظَرَا إِلَيهِم بِعَينِ

(١) من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ السجدة: ٢٠.

(٢) اشارة الى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء: ٥٦.

(٣) من قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا

الحَسَدِ فَخُذِلَا، حَتَّى أَكَلَا مِن شَجَرَةِ الحِنطَةِ فَعَادَ مَكَانَ مَا أَكَلَا شَعِيرًا، فَأَصلُ الحِنطَةِ كُلُّهَا مِمَّا لَا يَأكُلَاهُ، وَأصلُ الشَّعِيرِ كُلُّهُ مِمَّا عَادَ مَكَانَ مَا أَكَلَاهُ، فَلَمَّا أَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ، طَارَ الحُلِي، والحُلَلِ عَن أَجسَادِهِمَا [ظ: ٧٠]، وَبَقِيَا عَرِيَانَينِ ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ۞ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1] ﴿قَالَ اهْبِطَا﴾[2] مِن جِوَارِي، فَلَا يُجَاوِرُنِي فِي جَنَّتِي مَن يَعصِينِي، فَهَبَطَا مَوكُولَينِ إِلَى أَنفُسِهِمَا فِي طَلَبِ المَعَاشِ، فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَن يَتُوبَ عَلَيهِمَا، جَاءَهُمَا جَبرَئِيلُ، فَقَالَ لَهُمَا: إِنَّكُمَا إِنَّمَا ظَلَمتُمَا أَنفُسَكُمَا بِتَمَنِّي مَنزِلَةِ مَن فُضِّلَ عَلَيكُمَا، فَجَزَاؤُكُمَا مَا قَد عُوقِبتُمَا بِهِ مِنَ الهُبُوطِ مِن جِوَارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى أَرضِهِ، فَاسأَلَا رَبَّكُمَا بِحَقِّ الأَسمَاءِ الَّتِي رَأَيتُمُوهَا عَلَى سَاقِ العَرشِ حَتَّى يَتُوبَ عَلَيكُمَا، فَقَالَا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسأَلُكَ بِحَقِّ الأَكرَمِينَ عَلَيكَ؛ مُحَمَّدٌ، وعَلِيٌّ، وفَاطِمَةُ، والحَسَنُ، والحُسَينِ، والأَئِمَّةِ عليهم السلام إِلَا تُبتَ عَلَينَا، ورَحِمتَنَا، فَتَابَ اللهُ عَلَيهِمَا، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

فَلَم تَزَلِ أَنبِيَاءُ اللهِ بَعدَ ذَلِكَ يَحفَظُونَ هَذِهِ الأَمَانَةَ، وَيُخبِرُونَ بِهَا

نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ الاعراف: ٣٥.

(١) من قوله تعالى: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ۞ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الاعراف: ٢٢-٢٣.

(٢) من قوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ طه: ١٢٣.

أَوصِيَائَهُـم، وَالمُخلِصِـينَ مِـن أُمَمِهِـم، فَيَأبَـونَ حَملَهَـا، وَيُشـفِقُونَ مِـن ادِّعَائِهَـا، وَحَمَلَهَا الإِنسَـانُ الَّـذِي قَـد عَـرَف، فَأَصـلُ كُلُّ ظُلـمٍ مِنـهُ إِلَى يَـومِ القِيَامَـةِ، وَذَلِـكَ قَـولُ الله عَـزَّ وَجَـلَّ: ﴿**إِنَّـا عَرَضْنَـا الْأَمَانَـةَ عَـلَى السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَـالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَـا وَأَشْـفَقْنَ مِنْهَـا وَحَمَلَهَـا الْإِنْسَـانُ إِنَّـهُ كَانَ ظَلُومًـا جَهُـولًا**﴾[1])[2]، وَلا يذهـبُ عليـكَ أنَّ الأظهـر في هاتـين الرِّوايتين: أنَّ جنَّـة آدم عليه السلام كانـت مِـن جِنَـانِ الآخـرَةِ، ويحتمـلُ أن تكـونَ الجنَّـة التـي تـأوي إليهـا أرواحِ المُؤمنـينَ قبـلَ القيامـةِ، فـكانَ آدم عليه السلام رأى منـازِلَ آلِ محمَّـد صـلَّى اللهُ عليـه، وآلـه فيهـا، كـما تـدلُّ عليـه الرِّوايـة الثانيـة، وحَملُهـا عـلى أنَّـه رأى منازِلهُـم مِـن جنَّـةٍ أُخـرى بعيـدةٌ.

ولا يُتوهَّـم مِـن الرِّوايـة الثانيـة أنَّ آدم عليه السلام بتمنِّـي منزلتهُـم صـارَ مِـن الظَّالمـين المُدَّعـين لمنزلتهِـم عـلى الحقيقـة حتَّـى يسـتحقَّ بذلـك أليـم النَّـكال، فـإنَّ في عَـدِّهِ مِـنَ الظَّالمـين في هـذه الرِّوايـة نوعـاً مِـنَ التَّجـوُّز، فـإنَّ (مَـن تَشَـبَّهَ بِقَـومٍ فَهـوَ مِنهُـم)[3] وتشـبُّهه عليه السلام بهـم في التمنِّـي، ومخُالَفَـةِ الأمـرِ لا في ادِّعـاء المَنزِلَـة، ويظهـرُ منهـا أنَّ حَمـلَ الأمانَـةِ غـيرُ حِفظِهـا، يُرشِـدُكَ إلى ذلـك قولـه عليه السلام: (فَلَـم تَـزَل أَنبِيَـاءُ الله يَحفَظُـونَ هَـذِهِ الأَمَانَـة)، إلى قوله:(فَيَأبَـونَ حَملَهَـا، وَيُشـفِقُونَ مِـن ادِّعَائِهَـا)، فالمُـرادُ بحملِهـا ادِّعاؤهـا بغـيرِ حقِّهـا، وتضييعهـا،

---

(١) الاحزاب: ٧٢.

(٢) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ١٠٨ ح ١.

(٣) هـذا حديـث للنبـي محمـد صلى الله عليه وآله رواه ابـن داود السجسـتاني في السـنن: ٢/ ٢٥٥، بدائـع الصانـع، ابي بكـر الكاشـاني: ٢/ ١٤٠، مصنـف ابـن أبي شـيبة في الأحاديـث والآثـار، ابـن ابي شـيبة الكـوفي، تحـ: سـعيد اللحـام:٧/ ٦٣٩ح٧.

قال الزَّجَّاج[1]: (كُلُّ مَن خانَ الأمانةَ فقد حَمَلَها، وَمَن لم يحمِل الأمانةَ فقد أدَّاها)[2]، وبذلك صرَّح جماعةٌ مِن المُفسِّرين[3]، فآدَم عليه السلام لم يكُن مِنَ الحَامِلِينَ للأمانةِ، على ما ذهبَ إليه طائفةٌ مِنَ المُفسِّرين، وفسَّروا الإنسانَ بآدَم عليه السلام، والظَّاهرُ أنَّ مُرادُه عليه السلام بالإنسان في قوله عليه السلام الإِنسَانُ الَّذِي عَرَفَ، هُوَ أَبُو بَكرٍ، فإنَّه أوَّلُ مَن خَانَ الأَمانةَ، وضيَّعها، ولعلَّ المُرادُ بنظرِ آدم عليه السلام بعينِ الحَسَدِ، هو تمنِّي منزِلَتهُم عِندَ الله، كما يدلُّ عليه قوله عليه السلام: إِيَّاكُمَا أَن تَنظُرَا إِلَيهِم بِعَينِ الحَسَدِ، وَتَتَمَنَّيَا مَنزِلَتَهُم عِندِي، وَمَحَلَّهُم مِن كَرَامَتِي[4].

عصمة الأنبياء عليهم السلام

وأعلم أنَّ أقوى شُبَهِ المُخْطِّئين لأنبياءِ الله صلواتُ الله عليهم الظَّواهرُ الدالَّة على عصيان آدم عليه السلام، وحَمْلُوهَا على ظواهرِها، بناءً على أصلهم مِن عدمِ وُجوبِ عِصمَةِ الأنبياء عليهم السلام، وسيظهرُ لكَ وجهُ الخطأ في ذلك، وفي أصلهم.

وضبطُ القولِ في هذا المقام، أن يُقال: الاختلافُ [و: ٧١] في هذا الباب يرجِعُ إلى أقسامٍ أربعةٍ:

أحدها: ما يقعُ في باب الاعتقاد.

وثانيها: ما يقعُ في باب التَّبليغ.

---

(١) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٣٨.

(٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٨/ ١٨٧.

(٤) ينظر: بحار الانوار: ١١/ ١٧٥.

وثالثها: ما يقعُ في باب الأَحكامِ، والفُتيا.

ورابعها: في أفعالِهم، وسيَرِهُم.

أمَّا الكفرُ، والضَّلالُ في الاعتقاد: فأجمعَت الأُمَّةُ على عصمتهم عنهما قبلَ النُّبوَّةِ، وبعدها، ولا خِلافَ لأحدٍ منهُم في ذلك، غيرَ أن الأزارِقَة[1] مِنَ الخوارِج، جوَّزُوا عليهم الذَّنبَ، وكُلُّ ذنبٍ عِندَهُم كُفرٌ، فلزِمَهُم تجويزُ الكفرِ عليهم، بل يُحكَى عنهم أنَّهم قالوا: يجوزُ أن يبعثَ اللهُ نبيَّاً عَلِمَ أنَّه يَكفُرُ بعد نُبوَّته[2].

وأمَّا النوعُ الثاني: وهو ما يتعلَّقُ بالتبليغِ، فقد اتَّفقت الأُمَّةُ، بل جميعُ أربابِ المِلَلِ، والشَّرائع على وُجوبِ عِصمتهم عن الكذب، والتَّحريف فيما يتعلَّقُ بالتَّبليغ، عَمدَاً وَسَهواً، إلَّا القاضي أبو بكر[3] فإنَّه جوَّز ما كان مِن ذلك على سبيل النِّسيان، وفلتاتِ اللِّسان[4].

وأمَّا النَّوع الثالث: وهو ما يتعلَّقُ بالفُتيا، فأجمعوا على أنَّه لا يجوزُ

---

(١) الأزارقة: أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق الحروري من رؤوس الخوارج، خرج هو و أصحابه من البصرة إلى الأهواز فغلبوا عليها وعلى كورها وما ورائها من بلدان فارس وكرمان في أيام عبد الله بن زبير وقتلوا عماله بهذه النواحي، له مقالات أوردها الشهرستاني في الملل والنحل: ١ / ١١٨، ينظر: تفسير المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: ٤/ ٣٣١.

(٢) ينظر: المواقف: ٣/ ٤٢٦، شرح المواقف، القاضي الجرجاني، تحـ: علي بن محمد الجرجاني: ٨/ ٢٦٤.

(٣) لم أقف على ترجمته.

(٤) ينظر: الاحكام، الآمدي: ١/ ١٧٠، المواقف: ٣/ ٤٢٥، شرح المواقف: ٨/ ٢٦٣، جواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، تحـ: د. عبد الفتاح أبو سنة، واخرون: ١/ ٣١٧.

خطأهم فيه عمَّداً، وسهواً، إلَّا شِرذِمَةٌ قليلةٌ مِن العامَّة[1].

وأمَّا النَّوع الرَّابع: وهو الَّذي يقعُ في أفعالهم، فقد اختلفوا فيه على خمسةِ أقوالٍ:

القولُ الأوَّل: مذهَبُ أصحابنا الإماميَّة، وهو: أنَّه لا يَصدُرُ عنهم الذَّنب، لا صغيره، ولا كبيره، لا عَمداً، ولا نِسياناً، ولا لِخطأ في التأويل، ولا للإسهاء مِنَ الله سُبحانه، ولم يُخالِف فيه إلَّا الصَّدوق، وشيخُه محمّد بن الحسن بن الوليد[2] رحمهما اللهُ، فجوَّز الإسهاء، لا السَّهو الَّذي يكونُ مِن الشَّيطان، وكذا القولُ في أئمَّتنا الطَّاهرين الَّذين أذهَبَ اللهُ عنهم الرِّجسَ، وطهَّرهُم تطهيراً.

القولُ الثاني: إنَّه لا يَجوُزُ عليهم الكبائر، ويَجوزُ عليهم الصَّغائر، إلَّا الصَّغائر الخسيسة المُنفرِةِ؛ كَسَرِقَةِ حبَّةٍ أو لُقمَةٍ، وَكُلُّ ما يُنسَبُ فاعِلَهُ إلى الدَّناءةِ، والضِّعَةِ، وهذا قولُ أكثرِ المُعتزلة[3].

القولُ الثالث: إنَّهُ لا يجوزُ أن يأتوا بصغيرةٍ، ولا كبيرةٍ على جِهَةِ العَمدِ، لكن يجوزُ على جِهَةِ التَّأويلِ أو السَّهو، وهو قولُ[4] أبي عليَّ الجبائي.

---

(١) ينظر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ٢٥/ ٢٧٢.

(٢) أبو جعفر، محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، شيخ القميين، فقيههم، ووجهم، ومتقدمهم، ثقة عين، له كتب، منها: تفسير القرآن، وكتاب الجامع، توفي سنة ٣٤٣هـ، ينظر ترجمته في: الرجال، النجاشي: ٣٨٤، معالم العلماء: ١٤٦.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٣/ ٤٥٥.

(٤) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، أبو الحسن علاء الدين الخازن: ٣/ ٢١٦.

القولُ الرَّابع: أنَّه لا يقعُ منهُم الذَّنبُ إلَّا على جِهَةِ السَّهو، والخَطَأ، ولكنَّهُم مأخوذونَ بما يقعُ منهُم سهواً، وإن كان موضُوعا عن أُممهم لقوَّةِ معرفتهم، وعلوِّ رُتبتِهم، وكثرةُ دلائلهم، وأنَّهُم يقدرونَ مِنَ التَّحفُّظ على ما لا يقدرُ عليه غيرَهُم وهو قولُ النَّظَّام[1]، وجعفر بن مبشر[2]، ومَن تَبِعَهُما[3].

القولُ الخامس: إنَّه يجوزُ عليهم الكبائر، والصَّغائر، عمداً، وسهواً، وخطأً، وهو قولُ الحشويَّة، وكثيرٌ مِن أصحابِ الحديث[4].

ثُمَّ اختلفوا في وقتِ العِصمَةِ على ثلاثةِ أقوالٍ:

الأوَّل: إنَّه مِن وقتِ ولادَتِهم إلى أن يَلقَوا الله سبحانه، وهو مذهبُ أصحابنا الإماميَّة.

الثاني: إنَّه مِن حينِ بلوغهم، ولا يَجوزُ عليهم الكَفر، والكبيرة قبلَ النُّبوَّة،

---

(١) أبو إسحاق، إبراهيم بن سيار بن هاني البصري، النظام، شيخ المعتزلة، له معرفة بالكلام، اتهم بالزندقة، له كتب كثيرة في الاعتزال والفلسفة، توفي سنة ٢٢٧ ه، ينظر: لسان الميزان، ابن حجر: ١/ ٦٧، الوافي بالوفيات، الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط، واخرون: ٦/ ١٢.

(٢) أبو محمد، جعفر بن مبشر بن أحمد بن محمد، الثقفي، متكلم معتزلي بغدادي، أخو حبيش بن مبشر الفقيه، له كتب وتصنيفات، توفي سنة ٢٣٤ ه، ينظر ترجمته: تاريخ بغداد: ٧/ ١٧٣، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٥٤٩.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٣/ ٤٥٥، لباب التأويل في معاني التنزيل:٣/ ٢١٦، غرائب القرآن ورغائب الفرقان:١/ ٢٥٦.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٣/ ٤٥٥.

وهو قولُ كثيرٍ مِن المُعتزِلة.

الثالث: أنَّه وقتُ النُّبوَّة، وأمَّا قبلهُ فيجوزُ صُدور المَعصيَّة عنهم، وهو قولُ أكثرِ الأَشاعِرَة، ومنهم الفخرُ الرَّازي، وبه قال أبو هُذيل[1]، وأبو عليٍّ الجبائي مِنَ المُعتزلِة.

إذا عرفتَ هذا، فأعلَم أنَّ العُمدَة فيما اختاره أصحابنا مِن تنزيهِ الأنبياءِ عليهم السلام عن كُلِّ ذنبٍ، ودنَاءةٍ، ومَنقصَةٍ قبلَ النُّبوَّة، وبعدها قولُ أئمَّتنا سلامُ الله عليهم بذلك، المعلومُ لنا قطعاً بإجماع أصحابنا رضوان الله عليهم، مع تأييده بالنُّصوصِ المُتظافِرَة، حتَّى صارَ ذلك مِن قبيلِ الضَّروريات في مَذهَبِ الإماميَّة[2].

وما استدلَّ به كثيرٌ مِن أصحابنا في إثباته مِن [٧٢: ظ] الدَّلائل العقليَّة مِنَ المُؤيِّداتِ، والمُتمِّماتِ لهذا المَطلَب، فلا يضرُّ المُناقَشة في بعضها بعدم الدِّلالة على جميعِ أجزاءِ المُدَّعي، مع أنَّ كثيراً منها تدلُّ عليه عِندَ التأمُّل الصَّادق لِمَن ارتفعَ عن بَصرِهِ غِشَاوَةُ الجَهلِ، وعَمَى الضَّلالة، ويكفي كونُ

---

(١) أبو الهذيل، محمد بن الهذيل بن عبد الله البصري، العلاف، شيخ البصريين في الاعتزال ومن علمائهم الكبار، صاحب مقالات المعتزلة، وله آراء كثيرة، توفي سنة ٢٢٧ ه، ينظر ترجمته: الفهرست، ابن النديم: ٢٠٣، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ٤/ ١٣٦.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٣/ ٤٥٥، لباب التأويل في معاني التنزيل:٣/ ٢١٦، غرائب القرآن ورغائب الفرقان:١/ ٢٥٦، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ٢٥/ ٢٧٢-٢٧٤، بحار الانوار: ١١/ ٨٩-٩١.

مجموعها تامّ الدَّلالة على المُدَّعي بتمامه.

ولنذُكر في هذا المقام بعضَ ما استدلُّوا به، ثُمَّ لِنُشِر إلى دَفعِ شُبَهِ المُخطئينَ على وجهِ الإجمالِ:

احتجَّ أصحابُنا، والمُنزِّهونَ مِنَ الجَمهور ـ على الوجه الَّذي سَبقَ ـ بوجوهٍ:

الأوَّل: إنَّه لو جازَ صُدورُ المَعصيَّةِ بأقوالهم، وأفعالهم، وذلكَ مِمَّا يُخالِفُ الغَرَض مِن بِعثَةِ الأنبياءِ عليهم السلام، وهوَ مُتابعتهُم في أقوالهم، وأفعالهم، أمَّا ارتفاعُ الوثوقِ على تقديرِ جواز الكذِب عليهم في حال النُّبوَّة فظاهِرٌ.

وأمَّا قبلَ البعثةِ، فلتنفر الطَّبائع عمَّن سَمِعَ منهُ الكَذِب، ولو قبلَ بِعثَته، ولعدَم سُكونِ النُّفوس إلى قولِ مَن كان صادِقاً دائماً، فيُخلُّ بالغرضِ.

وأمَّا على تقديرِ جوازِ المَعصِيَةِ عليهم في أفعالهم بعد البعثة؛ فلعدَم الطَّمأنينةِ في التأسِّي بهم، والاقتداء بأفعالهم، وحالُ المعصيَة قبلَ البِعثَةِ، كحالِ الكَذِبِ؛ فإنَّ النُّفوس تشمئزُّ عن مُتابعَةِ مَن رآه مُقارِفاً للذُنوبِ.

ولا يخفى أنَّ الصَّغائر في هذا الباب كالكبائر؛ لأنَّ الكُل مِن حيث كانت قبائحُ تنفَرِدُ لو لم تصدر عن النَّبيِّ مُطلقاً، كان السُّكونُ إليه أكثرُ، وأوفرُ، ولا يذهبُ عليكَ أنَّ مَن جوَّز صُدورَ الصَّغائر على الأنبياء، ولو قالَ بعدمِ جوازِ صُدورِ الخَسِيسَةِ منها، يلزمه تجويزُ أكثرِ الذُّنوبِ، وعظائمها عليهم.

بل لا فرقَ يُعتدُّ به بينه، وبينَ مَن يُجوِّزُ جميعها؛ إذ الكبائر على ما رووه عن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله سبعٌ، ورووا عن عبدالله بن عمر: أنَّه ذكرها، وزاد فيها اثنين، وعن

ابن مسعود[1]؛ أنَّه زادَ على قولِ ابن عُمر ثلاثةً، ولا شكَّ أنَّ كثيراً مِن عظائم الذُّنوب التي ليست ممَّا عدُّوه ليست مِنَ الصَّغائر الخَسِيسَة، كسَرِقَة درهم، والتَّطفيفُ[2] بحبة، وغيرهما مما ترتكبه الأداني مِن النَّاس، فيلزمهُم تجويزُ ما لم يكن مِنَ الصِّنفينِ المَذكورَينِ، كالاشتغالِ بأنواعِ المَعازِف، والملاهي، وتركُ الصَّلاة، وأنواعُ المعاصي التي تُقارِفها الأُمراء، والمُلوكِ على رؤوسِ الأشهادِ، وفي الخلواتِ، فهؤلاء أيضاً مُخَطِئونِ للأنبياء، ولكن في لباس التَّنزيه.

ولا يرتابُ عاقل في أنَّ المُتصِف بهذه الأُمور الشَّنيعة لا تصلحُ للنُّبوَة، وأنَّ النُّفوس تتنفَّر عنه، بل لا يُجوِّزُ أحدٌ أن يكونَ مثله مِن آحادِ الوُعَّاظِ، ومِنَ الهُداةِ إلى دينِ الله في أدنى قريةٍ، فكيفَ بأن يكون مِمَن اصطفاهُ اللهُ للرِّسالة، واختاره لإرشادِ الخلائق عامَّةً، وهِداية البرايا كافَّة، حتَّى يقولَ سُبحانه فيه، وفي اضرابه ﴿**اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ**﴾[3]، نعوذُ باللهِ مِنَ التَّورط في غَمرَاتِ الجهلِ، والارتباك في ظُلمِ الغُواية.

وإذا ثبتَ بُطلانِ هذا النَّوعِ مِنَ التَّنزيهِ، أمكنَ التَّمسُك في إثباتِ ما ذَهبَ إليه أصحابُنا مِن تقديسهم سلامُ الله عليهم مِن كُلِّ مَنقصَةٍ، ولو على سبيلِ السَّهوِ، والنِّسيان مِن حينِ الوِلادَة إلى الوَفَاة بالإجماعِ المُركَّب، ولا يضرُّ خروجُ شاذٍّ مِن المعروفين مِن اصحابنا بعدَ تحقُّقِ الإجماعِ، فتأمَّل.

---

(١) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٢) التطفيف: نقص المكيال وهو أن لا تملأه إلى أصباره، الصحاح، مادة (طفف).

(٣) من قوله تعالى: ﴿الله يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الحج: ٧٥.

ولعلَّك بعدما تلوناهُ عليكَ لا ترتاب في [٧٣: و] بُطلانِ ما مَوهَه بعضُ الأشاعِرَةِ كالشَّارِح الجديد للتجريد[١]، وغيره، مِن أنَّ صُدور الذَّنب عن النَّبيِّ - سيَّما الصَّغيرة سهواً - لا يُخلُّ بالوُثوقِ بقوله، وفعله.

ولا يذهبُ عليكَ أنَّ الدَّليل المذكور إذا قرَّره المُعتزلي، ومَن يقولُ بالعِصمَةِ عن الذُّنوبِ مُطلقاً بعد البعثةِ كالفخر الرَّازي مِنَ الاشاعِرَة، لا حاجةَ له إلى أخذِ بعضِ المُقدِّمات المَذكورةِ فيهِ، ولكنَّ الاشاعِرَة مُطلقاً لم يحتجُّوا بهذا الوجه لا بثنائه على التَّحسين، والتَّقبيحِ العَقليينِ، فتذكَّر.

وقال السيِّدُ الأجلّ المُرتضى رضي الله عنه في كتاب تنزيه الأنبياء: اعلم أنَّ الخِلاف بيننا، وبين المُعتزِلَةِ في تجويزهم الصَّغائر على الأنبياء صلواتُ الله عليهم، يكادُ يَسقُط عِندَ التَّحقيق؛ لأنَّهم إنَّما يُجوزُونهُ مِنَ الذُّنوبِ ما لا يستقرُّ له استحقاق عقابٍ، وإنَّما يكونُ حطَّةٌ للثَّوابِ على اختلافهم في ذلك أيضاً؛ لأنَّ أبا عليّ الجبائ يقولُ: إنَّ الصَّغيرة يَسقُطُ عقابُها بغيرِ مُوازَنَةٍ، فكأنَّهم مُعترِفُونَ بأنَّهم لا يقعُ منهم ما يستحقُّون به الذَّنب، والعِقاب، وهذهِ مُوافَقَةٌ للشِّيعةِ في المعنى؛ لأنَّ الشِّيعة، إنَّما تنفي عن الأنبياء عليهم السلام جميعَ المعاصي مِن حيث كان كُلُّ شيءٍ منها يستحقُّ به فاعله الذَّمّ، والعقاب؛ لأنَّ الإحباط باطلٌ عِندَهُم.

وإذا بَطُلَ الإحباط فلا معصية إلَّا، ويَستحِقُّ فاعلهُا الذَّم، والعِقاب، فإذا كان استحقاقُ الذَّم، والعقاب مُنتفياً عن الأنبياء عليهم السلام وَجَبَ أن يُنفَى عنهم سائرُ الذُّنوب، ويصيرُ الخِلاف بين الشِّيعة، والمُعتزِلَة مُتعلِّقاً بالإحباط.

---

(١) ينظر ترجمته في القسم الأول.

فإذا بطُلَ الإحباط، فلا بُدَّ مِنَ الإتفاقِ على أنَّ شيئاً مِنَ المعاصي لا يقعُ مِنَ الأنبياءِ عليهم السلام مِن حيث يلزمُهُ استحقاقُ الذَّم، والعِقاب، لكنَّه يجوزُ أن نتكلَّم في هذه المسألة على سبيلِ التَّقديرِ، ونفرضُ أنَّ الأمرَ في الصَّغائر، والكبائر على ما تقوله المُعتزِلة، ومتى فرضنا ذلك لم نُجوِّز عليهم أيضاً الصَّغائر لِما سنذكره، ونُبيِّنَه[1]، انتهى كلامه رفع اللهُ مقامه.

وسيجيءُ الكلام في الإحباطِ، وتحقيقُ الكبائر، والصَّغائر في موضعٍ أليقُ به إنْ شاءَ اللهُ تعالى، وتقدَّس.

الثاني: إنَّه لو صَدَرَ عن النَّبيِّ ذنبٌ لَزِمَ اجتماعُ الضِّدَّينِ، وهُما وُجوبُ مُتابعَته، ومُخالفته، أمَّا الأوَّل: فللإجماعِ، ولقوله تعالى: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾[2]، وإذا ثَبتَ في حقِّ نبيِّنا صلى الله عليه وآله ثَبتَ في باقي الأنبياء عليهم السلام؛ لعدَمِ القائل بالفَرقِ.

وأما الثاني: فلأنَّ مُتابَعةِ المُذنِب حرامٌ.

الثالث: إنَّه لو صَدَرَ عنه ذنبٌ لوَجَبَ منعه، وزَجرُه، والإنكارُ عليه لعمُومِ أدلَّةِ الأمرِ بالمعروف، والنَّهي عن المُنكر، لكنَّه حرامٌ؛ لاستلزامه ايذائَهُ المُحرَّم بالإجماعِ، ولقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ**

---

(١) ينظر: تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى: ١٧.

(٢) من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران: ٣١.

اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[1].

الرَّابع: إنَّه لو أقدَمَ على الفِسقِ لَزِمَ أن يكونَ مَردودُ الشَّهادة، لقوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[2]، وللإجماع على عدمِ قَبولِ شهادَةِ الفاسِق، فيلزمُ أن يكونَ أدونُ حالٍ مِن آحادِ الأُمَّة، مع أنَّ شهادته تُقبلُ في الدِّينِ القويم، وهو شاهِدٌ على الكُلِّ يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3].

الخامس: إنَّه يلزمُ أن يكونوا أقلَّ درجةً مِن عُصاةِ الأُمَّة، فإنَّ درجاتهم في غاية الرِفعَةِ والجَلالَة، ونَعِمَ اللهُ سُبحانه بالاصطفاءِ على النَّاس، وجَعلِهم أُمناءُ على وحيه، وخُلفاءَه [٧٤: ظ] في عِبَادِه، وبِلادِه، وغيرُ ذلك عليهم اتمٌّ، وأبلغُ، فارتكابُهم المعاصي، وعدمُ التفاتِهم إلى ربِّهم لِلَذّةِ فانيةٍ أفحشُ مِن عصيان هؤلاء، بدرجاتٍ، ولا يلتزمه عاقلٌ.

السادس: إنَّه يلزمُ استحقاقُ العذابِ، واللَّعنِ، واستجابة التَّوبيخ، واللَّوم لِعُمومِ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ

---

(١) الأحزاب:٥٧.

(٢) من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ الحجرات: ٦.

(٣) من قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ البقرة: ١٤٣.

نَـارًا خَالِـدًا فِيهَـا وَلَـهُ عَـذَابٌ مُهِـينٌ﴾[1]، وقولـه تعـالى: ﴿أَلَا لَعْنَـةُ اللهِ عَـلَى الظَّالِمِـينَ﴾[2]، وهـو باطـلٌ بالـضَّرورةِ، والإجمـاع.

السـابع: إنَّهـم كانـوا يأمـرون النَّـاس بطاعَـةِ الله، فهُـم لـو لم يُطيعـوا لَدخَلـوا تحـتَ قولـه تعـالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3]، والـلاَّزم مُنتفٍ بالإجماع، ولكونـه مِـن أعظـمِ المُنفِّـرات، فـإنَّ أحـداً مِـنَ الواعظـين لـو ارتكـبَ مـا كان بنهـيِّ النَّـاس عنـه لَرَغِبـوا عنـه، وعـن حُضـورِ مجلسـه.

الثامـن: إنَّـه تعـالى حكـى عـن إبليـس قولـه: ﴿قَـالَ فَبِعِزَّتِـكَ لَأُغْوِيَنَّهُـمْ أَجْمَعِـينَ ۞ إِلَّا عِبَـادَكَ مِنْهُـمُ الْمُخْلَصِـينَ﴾[4]، فلـو عـصى نبـيٌّ لـكان مِمَّـن أغـواهُ الشَّـيطان، ولم يكُـن مِـنَ المُخلِصـين، مـع أنَّ الأنبيـاء المُخلصـين للإجمـاع، ولأنَّـه تعـالى قـال: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَـا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ۞ إِنَّـا أَخْلَصْنَاهُـمْ بِخَالِصَـةٍ ذِكْـرَى الـدَّارِ ۞ وَإِنَّهُـمْ عِنْدَنَـا لَمِـنَ الْمُصْطَفَـيْنَ الْأَخْيَـارِ﴾[5]، وإذا ثبـتَ وجـوبُ العِصمَـة في البعـض، ثَبـتَ في الـكُلِّ؛ لعـدمِ القائـل بالفَـرقِ.

---

(١) النساء: ١٤.

(٢) مـن قولـه تعـالى: ﴿وَمَـنْ أَظْلَـمُ مِمَّـنِ افْتَرَى عَـلَى اللهِ كَذِبًـا أُولَئِـكَ يُعْرَضُـونَ عَـلَى رَبِّهِـمْ وَيَقُـولُ الْأَشْـهَادُ هَـؤُلَاءِ الَّذِيـنَ كَذَبُـوا عَـلَى رَبِّهِـمْ أَلَا لَعْنَـةُ اللهِ عَـلَى الظَّالِمِـينَ﴾ هـود: ١٨.

(٣) البقرة: ٤٤.

(٤) ص: ٨٢-٨٣.

(٥) ص: ٤٥-٤٧.

التاسع: إنَّه يلزمُ أن يكونَ مِن حِزبِ الشَّيطانِ، وقال الله تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾(١)، ولا يقولُ به إلاَّ الخاسِرون.

العاشر: إنَّ الرَّسول أفضلُ مِن المَلَكِ، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾(٢)، وأفضليةُ البعضِ يدلُّ على أفضلية الكُلِّ؛ للإجماعِ المُركَّبِ، وسيجيءُ الكلام في هذه المسألة مُفصَّلاً إنْ شاءَ اللهُ، ولو صَدَرَت المَعصيَّة عنه لامتنَعَ كونه أفضلَ؛ لقوله تعالى: ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾(٣).

الحادي عشر: إنَّ النَّبيّ لو كان عاصي لكان مِنَ الظَّالمين، وقد قال الله تعالى: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾(٤).

قال الفخرُ الرَّازي: المُرادُ بهذا العهدِ، إمَّا عهدَ النُّبوَّة، أو عهدُ الإمامة، فإن كان المُرادُ عَهدُ النُّبوَّة ثَبَتَ المطلوب، وإن كان عهدُ الإمامة فكذلك، لأنَّ كُلَّ نَبيٍّ لا بُدَّ، وأن يكون إماماً يُؤتمُّ به، ويُقتدى به، فالآيةُ على جميعِ

---

(١) من قوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِّ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ المجادلة: ١٩.

(٢) آل عمران: ٣٣.

(٣) من قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ ص: ٢٨.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ١٢٤.

التقديرات تدلُّ على أنَّ النَّبيّ لا يكونُ إلَّا مُذنباً[1].

وقد استدلَّ أيضاً بقوله تعالى في إبراهيم عليه السلام ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**﴾[2]، قال: الإمامُ مَن يُؤتَمُّ به، فأوجبَ على النَّاسِ أن يُؤتَمَّ به، ولو صَدرَ عنهُ الذَّنب لَوجَبَ أن يأتمُّوا به في ذلك الذَّنب، وذلك يُفضي إلى التَّناقض[3]، انتهى.

ولا يخفى أنَّ هذا النَّوع مِن الاحتجاج مِن القولِ بعدَمِ عِصمَةِ الإمام مِن أغربِ الغرائب، وقد استدلَّ بالوُجوهِ المذكورَة، سِوى الوجهِ الأوَّل، مع كونِ أكثرها مُشترَكُ الدِّلالة على عِصمَة النَّبيِّ، والإمام.

الثاني عشر: إنَّه تعالى قال: ﴿**وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[4]، والأنبياءُ مِن ذلكَ الفريقِ بالاتفاق، وقد استدلَّ بوجوهٍ أُخر، ولعلَّ فيما ذَكرَ كفايةٌ، ولا يخفى أنَّ المُناقشة في بعضها بعدم الدِّلالة على جميعِ الخُصوصيات المأخوذة في المُدَّعى على ما ذَهَبَ إليه أصحابنا لا يضرُّ؛ لِما أشرنا إليه، فلا تغفل.

والغرضُ مِن ذِكرِ كثيرٍ منها وضوحُ الشَّناعةِ، وظهورُ الفظاعَةِ في تخطئة الأنبياءِ عليهم السلام، وإلَّا فالعهدُ ما سَبقَ كما سَبقَ [٧٥: و]، وسنذكُرُ طرفاً مِن

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٤/ ٤٦، بحار الانوار: ١١/ ٩٤-٩٦.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٣/ ٤٥٧.

(٤) سبأ: ٢٠.

أخبارنا الواردةِ عن أهلِ البيتِ عليهم السلام مما يُشيِّدُ أركانَ ذلك إنْ شاءَ اللهُ.

تنزيه آدم عليه السلام

ثُمَّ إنَّ المُخَطِّئة تمسَّكوا بقصَّة آدم عليه السلام، وما وردَ فيها، مِن وُجوهٍ:

الأوَّل: إنَّه كان عاصياً لقوله تعالى: ﴿**وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ**﴾[1]، والعاصي لا بُدَّ، وأن يكونَ صاحِبُ كبيرةٍ؛ لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ**﴾[2]، ولأنَّ العاصي اسمُ ذمٍّ، فوَجبَ أن لا يتناول إلاَّ صاحِبُ الكبيرة.

ومَن لا يُجوِّزُ الكبائر على الأنبياءِ، ويُجوِّزُ الصَّغائر - كأكثرُ المُعتزِلَة - استدلَّ على مُدَّعاه بتقريرٍ ينطبقُ عليه، وهو ظاهرٌ.

وأجاب عنه السيِّد الأجلِّ المُرتضى[3] عَلَمُ الهُدى رضي الله عنه في كتاب تنزيه الأنبياء: (بأنَّ المَعصيَة مُخَالَفَةُ الأمرِ، والأمرُ مِنَ الحكيم تعالى يكونُ بالواجِبِ، وبالنَّدب[4] فلا يمتنعُ على هذا أن يكونَ آدم عليه السلام مندوباً إلى تركِ التَّناولِ مِن الشَّجرةِ، فيكونُ بمُواقعتِهَا تاركاً نفلاً، وفضلاً، وغيرُ فاعلٍ قبيحاً، وليسَ

---

(١) من قوله تعالى: ﴿فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ طه: ١٢١.

(٢) من قوله تعالى: ﴿إِلاَّ بَلاَغًا مِنَ اللهِ وَرِسَالاَتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ الجن: ٢٣.

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٤) نص المصدر: المندوب معا فلا يمنع.

يمتنعُ أن يُسمَّى تارِكُ النَّفلِ عاصياً، كما يُسمَّى بذلك تارِكُ الواجِبِ، فإنَّه تسميةُ مَن خالَفَ ما أُمِرَ به، سواءٌ كان واجباً؛ أو نفلاً، بأنَّه عاصٍ ظاهرةٌ، ولهذا يقولون أَمرتُ فلاناً بكذا، وكذا مِنَ الخيرِ فعصاني، وخالفني، وإن لم يكن ما أمره به واجباً)[1].

واعترضه الفاضلُ الشَّارِح عبد الحميد بن أبي الحديد[2] في موضِعٍ مِن شرحه:

أمَّا أوَّلاً: فإنَّا نمنعُ أصلاً أنَّه يجوزُ أن يُقال لتارِكِ النَّفلِ: أنَّه عاصٍ، لا في أصلِ اللُّغة، ولا في العُرفِ، ولا في الشَّرعِ؛ وذلك لأنَّ حقيقةَ النَّفلِ ما هو ما يُقالُ فيه للمُكلَّف: الأولَى أن تفعلَ هذا، ولك ان لا تفعله، ومعلومٌ أنَّ مثلُ ذلك لا يُطلقُ عليه أنَّه عاصٍ.

ويُبيِّنُ ذلك: أنَّ لفظ العصيان في اللُّغة موضِعٌ للامتناع، ولذلك سُمِّيت العصا عصاً، لأنَّه يمتنعُ بها، ومنه قولهم: قد شقَّ العصا، أي: خرجَ عن الرِبْقَةِ المَانِعَةِ مِنَ الاختلافِ، والتَّفرُّق، وتارِكُ النَّدبِ لا يَمتَنِعُ مِن أَمْرٍ؛ لأنَّ الأمرَ النُّدبيِّ لا يقتضي شيئاً اقتضاء اللُّزوم، بل معناه: إن فعلتَ فهو أولَى، ويجوزُ أن لا تفعل، فأيُّ امتناعٍ حَدَثَ إذا خُولِفَ أمرُ النَّدبِ حتَّى يُسمَّى المُخالِف له عاصياً.

ويُبيِّنُ ذلك أيضاً: انَّ لفظَ عاصٍ اسمُ ذمٍّ، فلا يَجوزُ إطلاقُه على تارِكِ

---

(١) تنزيه الأنبياء: ٢٤.

(٢) ينظر ترجمته في القسم الأول.

النَّدبِ، كما لا يُسمَّى فاسقاً، وإن كان الفِسقُ في أصلِ اللُّغةِ للخُروجِ.

وأما ثانياً: فبأنَّ ألفاظُ الشَّرعِ يجبُ أن تُحمَلُ على حَقائقَها اللُّغويَّة، ما لم تكُنْ لها حقائقٌ شرعيَّة، فإذا كان لها حقائق شرعيَّة وَجَبَ أن تُحمَلُ على عُرفِ الشَّرعِ، واصطلاحه، كالصَّلاةِ، والحَجِّ، والنِّفاق، والكُفر، ونحو ذلك مِنَ الألفاظ الشَّرعيَّة.

ومعلومٌ أنَّ لفظَ العصيانِ في العُرفِ الشَّرعيِّ لا يُطلقُ إلَّا على مُخالَفَةِ الأمرِ المُقتضِي للوُجوبِ، وفيه نظرٌ.

أمَّا أوَّلاً: فبأنَّه إن أرادَ بقوله: إنَّما نمنعُ أَصلاً أن يُقالَ لتارِك النَّفل... الى آخره[1]، ما هو الظَّاهرُ منه في مقامِ المُناظَرَةِ، فيرِدُ عليه: إنَّه مُقابلةُ المَنعِ بِالمَنعِ، وهو ظاهرٌ.

وإن أراد به إبطالُ المنع بإقامة الدَّليلِ على المُقدِّمةِ الممنوعةِ، فيتوجَّهُ عليه أنَّه إعادَةٌ للدَعوى بِعبَارةٍ أُخرى، فلا يُجدي نفعاً.

وما ذكره في بيانه: مِن أنَّ الأمرَ النُّدبيِّ لا يقتضي شيئاً اقتضاء اللُّزوم، فلا يحصلُ بمُخالَفته امتناعٌ حتَّى يُسمَّى المُخالِف له عاصياً، فضعفهُ ظاهرٌ؛ لوضوحِ صِدقِ الامتناعِ بمخالَفةِ الأمرِ، وعدمُ الانقيادِ له، واشتراطُ كونِ الاقتضاء في الأمرِ على وجهِ اللُّزوم، وهو أوَّلُ المسألة.

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ٧/ ١٤- ١٥.

والظاهرُ مِن كلامِ أهلِ اللُّغةِ: إنَّ العصيانَ مُطلَقُ المُخالَفَةِ [٧٦: ظ] قال الجوهريُّ[١] في الصحَّاح: (العِصيَانُ: خِلاَفُ الطَّاعَةِ، وَقَد عصَاهُ معَصيَةً، فهو عاصٍ)[٢]، وكذا ما ذَكره.

ثانياً: مِن أنَّ لفظَ عاصٍ اسمُ ذمٍّ، وقد ذَكرَهُ المُستدِلُّ أيضاً فممنوعٌ، نعم الغالبُ الشَّائع إطلاقُ العِصيان على مُخالفَةِ الأمرِ الوُجوبي، وأمَّا عدمُ جوازِ إطلاقه على مُخالَفةِ الأمرِ النُّدبيِّ فغيرُ مُسلَّمٍ.

ويتوجَّهُ على المُستدِلِّ زائداً على ما ذَكرَ، أنَّه على تقدير كونه اسمُ ذمٍ، كيفَ يستلزمُ كونه غيرُ مُتناوِلٍ لصاحِب الصَّغيرة؟ وهو واضحٌ.

وأمَّا ثانياً: فبأنَّ دعوى الحقيقةِ الشَّرعيَّة في لفظِ العصيان، بعد ثُبوتِ مُطلقِ الحقيقةِ الشَّرعيَّةِ، دعوى بلا دليلٍ، نعم يتوجَّه على السيِّد رضي اللهُ عنه أنَّ كلامه هذا لا يخلو عن مُناقضَةٍ لكلامه في الذَّريعة، على ما نُقِلَ عنه.

وأمَّا ثالثاً: فبأنَّ كلامه هاهنا مُناقِضٌ لِمَا ذَكرَهُ قبلَ ذلك، وقد أخذه مِن كلام السيِّد ﷺ في تنزيه الأنبياء، ونقلناهُ سابقاً، حيثُ قالَ: والخِلافُ بينَ أصحابنا المُعتزِلَة، وبين الإماميَّة يكادُ يكونُ ساقطاً في الأنبياء؛ لأنَّ أصحابنا إنَّما يُجوزونَ عليهم الصَّغائر، لأنَّ لا عِقابَ عليها، وإنَّما يقتضي نُقصان الثَّواب المُستحَقِّ على قاعدتهم في مسألة الإحباط، فقد اعترَفَ إذاً أصحابنا بأنَّه لا يقعُ

(١) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٢) الصحاح، مادة (عصا).

مِنَ الأنبياءِ ما يَستحقُّونَ به ذمّاً، ولا عقاباً[1] انتهى.

فَدَعواهُ هاهنا: إنَّ العاصي اسمُ ذمٍّ صريحٌ في استحقاقهم للذمِّ، ظاهرٌ لُمناقضَةِ هذا الكلام، فتدبَّر.

وقد صرَّح قبله: بأنَّ النَّبيّ لا يَجوُزُ ان يكون فاسقاً قبلَ النُّبوَّة؛ لعدم وقوعِ الأمرِ بالمعروف، والنَّهي عن المنكر مِمَن عَهِدَ النَّاس مِن الفِسقِ موقعه، ومِمَن لم يُعهَدُ عنه إلَّا السَّداد، والصَّلاح، ولا ريبَ في ظُهورِ جريان مثله فيمَن كان قد ارتكب معصيَةً استحقَّ أن يُطلَق عليهِ اسم ذمٍّ، على أنَّك قد عرَفتَ أن تجويز الصَّغائر تمويهٌ سخيفٌ، ولا فَرقَ يُعتَدُّ به بينهم، وبين المُجوِّزينَ للكبائر.

هذا، والأظهرُ في الجواب عن أصلِ الاستدلال، أن يُقال: الظَّاهرُ مِن لفظِ العِصيان، وإن كان مُخالفةَ الأمرِ الإيجابي، لكن الظَّاهر يعدَل عنه لدليلٍ، كما يُعدَلُ عن الظَّواهر الدالَّة على تجسُّمه سُبحانه، وليس ارتكابُ التَّأويل فيما وَرَدَ في قصَّته عليه السلام بأبعدَ مِن ارتكابه فيها.

ولا شكَّ في جوازِ استعمالِ العِصيان في مُخالفَةِ الأمرِ النُّدبيِّ، ولو مجازاً، والقرينة إسناده إلى النَّبيِّ الَذي لا يَجوزُ عليه الذَّنب مُطلقاً؛ لدلائلِ العِصمَةِ مِنَ النُّصوصِ، وغيرها.

والنُّكتةُ فيه: كونُ تركِ الأَولَى، ومُخالفَةُ الأمرِ النُدبيِّ منهُم، مِمَا يَعظُم موقعه، لعلوِّ درجتهم، وارتفاعِ شأنهم بالنُّبوَّة، والتأيداتِ الخاصَّة، وكذا

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ٧/ ١٢- ١٥.

الغُوايـةُ، وسـائرُ مـا تشـبَّثَ بـه المُخَطِّـؤون الخَاطئـون.

وحينئـذٍ يظهـرُ اندفـاعُ مـا تمسَّـكَ بـه المُستَدِلُّ في أنَّ العـاصي يجـبُ أن يكـونَ مُرتكِـبُ الكبـيرةِ مِـن قولـه تعـالى ﴿وَمَـنْ يَعْـصِ اللهَّ وَرَسُـولَهُ﴾[1] الآيـة، فـإنَّ الوعيـدَ إنَّـما هـو في ارتـكاب العصيـان حقيقـةً لا مجـازاً، وحينئـذ لا ضيـرَ في إبقـاء الآيـة عـلى عُمومهـا، وعـلى مـا أجـابَ بـه السيِّد رضي الله عنه لا بـدَّ مِـن تخصيصهـا لدليـلٍ خـارجٍ، وكـذا عـلى طريقـةِ الشَّـارح، وأصحابـه؛ لاعترافهـم بصِـدقِ العصيـان عـلى ارتـكاب الصَّغـيرة.

وأجـاب المُجـوِّزُون للذنـب عليهـم عليهم السلام قبـلَ النُّبـوَّة: بـأنَّ آدم عليه السلام لم يكـن نبيًّـا حـينَ صَـدرَت المَعصيَـةُ عنـه، ثُـمَّ بعـدَ ذلـك صـارَ نبيًّـاً، فـلا محـذور[2]، وقـد وقـعَ هـذا الجـوابُ في رُوايـة عـليّ بـن محمّـد بـن الجهـم عـن الرِّضـا عليه السلام مـع أجوبـةٍ أُخـر، نُشـيرُ إليهـا، وهـو محمـولٌ عـلى [٧٧: و] التنـزُّل، والاسـتظهار عـلى مَـن جـوَّز الذُّنـوب مُطلقـاً عـلى الأنبيـاءِ قبـلَ النُّبـوَّة، وبعدهـا، مُحتجَّـاً بهـذه القصِّـة، وغيرهـا، كـما يظهـرُ مِـن تتمَّـة الرِّوايـة، ويُشـعرُ بـه تعـدُّد الأجوبـة.

وأُجيـبَ أيضـاً: بـأنَّ المَعصيَـة كانـت عـن آدم، بـأنَّ المَعصيَـة كانـت في الجنَّـةِ لا في الأرضِ التـي هـي دارُ التَّكليـف، فـلا يلـزمُ صُـدور المَعصيَـة عنهـم عليهم السلام قبـلَ النُّبـوَّة، ولا بعدهـا في دار التَّكليـف.

---

(١) مـن قولـه تعـالى: ﴿إِلاَّ بَلاَغًـا مِـنَ اللهَّ وَرِسَـالاَتِهِ وَمَـنْ يَعْـصِ اللهَّ وَرَسُـولَهُ فَـإِنَّ لَـهُ نَـارَ جَهَنَّـمَ خَالِدِيـنَ فِيهَـا أَبَـدًا﴾ الجـن:٢٣.

(٢) ينظر: بحار الانوار: ١١/ ١٩٨.

وهـذا الجـوابُ قـد وَرَدَ في رُوايـة أبي الصَّلـت الهـرويِّ، عـن الرِّضـا عليه السلام، والوجـهُ فيـه مـا ذُكـر، "ولا نعـرفُ"[1] قائـلًا بهـذا التَّفعيـل.

وأُجيـبَ أيضـاً: بـأنَّ معصيتـه عليه السلام كان مِـنَ الصَّغائـر المُكفِّـرَة دون الكبائـر، وهـو جـوابُ أكثـرِ المُعتزِلَـةِ، ويُشـعرُ بهـذا الجـواب أيضـاً الرُّوايـةُ المذكـورة، وإن أمكـن حملُهـا عـلى وجـهٍ ينطبـقُ عـلى مـا ذَهَـبَ إليـه أصحابنـا.

وأجيـب أيضـاً: بأنَّـه عليه السلام لَمَّـا نُهـيَ عـن الأكلِ مِـنَ الشَّـجرةِ ظَـنَّ أنَّ النَّهـي عـن عـين الشَّـجرةِ لا عـن نوعهـا، وكأنَّ اللهُ سُـبحانه أرادَ نهيـه عـن نوعهـا، ولكنَّـه لم يقُـل لهـما: لا تقربـا هـذه الشَّـجرة، ولا مـا كان مِـن جنسـها، والَّلفظـةُ قـد يُـرادُ بهـا النَّـوع، كـما رُوي عـن النَّبـيِّ صلى الله عليه وآله أنَّـه أشـارَ إلى حريـرٍ، وذَهـب، وقـال: (هَـذَانِ حَرَامَـانِ عَـلَى رِجَـالِ أُمَّتِـي)[2]، وتوضَـأ مـرَّةً، وقـال: (هَـذَا وُضُـوءٌ لاَ يَقبَـلُ اللهَ الصَّـلَاةَ إِلَّا بِـهِ)[3].

وكان ظنُّـه ذلـك؛ لأنَّ إبليـس حَلـفَ لهـما بـالله - كاذبـاً- أنَّـه لهـما لَمِـنَ النَّاصحين، ولم يكُـن شَـاهَدَ قبـلَ ذلـك مَـن يَحلِـف بـالله كذلـك، فـأكل مِـن شـجرةٍ أُخـرى مِـن نوعهـا، وكان ذلـك مِـن قبيـلِ الخطـأ في الاجتهـاد، وليـس مِـن كبائـرِ الذُّنـوب التـي يسـتحقُّ بهـا دُخـولَ النَّـار[4].

---

(١) في نسخة (ب): ولا يعرف.

(٢) المبسوط، الشيخ الطوسي: ١/ ٢١٢، فتح الباري، ابن حجر: ١٠/ ٢٦٨.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ١/ ٣٨ ح ٧٦، رسائل الشريف المرتضى: ٣/ ١٨٥.

(٤) ينظر: بحار الانوار: ١١/ ١٩٩.

وبهذا الوجه يُشعِرُ رُواية عليّ بن محمّد بن الجهم، ويُمكن أن يكونَ بياناً لوجه الخَطيئةِ لا جواباً مُستقلّاً، وبمثله أجاب أبو عليٍّ مِن المُعتزلَة، واعتُرِضَ عليه بوجوهٍ:

أوَّلُها: ان لفظ الإشارة موضوعٌ للأشخاص، والإشارةُ به إلى النَّوعِ مجازٌ، فإذا حَمَلَ آدم عليه السلام اللَّفظَ على حقيقته، مع أنَّه سُبحانه أذِنَ له عامّاً في الأكلِ مِن نعيم الجنَّة بقوله: ﴿**وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا**﴾[1] حلَّ الانتفاعُ إلاَّ بما أخرجهُ الدَّليل، ولم يدلَّ إلَّا على الشَّخص المُعيَّن، فأيُّ خطأ يَلحَقُهُ عليه السلام، ولماذا أُخرِجَ مِنَ الجنَّة، وأصابه ما أصابه.

وأُجيبَ عنه: بأنَّ اللَّفظ، وإن كان موضوعاً للشخص إلَّا أنَّه كان قد قَرَنَهُ ما يدلُّ على انَّ المُراد به النَّوع.

وثانيها: إنَّه سُبحانه لو كلَّفه على الوجهِ المذكور، مِن دُونِ قرينةٍ تدلُّ على المُراد، لَزِمَ تكليفُ ما لا يُطاقُ، ومع القرينةِ يلزَمهُ الإخلالُ بالنَّظرِ، والتَّقصير في المَعرِفَة، ويلزمه الخطأ قصداً، فلم يُفد هذا الجواب إلَّا تغيُّر الخطيئة، وكونُ الخطيئةِ على تقديره صغيرةٌ، وارتكابٌ بالخلافِ الأَولَى، وعلى غيره كبيرةٌ، تعسُّفٌ

وأُجيب: بأنَّه عليه السلام لعلَّه عرَف القرينة في وقتِ الخطاب، ثُمَّ غَفلَ عنها، ونسي لطُولِ المُدَّة أو غيره، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ**

(١) من قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٣٥.

﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[1]، وتلك الغفلةُ صغيرةٌ ليست بكبيرة.

وعلى هذا يقرُب الجواب مِمَا أجابَ به النَّظَّام، وجعفر بن مبشر بناءً على قولهم بجواز مُؤاخذَةِ الأنبياءِ على السَّهوِ، والنِّسيان، ولعلَّه واضحُ البُطلان، وسيجيئ في شرحِ قوله عليه السلام في هذه الخطبة مأخوذٌ على النَّبيِّين ميثاقه الأخبارُ الدالَّة على أنَّ النِّسيان في قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾[2] بمعنى الترَّك، أي: تَركَ تصميمِ العزمِ، وتوكيدُ الإقرارِ بالمهديِّ عليه السلام، والأَوصياءِ عليهم السلام، وهو أيضاً مِن قَبيلِ تَركِ الأَولَى [٧٨: ظ] كما في تعنيه منزلتهم عليهم السلام في رُواية مُفضَّل.

و**ثالثها**: إن الأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الاجتهاد، والعمل بالظن، لتمكنهم من العلم، والعمل بالظن مع التمكن من تحصيل العلم غير جائز عقلا، وشرعا[3]، وأجابَ الفخرُ الرَّازي عنه بأنَّه: لا حاجةَ إلى التمسُّك بالاجتهاد؛ فإنَّا بيَّنا أنَّه عليه السلام قد قصَّر في مَعرِفَةِ تلك الدِّلالة، أو أنَّه كان قد عرفها، لكنه نسيها[4] - كما سبق - وقد عرَفتَ ضَعفَهُ، فلا تغفَل.

ويُمكن الجواب: بأنَّا لا نُسلِّم أنَّ آدم عليه السلام كان وقتَ الخِطابِ نبيَّاً، وتدلُّ عليه الرِّوايةُ المذكورة، فلا محذور في عِلمهِ بالظَّنِّ حينئذٍ، فإنَّ تمكُّنه مِن العِلم، واليقين ممنوعٌ، وعلى هذا لا يلزمُ تجويز صُدورِ الذَنب قبلَ النُّبوَّة، كما يتوهَّم، فتأمَّل.

---

(١) طه: ١١٥.

(٢) من قوله تعالى ﴿:وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾طه: ١١٥.

(٣) ينظر: بحار الانوار: ١١/ ١٩٨-١٩٩، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ٣/ ١٨٥.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٣/ ٤٦١.

ورابعها: إنَّ هذه المسألة، أمَّا أن تكونَ مِنَ القطعيات، حتَّى يكون الخطأ فيها كبيرةٌ، أو مِن غيرها، حتَّى يكون صغيرة.

فعلى الأوَّل: لا يُجدي نفعاً، وعلى الثاني: فأمَّا أن نقول بما تراه المُصَوِّبَة فلاحظ أصلاً، أو نقولُ كما تقولُ المُخطِّئة، فيكونُ المُخطِّئ معذوراً، فكيف صار سبباً لنزعِ اللِّباس، والإهباط.

وأجاب عنه الفخرُ الرَّازي: بأنَّه يُمكن أن يُقال: كانت الدِّلالة قطعيَّة، إلَّا أنَّ النِّسيان صارَ عُذراً في أن لا تكونَ المَعصيّة كبيرة، أو يُقال: كانت ظنيَّةً، إلَّا أنَّه يترتَّبُ عليها مِنَ التَّشديداتِ ما لا تترتَّب على خطأ سائر المُجتهِدينَ؛ لجوازِ اختلافِ التَّشديد والتَّخفيف باختلاف الأشخاص في الأحوال، ولذلك خُصّ رسُولُ الله ﷺ بخصائص لم تُوجَد في أُمَّته[1]، وفيه تأمُّل.

ثُمَّ قال: ويُمكن أن يكون الخطأ في الاجتهاد مِن حيثُ أنَّه تعالى نهاهما معاً بقوله: ﴿**وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا**﴾[2] فظنَّ آدم عليه السلام أنَّه يجوزُ له وحدَه أن يأكُل مِنَ الشَّجرة، وبُعدُه واضحٌ.

الوجه الثاني: ممَّا تمسَّك به المُخطِّئة: أنَّه تعالى سمَّاه غاوياً، بقوله: ﴿**وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى**﴾[3]، وألغيُّ خِلافُ الرُّشد، لقوله تعالى ﴿**قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ**

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٣/ ١٥.

(٢) من قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٣٥.

(٣) من قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ طه: ١٢١.

الْغَيِّ﴾[1]، والغاوي: يكونُ صاحِبُ كبيرةٍ خُصوصَاً إذا وقعَ تأكيداً للعاصي.

وأجابَ عنه السيِّد رضي الله عنه في تنزيه الأنبياء، بأنَّ معنى غوى أنَّه خَابَ[2]؛ لأنَّا نعلمُ أنَّه لو فعلَ ما نُدِبَ إليه مِن تركِ التناولِ مِنَ الشَّجرةِ لاستحقَّ الثَّواب العظيم، فإذا خالفَ الأمر، ولم يُصِر الى ما نُدِبَ إليه فقد خَابَ لا مَحالَ مِن حيثُ لم يُصِر الى الثَّواب الَّذي كان يستحقُّ بالامتناع، ولا شبهة في أنَّ لفظة غوى تَحتَمِلُ الخيبةَ[3]، قال الشاعرْ[4]: [من الطويل]

فَمَن يَلْقَ خَيْرَاً يَحمدِ النّاسُ أَمرَهُ وَمَنَ يَغْوَ لَا يَعْدَمْ عَلَى الغَيِّ لائِمَاً

انتهى.

قال الجوهريُّ: الغَيُّ: الضَّلَال، والخَيبَة، وقال: خابَ الرَّجلُ يخيبُ، خَيبَةً: إذا لم يَنْل مَا طَلَبَ[5]، وفي المثل: (الهَيْبَةُ خَيْبَةٌ)[6].

وقال ابن الأَثير: (في حديث مُوسى، وآدم عليهما السلام: لأَغْوَيْتَ النَّاسَ أي:

---

(١) من قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٥٦.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (غوي).

(٣) ينظر: تنزيه الانبياء: ٢٥.

(٤) البيت للمُرَقَّش الأصغر عَمْرو بن حَرمَلَة، ينظر: ديوان المرقشين، تح: كارين صادر: ١٠٠.

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (غوى).

(٦) ينظر: مجمع الامثال: ٢/ ٤٠٢، جمهرة الأمثال: ١/ ٤٨٨، وقد ذكر معناه العلامة المجلسي "قدس الله سره "يعنى من تهيب أمرا خاب من ادراكه، ينظر: بحار الانوار: ٧٥/ ٣٤.

خَيَّبْتَهُم، يُقالُ: غَوَى الرَّجُل: إذَا خابَ، وأغوَاهُ غيره)[1]، وحينئذٍ لا يكونُ قوله تعالى: ﴿فَغَوَى﴾[2] تأكيداً للعصيان، بل يكونُ المعنى: تركُ ما أُمِرَ به نُدباً، فحُرِمَ مِنَ الثَّواب الَّذي كان يستحقُّه لو فَعَلَهُ[3]، ولا شكَّ أنَّ هذا أنسَبُ بالعطفِ بالفَّاءِ.

واعترَضَ عليهِ الفاضلُ الشَّارح بقوله: (ألستَ القائلَ في مُصنَّفاتك الكلاميَّة: إنَّ المَندوبات إنَّما نُدِبَ إليها؛ لأنَّها كالمُسَهِّلات، والمُيَسِّرات لفعلِ الواجبات [٧٩: و] العقليَّة، وأنَّ ثوابها يسيرٌ جدَّاً بالإضافة إلى ثوابِ الواجبِ، فإذا كان آدم عليه السلام ما أخلَّ بشيءٍ مِنَ الواجبات، ولا فَعلَ شيئاً مِنَ القبائح فقد استحقَّ مِنَ الثَّوابِ العظيمِ ما يَستحقِرُ ثوابَ المندوب بالإضافة إليه.

ولِمثلِ هذا لا يُقالُ: لِمَن تركَ المندوب: إنَّه خابَ، إلَا ترى أنَّه مَن أكتَسبَ مائةَ ألفِ قنطارٍ مِن المَالِ، وترَكَ بعدَ ذلك دِرهَماً واحداً كان يُمكِنُه اكتسابه فلم يكتسِب، لا يُقالُ له: إنَّه خابَ!)[4]، وفيه نظرٌ:

أمَّا أوَّلاً: فلأنَّ صِدقَ الخيبةِ، وعدمُ نيلِ المطلوبِ في هذا المقام ظاهِرٌ لا يُنكَر، وأمَّا أنَّ ما فاته عليه السلام بمُخالَفَةِ الأمرِ النُّدبيِّ كان مُستَحقَراً في جنب ما استحقَّهُ مِنَ الثَّوابِ بفعلِ الواجباتِ، فلا يَضرُّ في المطلوب؛ لأنَّ ما فاته

---

(١) النهاية في غريب الحديث والاثر: ٣/ ٣٩٨.

(٢) من قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ طه: ١٢١.

(٣) ينظر: بحار الانوار: ١١/ ١٩٩-٢٠٠.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ٧/ ١٧.

بذلـك، وإن كان كذلـك إلَّا أنَّـه كان منفعـةٌ جليلـةٌ، وفائـدةٌ عظيمـةٌ في نفسـه، بخـلافِ مـا قاسَـهُ عليـه مِـنَ التَّقصيرِ في اكتسـابِ الدِّرهـم؛ لاسـتحقاره في ذاتـه، ولـو كان نفعـاً عظيـماً في نفسـهِ لقيـلَ للمُقصِّر فيـه أنَّـه خائـبٌ بـلا ريـبٍ، عـلى أنَّ التَّوبيـخ، والتَّقريـع أمـرٌ يَختلِـفُ باختـلافِ أحـوالِ المُتصدِّيـنَ لِمَـا يُوجِبَـهُ، ولا ريـبَ في أنَّ تفويـتَ منفعـةٍ كذلـك مِـن مِثـلِ آدَم عليه السلام مَـع جَلالَـةِ القَـدرِ، وعِظَـم الشَّـأنِ، عظيـمُ الموقِـعِ، وإن كان قـد اسـتحقَّ مـا هـو أعظـمُ منهـا، مـع أنَّ اسـتحقاق آدَم عليه السلام في تلـك الحـال لِمَـا هـوَ أعظـمُ مِـن مَـا فاتَـهُ محـلُّ تأمُّـلٍ.

إذ لا دليـلَ عـلى أنَّـه كان مُكلَّفـاً بالواجبـات في الجنَّـةِ، بـل الظَّاهـرُ خِلافَـه، وكونُـه مُسـتحقّاً للثـواب العظيـم بفعـل الواجبـات بعـد ذلـك، لا يقـدحُ في المطلـوبِ، إذ الـكلام حكايـةً عـن ابتـداء خلقِـه، وكونـه في الجنَّـة.

وأمَّـا ثانيـاً: فلأنَّـه لا محيـصَ لـه عـن نظيـرِ مـا أستشـكلهُ عـلى مـا ذَهَـبَ إليـه، فإنَّـه لا بُـدَّ وأن تكـون الغِوايَـة لأحـدِ المَعنيَـينِ مِـن الضَّـلالِ، والخَيبَـةِ، فلـو حَمَلـهُ عـلى الأوَّل، يُقـالُ لـه: كيـف يجـوزُ إطـلاقِ الضَّـالِّ عـلى مَـن ارتكَـبَ غـيرَ مُنفِّـرة، ولا خسِيسَـة، لا يسـتحقُّ فاعِلُهـا بهـا ذمَّـاً، ولا عقابـاً، عـلى مـا مهَّـدَت أنـت، وأصحابُـك مِـن قاعِـدَة الإحبـاطِ، مـع كـونِ فاعلهـا مُسـتحقّاً لا عـلى درجـات الثَّـواب، بامتثـالِ الأوامـرِ، واجتنـابِ الزَّواجـرِ التـي ليـسَ ارتـكاب تلـك الصَّغيرة في جنبهـا، إلَّا كالتقصـير في كسـبِ دِرهَـم مِمَّـن اكتسـب مائـة ألـف قِنطـارٍ مِـن المالِ.

بـل إطـلاقُ الضَّـلالِ عـلى مثلـه أفحـشُ مِـن إطـلاقِ الخائـبِ عـلى تـارِكِ أمـرٍ نُـدبيٍّ.

ولو حَمَلَهُ على الثاني، لَزِمَ مثلُه بمثلِ ما ذَكَرَ، ويُمكن أن يُجاب على تقدير كون الغِواية بمعنى الضَّلال، وضدَّ الرُّشدِ: بأنَّ الرُّشد هو التوصُّل بشيءٍ إلى شيءٍ، وسُلوكِ طريقةٍ مُوصِلَةٍ إلى المطلوب.

فمَن ارتكبَ ما يُبعدَه عن مطلوبة كان ضالّاً غاوياً، ولو كان بمُخالَفَةِ أمرٍ استحبابي، أو ارتكابِ نهيٍّ تنزيهيّ، ولذا يُقالُ لكُلِّ مَن بَعُدَ عن الطَّريق: أنَّه ضلَّ، وليس إرشادُ الضَّالِّ إلَّا هدايتُه إلى الطَّريقِ.

ثُمَّ أنَّا لو سلَّمنا أنَّ الغِواية لا تُستعمَلُ حقيقةً إلَّا في الضَّلالِ على الوجه الَّذي زعمه المُستدِلُّ، نقولُ: لا بُدَّ مِن حملِهِ في الآية على ما ذكرنا، ولو مجازاً، لدلائلِ العِصْمَةِ، والقرنية، والنُّكتةُ ما سَبقَ.

وأُجيبَ أيضاً: بأنَّ غَوَى هاهنا بمعنى بشم مِن كَثرَة الأكل، أي: أُتخِمَ[1]، يُقالُ: بَشِمَ الفَصيلُ مِنَ اللَّبنِ كَفِرح، والبَشَمُ بالتَّحريك: التُّخمةُ[2].

قال في الكشّاف: (هذا يصحُّ على لُغةِ مَن يَقلِب المَكسورَة ما قبلها ألفاً)[3]، [٨٠:ظ]، ولا يخفى بعده، والجواب على مذهب المعتزلة، وغيره يعرف مما تقدم.

وقال السيد المرتضى رضي الله عنه في جواب المسائل التي وردت عليه من الري

---

(١) ينظر: بحار الانوار: ١١/ ٢٠٠

(٢) أساس البلاغة: ٤٨.

(٣) وفيه: (وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألفا فيقول في فنى وبقى فنا وبقا وهم بنو طي)، الكشاف: ٢/ ٥٥٧.

فإن قالوا: (ما المَانِعُ مِن أن يُريدُ بعصَى، أي: لم يفعل الواجب مِنَ الكفِّ عن الشَّجرة، والواجبُ يستحقُ بالإخلالِ به حرمانُ الثَّواب، كالفعلِ المندوبِ إليه، فكيفَ رَجَّحتُم ما ذهبتُم إليه على ما ذهبنَا نحنُ، قلنا: التَّرجيحُ لقولنا ظاهرٌ، إذ الظَّاهر مِن قوله تعالى: ﴿**عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى**﴾[1] إنَّ الذمّ دخلته الفاء جزاءً على المَعصيَة، وأنَّه كُلُّ الجزاءِ المُستحقّ بالمَعصيَة؛ لأنَّ الظَّاهر مِن قولِ القائلِ: سَرَقَ فقُطِعَ، وقَذَف فجُلِد ثمانين، إنَّ ذلك جميعُ الجزاءِ لا بعضه.

وكذلك إذا قال القائلُ: مَن دَخلَ داري فله دِرهَم، حملناهُ على أنَّ الدِّرهم جميعُ جزائه، ولا يستحقُّ بالدُّخولِ سواه، ومَن لم يفعل الواجب استحقَّ الذمّ، والعقاب، وحرمان الثواب، ومَن لم يفعل المندوب إليه، فهو غيرُ مستحقٍّ لشيءٍ كان تَركُهُ للنُدب سبباً فيه إلَّا حرمان الثَّواب فقط.

وبيَّنا أنَّ مَن لم يفعل الواجب ليس كذلك، وإذا كان الظَّاهِرُ يقتضي أنَّ ما دخلته الفاء جميعُ الجزاء على ذلك السَّبب، لم يَلِقْ إلَّا بما قلناه دون ما ذَهبوا إليه، وهذا واضحٌ لَمن تدبره)[2].

الوجه الثالث مِن وجوههم: إنَّه عليه السلام تابَ، والتَّائب مُذنِبٌ، أمَّا أنَّه تابَ فبقوله تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ**﴾[3]، وأمَّا أنَّ

---

(١) من قوله تعالى: ﴿فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ طه: ١٢١.

(٢) رسائل الشريف المرتضى: ١/ ١٢٤.

(٣) من قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٧.

التَّائب مُذنِبٌ؛ فلأنَّ التائب هو النَّادمُ على فعلِ الذَّنب، والنَّادم على فعل الذَّنب مُخبرٌ عن كونه فاعلاً للذَّنب، فإن كذّب في ذلك الأخبار فهو مُذنِبٌ بالكذب، وإن صَدَق فيه فهو المطلوب[1].

وأجابَ عنه السيِّد رضي الله عنه: بأنَّ التَّوبةَ عِندَنا، وعلى أُصولنا، غير مُوجِبَةٍ لإسقاط العقاب، وإنَّما يُسقِطُ اللهَ تعالى العِقاب عندها تفضُّلاً، والَّذي تُوجِبهُ التَّوبة هو استحقاقُ الثَّواب، فقبولها على هذا الوجه هو ضمانُ الثَّوابِ عليها، فمعنى قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[2] أنَّه ضَمِنَ ثوابها.

ولا بُدَّ لِمَن ذهبَ إلى أنَّ معصية آدم عليه السلام صغيرةٌ مِن هذا الوجه؛ لأنَه إذا قيل له: كيفَ تُقبلُ توبتُه، ويُغفَرُ له، ومعصيتُه في الأصلِ وقعت مُكفَّرة لا يستحقُّ عليها شيئاً مِنَ العِقاب، لم يكن له بدٌّ مِنَ الرُّجوعِ إلى ما ذكرناه.

والتَّوبةُ قد تَحسُن أن يقع مِمَّن لم يَعهَدْ مِن نفسه قبيحاً، على سبيلِ الانقطاعِ إلى الله، والرُّجوعِ إليه، ويكونُ وجهُ حُسنِها في هذا الموضِعِ استحقاقُ الثَّوابِ بها، أو كونها لُطفاً، كما يَحسُن أن يقعَ مِمَّن يقطعُ على أنَّه غيرُ مُستحِقٍّ للعقاب، وأنَّ التَّوبة لا تُؤثر في إسقاطِ شيءٍ يستحقُّه مِنَ العقاب.

ولهذا جوَّزُوا التَّوبة مِن الصَّغائرِ، وإن لم تكن مُؤثرَةٌ في إسقاطِ ذمٍّ ولا عقاب[3]، انتهى.

---

(١) ينظر: تقسير الرازي: ٣/ ٤٥٩، عصمة الأنبياء:١٦.

(٢) من قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٧.

(٣) تنزيه الأنبياء: ٢٥.

ويدلُّ على أنَّ التَّوبة لا تُوجِبُ إسقاط العقاب[1]، قولُ عليّ بن الحسين زينُ العابدين عليهما السلام في "الصَّحيفة السَّجاديَّة"[2] الكاملة: (يَا إِلهِي، لَوْ بَكَيْتُ إِلَيْكَ حَتّى تَسْقُطَ أَشْفارُ عَيْنَيَّ، وانْتَحَبْتُ لَكَ حَتّى يَنْقَطِعَ صَوْتي - إلى قوله عليه السلام - مَا اسْتَوْجَبتُ بِذلِكَ مَحْوَ سَيِّئَةٍ واحِدَةٍ مِنْ سَيِّئاتي، وَإِنْ كُنْتَ تَغْفِرُ لي حينَ أَستَوْجِبُ مَغْفِرَتَكَ، وَتَعْفُو عَنِّي حِينَ استَحِقُّ عَفْوَكَ، فَإِنَّ ذلِكَ غَيْرُ واجِبٍ لي باسْتِحقاقٍ، وَلا أَنَا أَهْلٌ لَهُ بِاستِيجابٍ، إِذْ كَانَ جَزائِي فِي أَوَّلِ مَا عَصَيتك [٨١: و] النّارَ، فَإِنْ تُعَذِّبْني فَأَنْتَ غَيْرُ ظالِمٍ لي)[3].

والإستيجابُ، والإستحقاق في قوله عليه السلام: (أَسْتَوْجِبُ مَغْفِرَتَكَ، وأَسْتَحِقُّ عَفْوَكَ) هو استيجاب التَّفضُّل، واستحقاقه، أي: كونُ العَبدِ بحيث لا يُقبَّحُ التَّفضُّلُ عليه، والعفوُ عنه، وسيأتي إنْ شاءَ اللهُ تعالى تمامُ الكلامِ في ذلك في موضِعٍ أليقُ به.

ثُمَّ أنَّا لو سلَّمنا أنَّ التَّوبةَ مِمَا تُوجِبُ إسقاط العقاب، نَحمِلُ التَّوبةَ هاهنا على المجاز، كما عَرفتَ سابقاً.

الوجه الرابع: إنَّه تعالى سمَّاه ظالماً في قوله: ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا**﴾[4]، والظَّالِمُ

---

(١) بحار الانوار: ١١/ ٢٠١.

(٢) في نسخة (ب): الصحيفة الكاملة.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ٨٩.

(٤) من قوله تعالى: ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الأعراف: ٢٣.

ملعونٌ بقوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]، وهو سَمَّى نفسه ظالماً، لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[2][3]، ومَن استحقَّ اللَّعن فهو صاحِبُ الكبيرةِ.

وأجاب السيِّد رضي الله عنه (بأنَّ معنى قولهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾[4] إنَّا نقصَّنا أنفسنا، وبخسناها ما كُنَّا نستحقّه مِنَ الثَّواب بفعل ما أُرِيدَ مِنَّا، وحُرِمنَا تلك الفائدةِ الجليلةِ مِنَ التَّعظيم، وذلك الثَّواب، وإن لم يكن مُستحقَّاً قبلَ أن يفعلَ الطَّاعة التي يستحقُّ بها، فهو في حُكمِ المُستحقِّ، فيجوزُ أن يُوصَفَ مَن فوَّتهُ نفسه بأنَّه ظالم لها، كما يُوصَفُ بذلك مَن فوَّت نفسه المنافِع المُستحقَّة، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[5])[6] انتهى.

---

(١) من قوله تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف: ١٩.

(٢) من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ هود: ١٨.

(٣) في نسخة (ب): (انه تعالى سماه ظالماً بقوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، وهو سمى نفسه ظالماً في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾، والظالم ملعون لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. ما في الأصل قد نقله من نص المجلسي في البحار لأنه نفس التقديم والتأخير وفي الآيات).

(٤) من قوله تعالى: ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الأعراف: ٢٣.

(٥) من قوله تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف: ١٩.

(٦) تنزيه الأنبياء: ٢٧.

والظُّلـمُ في الأصـلِ: (وضـعُ الـشَّيء في غـير مَوضِعـه)[1]، قـال الجوهـريُّ، ويُقـالُ: (مَـن أَشْـبَهَ أَبـاهُ فَـمَا ظَلَـم، وقيـل: أصـلُ الظُّلـمِ: انتقـاصُ الحـقِّ، قـال اللهُ تعـالى: ﴿**كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا**﴾[2] أي: لم تنقُـص)[3].

قال الشَّاعرُ [4]: [من الطويل]

تَظَلَّمنِي حَقّي كَذَا وَلَوى يَدي لَوى يَدَهُ اللهُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ

أي: تنقَّصَني، وَتَظَلّمني، وظَلَمني بمعنىً.

وقـال ابـن الأثـير: في حديـثِ ابـن زِمْـل: (لَزَمُـوا الطَّرِيـقَ فَلَـم يَظْلِمُـوهُ أي: لم يَعدِلُـوا عنـه، يُقـالُ: أخـذَ في طريـقٍ فـمَا ظلـمَ يمينـاً، وشـمالاً)[5].

وعـلى أيِّ تقديـرٍ فـلا يلـزم مِـنَ الوَصـفِ بالظُّلـمِ مـا ادَّعـاه المُسـتدِلُّ؛ لأنَّـه لا شـكَّ في مُخالفَـةِ أمـره سـبحانه وضـعٌ للـشيء في غـيرِ موضِعـه، ونقـصٌ للثـواب، وعـدولٌ عـن الطَّريـق المُؤدِّيـةِ إلى المُـراد.

---

(١) لسان العرب، مادة (ظلم)

(٢) مـن قولـه تعـالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَرًا﴾ الأعراف: ٣٣.

(٣) الصحاح، مادة (ظلم).

(٤) هـذا البيـت قيـل في شـاب يدعـى منـازل كان في زمـن عبـد الملـك بـن مـروان وكان لـه أب كبـير، وكان عاقّـا بأبيـه، لذلـك قـال فيـه ابيـه هـذه الابيـات لشـدة عقوقـه لـه، ينظـر: عيـون الاخبـار، ابـن قتيبـة: ٣/ ٩٨، مجابـو الدعـوة، ابـن أبي الدنيـا، تحـ: المهنـدس الشـيخ زيـاد حمـدان:٦١، الـبر والصلـة، ابـن الجـوزي، تحـ: عـادل عبـد الموجـود: ١٠٥.

(٥) غريب الحديث، ابن الأثير: ٣/ ١٦١.

وأمَّا ما استدلَّ به على أنَّ الظَّالم ملعونٌ فباطلٌ، إذ الآية ليستْ إلَّا في موضعين مِنَ القرآن: أحدهما سورة الأعراف، وفيها هكذا: ﴿**أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۞ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾[1].

وثانيهما: في سورة هود عليه السلام، وفيها كما ذكر، إلَّا أنَّ آخِر الآية فيها هكذا: ﴿**وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾[2] بتكرير لفظة هم، وعلى أيِّ حالٍ فلا يدلُّ على لعنِ مُطلَقِ الظَّالمين، بل لا يدلُّ على لعنِ صاحِبِ الكبيرة أيضاً مِنَ المسلمين.

على أنَّ اللَّعن أيضاً لا يدلُّ على كونِ الفعل كبيرةٌ، لوُرودِ الأخبار بلعنِ صاحِبِ الصَّغيرة[3]، بل مَن ارتكبَ ما نهُيَ عنه، ولو على وجه الكراهة.

وأصلُ اللَّعن: (هو الطَّردُ، والإبعادُ عن الرَّحمة)[4]، والبُعدُ عنها كما يكون بتركِ واجبٍ أو إتيانِ مُحرَّمٍ، كذلك يتحققُّ بالحرمانِ مِنَ الثَّوابِ المُستحقِّ بفعل المندوبِ، وتركِ المكروه، والبُعدُ عن هذا النَّوعِ مِنَ الرَّحمة نوعٌ مِن البُعدِ عن الرَّحمةِ، ولكن مع ذلك لا يجوزُ لَعنُ الأنبياء عليهم السلام، ولا الصُّلحاءُ

---

(١) من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۞ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ هود: ١٨-١٩.

(٢) هود: ١٩.

(٣) ينظر: بحار الانوار: ١١/ ٢٠٠-٢٠١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ٢٥٥، عمدة القارئ: ٤/ ١٩٣.

مِنَ المؤمنين، لسوءِ الأدبِ، لإيهامه خلاف المقصود، وشيوعِ استعماله فيمَن ارتكب الكبائر، والعظائم مِنَ الذُّنوبِ، بل لأنَّ الغالب استعماله في الكُفَّارِ، والخارجين عن الدِّين.

وكذا قالوا في إطلاق العاصي، والغاوي، والظَّالم، والخاسر، ونحو ذلك [٨٢: ظ] كيف، وقد نهى اللهُ سُبحانه عن حكاية فعلِ المُذنبينَ مِن المُؤمنينَ، وعيوبهم، وروى ثِقةُ الإسلام في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: (مَن قَالَ فِي مُؤمِنٍ مَا رَأَتهُ عينَاهُ، وَسَمِعَتهُ أُذنَاه، فَهوَ مِنَ الَّذينَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[1])[2].

فكيف بالأنبياءِ الَّذين اصطفاهم اللهُ على خَلقِهِ، وجَعلهُم حُجَّةً على بَرِيته.

وقال الفخرُ الرَازي في التَّفسير: ظاهرُ القرآن، وإن دلَّ على أنَّ آدم عليه السلام عصى، وغوى. لكن ليسَ لأحدٍ أن يقولَ: إنَّ آدم عليه السلام كان عاصياً غاوياً، ويدلُّ على صحَّة قولنا وجوه:

أحدها: قال العتبي[3]: يُقالُ لرَجلٍ قطعَ ثوباً، وخاطَهُ: قد قطعه، وخاطه،

---

(١) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النور: ١٩.

(٢) الكافي: ٢/ ٣٧٥ ح ٢.

(٣) أبو عبد اللهَّ، محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي الأموي، القرطبي، المالكي سمع من: يحيى بن يحيى الليثي، وأصبغ بن الفرج، وسحنون بن سعيد، وسعيد بن حسّان، وغيرهم، روى عنه: محمد بن عمر بن لُبابة، وأبو صالح، وسعيد بن معاذ،

ولا يُقالُ: هو خائط، ولا خيَّاطٌ حتَّى يكون مُعاوداً لذلك الفعلِ، معروفاً به، ومعلومٌ أنَّ هذه الزَّلَّة لم تَصدُر عن آدم عليه السلام إلَّا مرَّةً واحدةً، فوجَبَ أن لا يجوزُ إطلاق هذا الاسم عليه.

و**ثانيها**: إنَّ ذلك كان قبلَ النُّبوَّة، فلا يجوزُ وصفه به بعد النُّبوَّة، كما لا يجوزُ أن يُقال لِمَن اسلَم بعدَ الكُفرِ: أنَّه كافرٌ، بل على تقدير أن تكون هذه الواقعة وقَعَت بعد النُّبوَّة، لم يجز أيضاً، لأنَّه عليه السلام تابَ عنها، وكما أنَّ الرَّجُل المسلم إذا شَرِبَ خمراً، او زنا، ثُمَّ تاب، لا يُقالُ له: إنَّه شارِبُ خمرٍ، أو زانٍ، فكذا هاهنا.

و**ثالثها**: إنَّ قولنا: عاصٍ، وغاوٍ، يُوهِمُ كونه عاصياً في أكثرِ الأشياءِ، وغاوياً عن مَعرِفة الله تعالى، ولم يَرِد اللَّفظين في القرآن مُطلَقَينِ، فلا يُوهِمُ الوهم الباطل الَّذي ذكرناه.

و**رابعها**: إنَّه يجوزُ مِنَ الله تعالى ما لا يجوزُ مِن غيره، كما يجوزُ للسيِّدِ في عَبدِه، وولَدِه ما لا يجوزُ لغيره[1]، انتهى.

والوجهُ الأوَّلُ مُختصٌّ بلفظ الصِّفةِ، بخلاف البواقي.

الوجهُ الخامس: إنَّه ارتكبَ المَنهيَّ عنه في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ**

فكان فقيهاً، حافظاً للمسائل جامعاً لها. له تصنيفٌ في الفقه يُعرف بالمستخرجة عن مالك، ويعرف بالعُتْبية أيضاً، جمعها وأكثر فيها من الروايات المطروحة، والمسائل الشاذة، مات سنة ٢٥٤ ويقال ٢٤٥هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٢/ ٣٣٥، توضيح المشتبه: ٦/ ١٦٠، موسوعة طبقات الفقهاء:٣/ ٤٥٨.

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٢/ ١٢٨.

الشَّجَرَةَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾[2]، وارتكابُ المنهيِّ عنه كبيرة.

والجوابُ: إنَّ النَّهي كما يكونُ للتحريم يكونُ للتنزيه، ولو ثبَتَ أنَّه حقيقةٌ في التَّحريم، حَملنَاهُ على المجاز لدلائل العِصمَة، على أنَّ شُيوعَ استعماله في التَّنزيه يمنعُ مِن حمله على المعنى الحقيقي بلا دليلٍ مِن خارج، وما تكلَّفه السيِّد رضي الله عنه مِن إرجاعِ هذا النَّهي إلى الأمرِ بعدم التَّناولِ مِنَ الشَّجرة، فلعلَّه مُستغنى عنه، وأمَّا كونُ ارتكاب المنهيِّ عنه كبيرةٌ مُطلقاً، كما ادَّعاه المُستدلُّ فظاهرُ الفَسادِ.

الوجه السادس: إنَّه أُخرِجَ مِن الجنَّة بسبب وَسوَسَةِ الشَّيطانِ، وإزلاله، جزاءً على ما أقدَمَ عليه، مِن طاعة الشَّيطانِ، وذلك يدلُّ على كونه فاعلاً للكبيرة[3].

وأجاب السيِّد رضي الله عنه: (بأنَّ نفسُ الإخراجِ مِنَ الجنَّةِ لا يكونُ عقاباً، لأنَّ سلبَ اللَّذاتِ، والمنافع ليست بعقوبة، وإنَّما العقوبةُ هي الضَّرر، والألم الواقعان على سبيلِ الاستخفاف، والإهانة، وكذلك نزعُ اللِّباس، وإبداءُ

---

(١) من قوله تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف: ١٩.

(٢) من قوله تعالى: ﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ الأعراف: ٢٢.

(٣) ينظر: التفسير الكبير،: ٣/ ١١، عصمة الأنبياء:١٧.

السَّوءة، ولو كانت هذه الأُمور مِمَا يجوزُ أن تكون عقاباً، ويجوزُ أن تكونَ غيره، لصرفناها عن بابِ العقابِ إلى غيره، بدلالة أنَّ العقاب لا يجوزُ أن يستحقَّه الأنبياء عليهم السلام، فإذا فعلنا ذلك فيما يجوزُ أن يكونَ واقعاً على سبيل العُقوبة، فهو أولى فيما لا يجوزُ أن يكونَ كذلك، فإن قيل: فما وجهُ ذلك إن لم يكن عقوبةً؟.

قلنا: لا يمتنعُ أن يكونَ الله تعالى عَلِمَ أنَّ المصلحة تقتضي تبقيَة آدم عليه السلام في الجنَّة، وتكليفه فيها ما لم يتناول مِنَ الشَّجرة، فإذا تناولَ منها تغيَّرت الحال في المصلحة، وصارَ إخراجُه عنها، وتكليفه في دارٍ [٨٣: و] غيرها هو المصلحة.

وكذلك القولُ في سَلبِ اللَّباس، حتَّى يكونُ نزعُه بعد التَّناول مِنَ الشَّجرة هو المصلحة، كما كانت المصلحةُ في تبقيته قبل ذلك.

وإنَّما وُصِفَ إبليس بأنَّه مُخرِجٌ لهما مِنَ الجنَّة مِن حيث وَسوَسَ إليهما، وزيَّن عندهما الفِعل الَّذي يكونُ عِندَه الإخراج، وإن لم يكن على سبيلِ الجزاءِ عليه، لكنَّه يتعلَّق به تعلُّق الشَّرط في المصلحة، وكذلك وصفُه بأنَّه مُبدي لسوءاتهما مِن حيث أغواهما، حتَّى أقدَمَا على ما سَبقَ عِلمُ الله تعالى بأنَّ اللِّباس يُنزَعُ معه عنهما، ولا بُدَّ لِمَن ذَهبَ إلى أنَّ معصية آدم عليه السلام صغيرةٌ لا يستحقُّ بها العقاب مِن مثلِ هذا التأويل، وكيفَ يجوزُ أن يُعاقِب الله تعالى نبيَّه، وهو لا بُدَّ أن يكون مقروناً بالاستخفاف، والإهانة، وأيُّ نفسٍ تَسكُنُ إلى مُستخَفٍّ بقَدرِه، مُهانٌ، مُوبَّخٌ، مُبكَّت، وما يُجيزُ مثلُ ذلك على الأنبياء

عليهم السلام إلَّا مَـن لا يَعـرِف حقوقهـم، ولا يعلـمُ مـا يقتضيـه منازلهـم)[1]، انتهـى كلامـه، وأوائلـه لا يخلـو عـن تأمُّـل، ولكنَّـه غـيرُ قـادحٍ في المطلـوب، فتأمَّـل.

ولا يذهـبُ عليـك أنَّـه على تقديـر كـون مـا ذَكـر عقاباً، لا يلـزمُ كـونُ الفعـلِ كبيرةٌ، ولكـن على غـيرِ مذهَـبِ المُعتزلـة، كـما سَبق.

الوجـه السـابع: إنَّـه لـو لا مَغفـرةُ الله إيَّـاه، لـكانَ مِـنَ الخاسريـن؛ لقولـه: ﴿أَنْفُسَـنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِـرْ لَنَـا وَتَرْحَمْنَـا لَنَكُونَـنَّ مِـنَ الْخَاسِرِيـنَ﴾[2]، وذلـك يقتـضي كونـه صاحِـب الكبـيرة.

والجـوابُ عنـه: إنَّ خُسرانـه الَّـذي كان يستعيذُ منـه هـو نقـصُ الثَّـواب، عـلى تقديـرِ عـدم قبـولِ التوبـة[3].

وقـد مـرَّ في جـواب الوجـه الثالـث مـا يُشـيدُ اركانَ ذلـك، والخسرانُ هـو: النَّقـصُ، ضـدَّ الرِّبـح[4]، والكَـرَّةُ الخـاسَرةُ هـي غـيرُ النَّافعـة منهـا، وعـلى تقديـرِ التَّسـليم، فاسـتلزامه لكونـه صاحِـبُ الكبـيرة باطـلٌ، كـما سَـبقَ مِـراراً.

ثُـمَّ قـال بعـضُ المُخطِّئـة: هَـب أنَّ كُلَّ واحـدٍ مِـن هـذه الوُجـوه لا يـدلُّ عـلى كونـه فاعـلاً للكبـيرةِ، لكـن مَجمُوعُهـا لا شـكَّ في كونـه قاطعـاً في الدِّلالـة عليـه،

---

(١) تنزيه الأنبياء: ٢٨.

(٢) مـن قولـه تعـالى: ﴿قَـالاَ رَبَّنَـا ظَلَمْنَـا أَنْفُسَـنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِـرْ لَنَـا وَتَرْحَمْنَـا لَنَكُونَـنَّ مِـنَ الْخَاسِرِيـنَ﴾ الأعـراف: ٢٣.

(٣) بحار الانوار: ١١/ ٢٠٣.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (خسر).

ويجوزُ أن يكون كُلُّ واحدٍ مِنَ الوجوه[1] غيرُ قاطعٍ في الدِّلالةِ على شيءٍ، ويكونُ المجموعُ قطعيُّ الدِّلالة عليه.

والجواب: إنَّ كون المجموع قاطعاً في الدِّلالة باطلٌ قطعاً، نعم لو لا دلائل العِصمَة مِنَ العقلِ، والنَّقل، واتفاقُ الإماميَّة، بل اتفاقُ الأئمَّة عليهم السلام لأفادَ ظنَّاً بصُدورِ مَعصيةٍ عن آدم عليه السلام كما يُفيدُ ظواهر التَّجسم التي مُلئت الآيات، والأخبار منها ظناً بالتَجسيم لو دلائل التجرُّد.

وأمَّا الدِّلالة على صُدورِ الكبيرةِ - كما هو مطلوبكُم - فلا، وليس العدولِ عن الظَّواهر بعدَ قيامِ الدِّلالَةِ القطعيَّة على خِلافها بشاذٍّ شارِدٍ كما لا يخفى.

ولقد أبدعَ ابن أبي الحديد حيثُ جعلَ إثبات الخطأ لآدَمَ عليه السلام نُصرَةً لكلامِ أميرِ المُؤمنين عليه السلام قال في شرحِ خُطبة الأشباح: وأعلم أنَّ الشَّريف المُرتضى رحمه الله قد تكلَّم في كتابه المُسمَّى تنزيهُ الأنبياءِ، والأئمَّة عليهم السلام على الآياتِ الوارِدَةِ في هذه القصَّة، وانتصر لمَذهب الأماميَّة، وحاول صرفها عن ظاهرها، وتأويلُ اللَّفظِ بتأويلٍ مُستكرَهٍ غيرَ صحيحٍ، وأنا أحكي كلامه هاهنا، وأتكلَّمُ عليه نُصرةً لأصحابنا، ونُصرَةً أيضاً لأميرِ المؤمنين عليه السلام فإنَّه قد صرَّح بوُقوعِ الذَّنبِ مِن آدم عليه السلام ثُمَّ أورَدَ ما حكيناه مِن كلامِ السيِّد، واشرنا إلى أجوبة أكثرِ ما أورَدَه عليه[2].

ولَعمرِي إنَّه في مقصده هذا مِصدَاقُ قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ**

---

(١) التفسير الكبير: ٣/ ١١.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ٧/ ١٣.

بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1].

وإذ قد عَرفتَ ضَعفَ ما تمسَّكوا به في هذه القصَّة، الَّذي هو أقوى وجوههم [٨٤: ظ] ظهرَ لكَ ضَعفُ بواقيها على الإجمالِ، ولو لا خوفُ الإفراطِ في التَّطويلِ، والخروجُ عن المقصودِ لاستقصينا الكلامَ فيها، ولكنَّا نذكُرُ هاهنا روايةً يتضمَّنُ بعضها معَ الرَّدِّ عليها، تيمُّناً بها، وكراهةً لخلوِّ الكلامِ عن دفعها رأساً.

تنزيه بعض الأنبياء عليهم السلام

روى الصَّدوق رحمه الله في كتابِ عُيون الأخبار بالإسناد عن أبي الصَّلت الهرويّ، قال: (لمَّا جمعَ المأمون لعليِّ بن موسى الرِّضا عليه السلام أهلَ المقالاتِ مِن أهلِ الإسلام، والدِّيانات؛ مِن اليهودِ، والنَّصارى، والمجوسِ، والصَّابئين، وسائرِ أهلِ المقالاتِ، فلم يقُم أحدٌ إلَّا، وقد ألزَمهُ حجَّةً، كأنَّه أُلقِمَ حجراً، قام إليه عليّ بن محمَد بن الجهم فقال له: يا بنَ رَسولِ الله، أتقولُ بعِصمَة الأنبياءِ؟ فقال: نَعَم، قال: فما تقولُ في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[2]، وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ

---

(١) الكهف: ١٠٣- ١٠٤.

(٢) من قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ طه:١٢١.

نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[1]، وفي قوله عزَّ وجلَّ في يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾[2]، وفي قوله عزَّ وجلَّ في داود عليه السلام: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾[3]، وقوله عزَّ وجلَّ في نبيِّه محمَّد صلى الله عليه وآله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾[4]، فقال الرِّضا عليه السلام: وَيحَكَ يَا عَلِيّ، اتَّقِ اللهَ، وَلَا تَنسِبَ إِلَى أَنبِيَاءِ الله الفَوَاحِشَ، وَلَا تَتَأَوَّلَ كِتَابَ الله بِرَأيِكَ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[5].

---

(١) من قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الانبياء: ٨٧.

(٢) من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف: ٢٤.

(٣) من قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ ص: ٢٤.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ الاحزاب: ٣٧.

(٥) من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران: ٧.

وَأَمَّا قَولُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي آدَم عليه السلام: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[1] فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَم حُجَّةً فِي أَرضِهِ، وَخَلِيفَتَهُ فِي بِلَادِهِ، لَم يَخلُقهُ لِلجَنَّةِ، وَكَانَت المَعصِيَةُ لآدَم عليه السلام فِي الجَنَّةِ لَا فِي الأَرضِ، وَعِصمَتُهُ يَجِب أَن تَكُونَ فِي الأَرضِ، لِيُتِمَّ مَقَادِيرَ أَمرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَمَّا أُهبِطَ إِلَى الأَرضِ، وَجُعِلَ حُجَّةً، وخَلِيفَةً عُصِمَ بِقَولِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2]، وَأَمَّا قَولُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[3] إِنَّمَا ظَنَّ بِمَعنَى استَيقَنَ أَنَّ اللهَ لَن يُضَيِّقَ عَلَيهِ رِزقَهُ، أَلَا تَسمَعُ قَولَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾[4]، أي: ضَيَّقَ عَلَيهِ رِزقَهُ، وَلَو ظَنَّ أَنَّ اللهَ لَا يَقدِرُ عَلَيهِ لَكَانَ قَد كَفَرَ.

وَأَمَّا قَولُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي يُوسُف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾[5]، فَإِنَّهَا هَمَّت بِالمَعصِيَةِ، وَهَمَّ يُوسُف بِقَتلِهَا أن أَجبَرَتهُ، لِعِظَمِ مَا تَدَاخَلَهُ، فَصَرَفَ اللهُ عَنهُ قَتلَهَا، والفَاحِشَة، وَقَولُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾[6] يَعنِي الزِّنَا[7]، وَأَمَّا دَاودَ عليه السلام فَمَا يَقُولُ مَن قِبَلَكُم فِيهِ؟

(١) طه: ١٢١.

(٢) آل عمران: ٣٣.

(٣) الانبياء: ٨٧.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ الفجر: ١٦.

(٥) من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف: ٢٤.

(٦) يوسف: ٢٤.

(٧) في المصدر: القتل والزنا.

فقال عليُّ بن محمّد بن الجهم: يقولون إنَّ داود عليه السلام كان يُصلِّي في محرابه، إذ تصوَّرَ له إبليس على صُورةِ الطَّيرِ، أحسنَ ما يكونُ مِنَ الطُّيورِ، فقطعَ داودُ صلاته، وقام ليأخُذَ الطَّير، فخرجَ الطَّيرُ إلى الدَّار، فخرجَ في إثره، فطارَ الطَّيرُ إلى السَّطحِ، فصَعَدَ في طلبه، فسقطَ الطَّيرُ في دار أوريا بن حنان، فأطلع داود عليه السلام في إثرِ الطَّيرِ، فإذا بامرأة أوريا تغتسل، فلمَّا نظرَ إليها هويها[1].

وكان قد أَخرَجَ أوريا في بعضِ غزواته، فكتب إلى صاحبه: أن قدِّم أوريا أمام التَّابوت فقُدِّمَ[2]، فقُتلَ أوريا رحمه الله، وتزوَّج داود بامرأة أوريا.

قال: فضرَب عليه السلام يدَه على جبهته، فقال: إِنَّا لله، وإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُون! قَد نَسَبتُم نَبِيَّاً مِن أَنبِيَاءِ الله عليهم السلام إِلَى التَّهَاوُنِ بِصَلَاتِهِ، حَتَّى خَرَجَ فِي إِثرِ الطَّيرِ، ثُمَّ بِالفَاحِشَةِ، ثُمَّ بِالقَتلِ!، فقال: يا بن رسول الله، فما كانت خطيئته؟، فقال عليه السلام: وَيحَكَ، إنَّ دَاودَ إِنَّمَا ظَنَّ أَنَّ مَا خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلقَاً هُم أَعلَمُ مِنهُ، فَبَعَثَ [٨٥: و] اللهُ عَزَّ وَجَلَّ المَلَكَينِ، فَتَسَوَّرُوا المِحرَابَ، فَقَالَا: ﴿**خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۞ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**﴾[3]، فَجَعَلَ دَاودَ عليه السلام عَلَى المُدَّعَى عَلَيهِ، فَقَالَ عليه السلام: ﴿**لَقَدْ**

---

(١) في المصدر: هواها.

(٢) في المصدر: (إن قدم أوريا امام التابوت فقدم فظفر أوريا بالمشركين فصعب ذلك على داود فكتب إليه ثانيه ان قدمه امام التابوت فقدم فقتل).

(٣) من قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۞ إِنَّ هَذَا

ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾[1]، وَلَمْ يَسْأَلِ الْمُدَّعِي الْبَيِّنَةَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يُقْبِلْ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ، فَيَقُولَ لَهُ: مَا تَقُولُ؟ فَكَانَ هَذَا خَطِيئَةُ رَسْمِ حُكْمٍ، لَا مَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ، أَلَا تَسْمَعُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: **﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾**[2] إلى آخر الآية.

فقال: يا بن رَسولُ الله، فما قصَّته مع أوريا، قال الرِّضا عليه السلام: إِنَّ الْمَرْأَةَ فِي أَيَّامِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَتْ إِذَا مَاتَ بَعْلُهَا، أَوْ قُتِلَ، لَا تَتَزَوَّجُ بَعْدَهُ أَبَدًا، فَأَوَّلُ مَنْ أَبَاحَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ قُتِلَ بَعْلُهَا كَانَ دَاوُد عليه السلام فَتَزَوَّجَ بِامْرَأَةِ أُورِيَا لَمَّا قُتِلَ، وَانْقَضَتْ عِدَّتُهَا مِنْهُ، فَذَلِكَ الَّذِي شُقَّ عَلَى النَّاسِ مِنْ قِبَلِ أُورِيَا، وَأَمَّا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، وقَولُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾**[3]، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَرَّفَ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله

أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ ص: ٢٢- ٢٣.

(١) من قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ ص: ٢٤.

(٢) من قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ص: ٢٦.

(٣) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا

أَسمَاءَ أَزوَاجِهِ فِي دَارِ الدُّنيَا، وَأَسمَاءِ أَزوَاجِهِ فِي الآخِرَةِ، وَأَنَّهُنَّ أُمهَاتُ المُؤمِنِينَ، وَإحدَاهُنَّ سَمَّى لَهُ زَينَب بِنتِ جَحش، وَهيَ يَومَئذٍ تَحتَ زَيدِ بِن حَارِثَة، فَأَخفَى ﷺ اسمَها فِي نَفسِهِ، وَلَم يُبدِهِ؛ لَئلَّا يَقُولَ أَحَدٌ مِنَ المُنَافِقِينَ إنَّهُ قَالَ فِي امرَأةٍ فِي بَيتِ رَجُلٍ إنَّهَا إحدَى أَزوَاجِهِ مِن أُمهَاتِ المُؤمِنِينَ، وَخَشِيَ قَولَ المُنَافِقِينَ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**﴾[1] يَعنِي فِي نَفسِكَ، وَإنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَوَلَّى تَزوِيجَ أَحدٍ مِن خَلقِهِ إلَّا تَزوِيجَ حَوَا مِن آدَم عليه السلام، وَزَينَب مِنْ رَسُولِ الله ﷺ بِقَولِهِ: ﴿**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا**﴾[2] الآيَة، وَفَاطِمَةَ مِن عَلِيٍّ عليهما السلام.

قال: فبكى عليُّ بن محمّد بن الجهم، وقال: يا بنَ رسول الله، أنا تائبٌ إلى الله عزَّ وجلَّ مِن أن أنطِق في أنبياءِ الله عليهم السلام بعدَ يومي هذا إلَّا بما ذكرته)[3].

توضيحٌ: قد عرَفتَ وجهَ الحَملِ في جوابه عليه السلام في قصَّة آدم عليه السلام، ولعلَّ وجهَ العُدولِ عن الجواب: بأنَّها كانت مِن قَبيلِ تركِ الأَولَى ما عرَّفه عليه السلام مِن سُكونِ السَّائلِ، والحاضرين إلى الجواب الَّذي ذَكَرَه عليه السلام على سبيلِ الاستظهارِ، ولإبطالِ ما زَعمُوه مِن صُدورِ المَعصيَةِ عنهم عليهم السلام مُطلقاً، دونَ الجوابِ المذكورِ.

ولعلَّ المُراد مِنَ الآيةِ على تفسيره عليه السلام في قصَّة يُونس عليه السلام مِن أنَّ الظَّنَّ

قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ الاحزاب: ٣٧.

(١) الاحزاب: ٣٧.

(٢) الاحزاب: ٣٧.

(٣) عيون أخبار الرضا: ١/ ١٧٠ ح ١.

بمعنى اليقين، هو: أنَّه لو لم يستيقن أنَّ اللهَ لا يُضَيِّقُ عليهِ رِزقه، لَما خرجَ مِن بينِ القومِ، وإن كان مُغاضِباً لهم، فكان ما استيقنه مُؤشِّراً مِن شرائط خُروجِه، ولو كان مِمَّن خافَ على "تضييِّقٍ"[1]، ولم يعتمِد على اللهِ سُبحانه لَما خَرجَ مِن بينهم.

والجوابُ عن هذا السُّؤال مذكورٌ في رُواية عليّ بن محمّد بن الجهم بوجهٍ أبسطَ، وأوردها الصَّدوق رحمه الله في العُيون[2]، فليرُجَعْ إليه، وقد ذكرَ المُفسرّونَ في هذه الآية وُجوهاً مِن التَّأويل، ولم يذكروا هذا الوجه فيما ظفرنا به.

وأمَّا قصَّة يُوسف عليه السلام فالجوابُ عن السُّؤالِ عنها، ورَدَت في رُواية عليّ بن محمّد بن الجهم بوجهين آخرين، رُوي عليه السلام عن أحدهما عن الصَّادق عليه السلام.

وللفخرِ الرَّازي في هذا المقام كلامٌ لا يخلو عن لَطافَةٍ، قال: (إنَّ الَّذينَ لهُمْ [٨٦: ظ] تَعَلُّقٌ بِهذه الواقعة هُم يُوسُف عليه السلام، والمَرأة، وزَوجُها، والنِّسوةُ، والشُّهود، وربُّ العَالَمينَ، وإبليس، وكُلُّهم قالوا ببراءةِ يُوسف عليه السلام عن الذَّنب، فلم يبقَ لمُسلِمٍ توقُّفٌ في هذا الباب، أمَّا يُوسف عليه السلام، فلقوله: ﴿**هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي**﴾[3]، وقوله: ﴿**رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾[4]،

---

(١) في نسخة (ب): تضييق الرزق.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١/ ١٧٠ ح ١.

(٣) من قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ يوسف: ٢٦.

(٤) من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ يوسف:٣٣.

وأمَّا المرأة، فلقولها: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾(١)، وقالت: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾(٢)، وأمَّا زوجُها، فلقوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾(٣)، وأمَّا النُّسوَة، فلقولهنَّ: ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٤)، وقولهنَّ: ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾(٥)، وأمَّا الشُّهود، فلقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾(٦).

وأمَّا شهادةُ الله تعالى، فلقوله عزَّ مَن قائل: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾(٧)، وأمَّا إقرارُ إبليس بذلك فلقوله:

---

(١) من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ يوسف: ٣٢.

(٢) من قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يوسف: ٥١.

(٣) من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ يوسف: ٢٨.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يوسف: ٣٠.

(٥) يوسف: ٥١.

(٦) من قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ يوسف: ٢٦.

(٧) من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1]، فأقرَّ بأنَّه لا يُمكِنُه إغواءُ العِبادِ المُخلِصينَ، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[2]، فقد أقرَّ إبليسُ بأنَّه لم يُغوه.

وعِندَ هذا نقولُ: هؤلاءِ الجُهَّالِ الَّذين نَسبُوا إلى يُوسف عليه السلام الفضيحة، إن كانوا مِن أتباعِ دينِ الله فليقبلوا شهادةَ الله بطهارته، وإن كانوا مِن أتباعِ إبليس، فليقبلوا إقرار إبليس، وجنوده بطهارته، ولعلَّهم يقولون: كُنَّا في أوَّلِ الأمرِ تلامِذَة إبليس، إلَّا أنَّا زِدنا عليه في السَّفاهة، كما قال الحروريِّ[3]:

وَكُنْتُ أُمرءً مِنْ جُنْدِ إبْليسَ فَارْتَقَتْ ... بِيَ الحالُ حتّى صارَ إبْليسُ مِنْ جنديْ

فَلَو ماتَ قَبْلي كُنْتُ أُحْسِنُ بَعْدَه ... طرائِق فِسقٍ لَيْسَ يُحْسِنُها بَعدي)[1]

أنتهى.

وأمَّا قصَّة داود عليه السلام فيُحتملُ أن يكون ظنُّه أنَّه ما خَلقَ اللهُ أحداً مِن أهلِ زمانه هوَ أعلمُ منهُ، وهذا الظَّنُّ، وإن كان صَادِقاً، إلَّا أنَّه لَمَّا كان مُصادِفاً لنوعٍ مِنَ العُجبِ الَّذي ينبغي تنزُّه الأنبياء عليهم السلام عنه، نبَهَهُ اللهُ سُبحانه، بأن أرسَلَ

عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف: ٢٤.

(١) ص: ٨٢- ٨٣.

(٢) يوسف: ٢٤.

(٣) لم اقف على ديوانه. وقد ذكره الرازي في تفسيره، ونسبه الى الخوارزمي. ينظر: التفسير الكبير: ١٨/ ٤٤١.

(١) التفسير الكبير: ١٨/ ١١٦.

المَلَكَينِ على الوجه المذكورِ.

أو يكون ظنُّه أنَّ اللهَ سُبحانه لم يَخلِق مِن السَّابقينَ عليه أحداً أعلمُ منهُ، وهذا على تقديرِ أن لا يقومَ دليلٌ على أعلميَّة أحدٍ مِمَن سَبقه، ولو دلَّ على مُطلقِ الأعلميَّة دُون الأعلميَّة في الحُكم، أمكن التَّخصيصُ بالحُكم، ويُناسبه تأديبه على تركِ الأولَى في باب الحُكم.

ويُمكن أن يكونَ المُرادُ: بأنَّه ظنَّ أنَّه لم يَخلُق اللهُ خلقاً أعلمَ منه، أنَّه أعجبَ بنفسه، وكمال علمه، كما يُقالُ في العُرفِ: ليسَ أحدٌ أعلمُ مِن فُلانٍ، والمُراد: أنَّه بلغَ الغاية القُصوى مِنَ الفضلِ، وليس بناؤه على استقصاءِ العُلماءِ، وتعرُّف درجاتهم.

وهذا الوجهُ إن استبُعِدَ في بادئ النَّظر، إلَّا أنَّه يُناسبُه تأديبُ داود عليه السلام بما يُشبه التَّخطئة في الحُكم، ولو كان على أحدِ الوجوه السَّابقة، لكان الأنسبُ أن يُرسلَ الله سبحانه إليه مَن هو أعلمُ منه على وجهٍ، حتَّى يُؤدِّبه، ويُنبِّهه، وأمَّا تعجيلُ داود عليه السلام في حال التَّرافُع، فليسَ المُرادُ أنَّه حكمٌ بظُلم المُدَّعى عليه قبل البيِّنة، إذ مُراده بقوله: ﴿**لَقَدْ ظَلَمَكَ**﴾[1]، أنَّه لو كان الأمرُ على ما تدَّعيه فقد ظَلَمَكَ، وعجَّل في هذا القول لشناعَة الدَّعوى أو لها، ولِمَا عُرِضَ له مِنَ الخوفِ لدُخولِ الخَصمَينِ على غير الوجه المعهود.

---

(١) من قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ ص: ٢٤.

كما يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ﴾[1] الآية.

والتَّسوُّر: هو إتيانُ الدَّار مِن قِبل السُّور[2]، ولمَّا كان [٨٧: و] التَّعجيل بهذا القول نوعاً مِن الميلِ إلى أحدِ الخَصمينِ، وكان الأَولَى تركه، والتَّنزُّه عنه، اسْتَغْفَر ربَّه، وَخَرَّ راكِعاً، وأنابَ.

وقال الشَّيخ رحمه الله في التِبيان قد رَوى عن عليٍّ عليه السلام أنَّه قال: (لَا أُوتِيَ بِرَجُلٍ يَقُولُ إنَّ دَاودَ ارتَكَبَ فَاحِشَةً إلَّا ضَرَبتَهُ حَدَّينِ: أَحَدَهُمَا لِلقَذفِ، وَالآخَر لِأَجلِ النُّبوَّة)[3].

وأمَّا قصَّة تزويجِ زينب مِن رَسولِ الله صلى الله عليه وآله فلفظُ الخبرِ ظاهرٌ، ورُواية عليّ بن محمّد ابن الجهم أبسطُ منه.

وقال في مجمع البيان بعد ذِكرِ هذا الوجه: ورُوى ذلك عن عليِّ بن الحسَيْن عليهما السلام.

وهذا التَّأويل مُطابقٌ لتلاوة الآية؛ وذلك أنَّه سُبحانه أعلمُ أنَّه يُبدِي ما أخفاه، ولم يُظهر غيرَ التَّزويج، فقال: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾، فلو كان الَّذي أضمره

---

(١) من قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ ص: ٢١- ٢٢.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (سور).

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ٨/ ٥٥٥.

مَحبَّتهما، أو إرادة طلاقها، لأظهرَ اللهُ تعالى ذلك، مع وعده بأنَّه يُبديَه.

فدلَّ ذلك على أنَّه إنَّما عُوتِبَ على قوله: أَمْسِك عَلَيْكَ زَوْجَكَ، مع علمه بأنَّها ستكونُ زوجته، وكتمانُه ما أعلمه الله تعالى به، حيثُ استَخفَ بأن يقول: إنَّها ستكونُ امرأتي[1].

وأمَّا ما ذكرهُ بعضُ أصحابنا في عِدادِ خصائص النَّبيِّ صلى الله عليه وآله مِن أنَّه كان إذا رَغبَ في نِكاحِ امرأةٍ، فإن كانت خَلِيَّةً وَجبَت عليها الإجابة، وحُرِّمَ على غيره خطبتُها، وإن كانت ذات زوجٍ وَجَبَ عليه طلاقُها لينكحَها، كقضيَّة زيدٍ، فيدفعُه صريحاً رواية علي ابن محمّد بن الجهم عن الرِّضا عليه السلام.

ويظهرُ مِن كلام السِّيد المُرتضى رضي الله عنه في كتاب تنزيه الأنبياءِ إنكارُ ذلك مِن حيث أنَّه مِن أعظمِ المُنفِّراتِ، ولعلَّه نشأ ذلك مِن الاعتماد على ما في بعضِ كتبِ العامَّة، ومُفترياتهم، وهو خلافُ المشهورِ بينهم أيضاً.

الوجه في اعتراف المعصوم بالذنب

بقي شيءٌ ينبغي التعرُّض له، وهو: أنَّه قد وَرَدَ في الأدعيةِ المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام الاعترافُ بصدورِ الذُّنوبِ، والعصيان عنهم عليهم السلام، وأدعيةُ الصَّحيفةِ السَّجاديَّة مشحونةٌ به، وكذا غيرها مِنَ الأدعية، وفي كثيرٍ مِن أخبارنا، ما يُوهِمُ ذلك، بل رُوي ما يُوهمه عن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله.

روى ثقةُ الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني رحمه الله في الكافي عن الصَّادق

---

(١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٨/ ١٦٢.

جعفر بن محمّد عليهما السلام: (إنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله كَانَ يَتُوبُ إلَى الله عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ يَومٍ سَبعِينَ مَرَّةً)[1].

وأمثالُ ذلك كثيرةٌ مِن طُرقِ الخاصَّة، والعامَّة، فكيفَ الجمعُ بينها، وبين ما ثَبتَ مِن عِصمتهم، وطهارتهم سلامُ اللهِ عليهم أجمعين.

ويمكنُ الجوابُ عنه مِن وُجوهٍ:

أحدها: ما ذكرهُ عليٌّ بن عيسى الأربلي[2] في كتاب كشف الغُمَّة، وجَعلَهُ بعضُ الأعلامِ مِن أصحابنا أحسنَ الوُجوهِ، هو: أنَّ الأنبياء، والائمَّة عليهم السلام تكون أوقاتهم مُستغرقَةٌ بذكرِ الله، وقلوبهم مشغولةٌ به، وخواطرهُم مُتعلِّقة بالملأ الأعلى، وهُم أبداً في المُراقَبةِ[3]، كما قال عليه السلام: (اعبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإن لَم تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّه يَرَاكَ)[4].

فهُمْ أبداً مُتوجِّهُونَ إليه، ومُقبِلُونَ بكلِّيتهم عليه، فمتى انحطُّوا عن تلك الرُّتبة العالية، والمنزِلَة الرَّفيعة إلى الاشتغال بالمأكلِ، والمَشرَب، والتفرُّغ إلى

---

(١) الكافي: ٢/ ٤٣٨ ح ٤.

(٢) أبا الحسن، بهاء الدين أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي البغدادي من كبار العلماء الامامية، العالم الفاضل الشاعر الأديب المنشئ النحرير والمحدث الخبير الثقة الجليل أبو الفضائل والمحاسن الجمة، له مؤلفات منها: المقالات الأربع، ورسالة الطيف، وابرزها كشف الغمة في معرفة الائمة، فرغ من تصنيفه سنة ٦٨٧هـ، وتوفي سنة ٦٩٢هـ، ينظر: كشف الغمة في معرفة الائمة: ١/ ٥، الكنى والالقاب: ٢/ ١٨.

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٣/ ٤٧.

(٤) الأمالي، الشيخ الطوسي: ٥٣٦ ح ١١٦٢.

النِّكاح، وغيرُه مِن المُباحات، عدُّوهُ ذنباً، واعتقدوه خطيئةً، فاستغفروا منه.

ألَا ترى أنَّ بعضَ عَبيدِ أبناءِ الدُّنيا لو قَعدَ يأكُل، ويشَرب، وينكح، وهو يعلمُ أنَّه بمرأى مِن سيِّده، ومسمَع، لكان ملوماً عِنْدَ النَّاس، ومُقصِّراً فيما يجبُ عليه مِن خِدمَةِ سيِّده، ومالِكه، وإلى هذا أشارَ ﷺ بقوله: (إِنَّه لَيُرَانُ عَلَى قَلْبِيَ، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ بِالنَّهَارِ سَبْعِينَ مَرَّةً)[1]، وقوله: (حَسَنَاتُ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ المُقَرَّبِينَ)[2] انتهى مُلخَّصُ كلامه.

واقتفى أثره القاضي [٨٨: ظ] البيضاوي[3] في شرحِ المصابيح[4] عِندَ شرحِ قوله: ﷺ (إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلبِي، وَإِنِّي لَاستَغفِرُ اللهَ فِي اليَومِ مَائةَ مَرَّةً) قال: (الغَيْن لغةٌ في الغَيْم، وغانَ عليَّ كذا، أي: غطَّى عليه[5]، قال أبو عُبيدة[6] في معنى الحديث، أي: يتغشَّى قلبي ما يُلبِسُه، وقد بلغنا عن الأَصمعيِّ[7] أنَّه

---

(١) الصحيح، مسلم: ٨/ ٧٢، سنن أبي داود، أبو داود السجستاني،، تحـ: سعيد محمد اللحام: ١/ ٣٣٩ ح ١٥١٥، وفيها: ان الاستغفار مئة مرة.

(٢) بحار الأنوار: ١١/ ٢٥٦.

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٤) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي، تحـ: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب: ٢/ ٦٧ح١٦٦٣.

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (غين).

(٦) مضت ترجمته في القسم الأول.

(٧) عبد الملك بن قريب ابن عبد الملك بن علي بن اصمع البصري اللغوي النحوي صاحب النوادر والملح، والمنقول عن حاله انه كان ظريفا مفاكها، خفيف الروح مليح الطبع، لا تتمكن من نفسه الغموم والهموم ولهذا يقال: انه لم يظهر عليه

سُئلَ عن هذا الحديث، فقال للسائل: عن قلبِ مَن تروى هذا؟ فقال: عن قلبِ النَّبيِّ ﷺ فقال: لو كان غيرُ قلبِ النَّبيِّ ﷺ لكنتُ أُفَسِّرُهُ لك، قال القاضي: ولله درُّ الأصمعيّ في انتهاجه منهجَ الأدب)[1]، وإجلالُه القلبَ الَّذي جعلهُ اللهُ مَوقِع وحيه، ومُنزَّلٌ تنزيلُه، انتهى.

ولا يخفى أنَّ القول باشتغالهم بالمُباحات على وجه الإباحة دُون أن يكون لغرضٍ يتعلَّق بذلك مِن طاعةِ الله سُبحانه، كالقوَّةِ على الطَّاعةِ في الأكلِ، والشُّربِ، والتَّناسُل، والتَّوالُد في النِّكاح، وأمثالُ ذلك، وإن كان لا تُنافيه دلائلُ العِصمَةِ ظاهراً، إلَّا أنَّه اجتراءٌ عليهم عليهم السلام ما لم يدلَّ عليه دليلٌ يقطعُ العُذرَ، ولا يُنافي استحباب الفعلِ بالعَرَض إباحته في نفسه، ولعلَّ ارتكابهم عليهم السلام بعضَ المكروهاتِ ظاهرٌ أيضاً مِن هذا القَبيلِ، وهو أمَّا لبيانِ جوازها، أو لغيره مِنَ الأغراضِ التي هُم أعلمُ بها.

ولا يُتوهَّمُ أنَّ بيان الجَواز يحصلُ بالقولِ، فلماذا ارتكبوا، فلعلَّها إذ مِن الظَّاهر أنَه قد يترتَب على الفعلِ في بعضِ الأحوال، والأحيان ما لا يترتَّب على القولِ، وحينئذ يُمكن أن يكونَ ذلك باعتبار التَّفاوت في مراتِب فضلِ العِبادَة، وكمالها في الأحوالِ، والأوقات أو نحو ذلك.

أثر الشيبة إلى أن بلغ ستين سنة، ولم يمت حتى ناهز عمره التسعين، توفى حدود سنة ٢١٦. عن ثمان وثمانين سنة، ينظر: المسائل الصاغانية، المفيد، تحـ: السيد محمد القاضي: ١٤٥، الكنى والالقاب:٢/ ٣٧، قاموس الرجال: ١٢/ ٦.

(١) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة: ٢/ ٦٧ح١٦٦٣، وينظر: مجمع البحرين، مادة (غين).

وثانيها: إنَّ هذا الاعتراف ليسَ مِن قبيلِ الإخبار، حتَّى يستلزم صُدور ذنبٍ عنهم عليهم السلام بل هو إنشاءُ الخُضوعِ، والاستكانة، كما هو وظيفةُ العبد في مقام العُبوديَّة، وقد شاعَ في العُرفِ مِن الأحبَّاء، والأَصْدِقاء القرارُ بالعَجزِ، والتَّقصيرِ في لوازم المَودَّة، فكيف لا يليقُ بالعَبدِ في طاعَةِ سيِّده، ومولاه؟.

وثالثها: أنَّه مِن باب الإخبار، ولكنَّه في قوَّة قضيةٍ شرطيَّة، أي: إن لم تكُن عِصمَتُك إيَّاي بفضلِكَ، وتأييِّدك لي بطولِكَ لعَصَيتُك، وخالفتُ بعضَ أوامِركَ، بمقتضى البشريَّة، وإغواءُ الشَّيطان.

وإنَّما حَسُنَ إيرادُ هذا المعنى بلفظ الحِمايَة لِما فيه مِنَ المُبالغَة في استغراقِ العَبدِ في بحارِ نِعَمِه سُبحانه، واضمحلالِ طاعاته في جَنبِ ألطافِه تعالى، حتَّى كأنَّه لم يفعل طاعةً، ولم يقُم بوظيفةِ عبادة، إذ كان اللهُ سُبحانه هو السَّببُ الأقوى في حُصولها، مع أنَّ الآلات، والأسباب التي تسبَّب العَبْدُ باستعمالها إلى عبادته كُلُّها منه سُبحانه.

فالعبدُ مِن حيثُ أنَّه هو، وبعدَ قطعِ النَّظر عن أفضاله، وألطافه سُبحانه ليس إلَّا المُذنِب العاصي، وفي إسنادِ الفعلِ إلى السَّبب الأشرف الأقوى على هذا الوجه مِن حُسْنِ الأدب، وكمالِ الخُشوع اللَّائقِ بمقام العُبوديَّة ما لا يَرتابُ فيه أحد.

فالفعلُ الَّذي صَدَرَ عن العَبْدِ في الحقيقةِ مسلوبٌ عنه، والَّذي مِن شأنِ العَبدِ لو لا تأييِّده سُبحانه إيَّاه هي المَعصيَة، والمُخالَفة، وإسنادُ أمرٍ إلى مَن كانَ مِن شأنه الاتصافُ به لو خُلِّيَ، وطبعه غيرُ عزيزٍ.

فليسَ الحَملُ على هذا الوجه أمرٌ مُستَبعَداً، بل لعلَّه أقربُ الوُجوه عِندَ مَن له فِطرَةٌ سَليمة، وهذا الجوابُ لا يُنافي عِصمتهم عليهم السلام، وسيجيئ تحقيقه إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

وأمَّا فائدةُ تعليم الأُمَّة فمِن فوائدِ الأدعية المأثورة، ولا يصلحُ جواباً عن هذا السُّؤال، فتأمَّل.

ولنَعُدْ إلى شرحِ كلامه عليه السلام [٨٩: ظ] قال صلواتُ الله عليهِ:

﴿وَاسْتَبْدَلَ بِالْجُذَلِ وَجَلاً، وَبِالإِغْتِرَارِ نَدَماً﴾[١]

جَذِلَ: كفرِح فرحٌ، فهو جذِلٌ بالكسْر، وَالوجَل مُحرَّكةً: الخوف[٢].

روى الصَّدوق رضي الله عنه في العلل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (البَكَّاؤونَ خَمسَةٌ؛ آدَم، وَيَعقُوبَ، وَيُوسُفَ، وَفَاطِمَةَ بِنتِ مُحَمَّد، وَعَليُّ بن الحُسين عليهم السلام فأمَّا آدَم فَبَكَى عَلَى الجَنَّةِ حَتَّى صَارَ فِي خَدَّيهِ مِثلُ الأَودِيَةِ)[٣].

وروى القطبُ الرَّاوندي رحمه الله في كتابِ قصصُ الأنبياءِ بالإسناد عن أبي جعفر صلوات الله عليه، قال: (قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ أَهبَطَ آدَم صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِ مِنَ الجَنَّةِ، أَمَرَهُ أَن يَحرِثَ بِيَدِهِ، فَيَأكُلَ مِن كَدِّهَا

---

(١) نهج البلاغة: ٣٠ ح١.

(٢) ينظر: القاموس المحيط، مادة (وجل).

(٣) الرواية غير موجودة في العلل، وهي في: الأمالي، الصدوق: ٢٠٤ ح ٢٢، الخصال، الصدوق:٢٧٣ ح١٥.

بَعدَ نَعِيمِ الجَنَةِ، فَجَعَلَ يَجأرُ[1]، ويَبكِي عَلىَ الجَنَّةِ مَائتَي سَنةٍ، ثُمَّ أنَّه سَجَدَ للهِ سَجدَةً فَلَم يَرفَعَ رَأسَهُ ثَلاثَةَ أيَّامٍ، ولَيَالِيهَا)[2] انتهى.

يقال: جأر كمنع، جَأْراً، وجُؤاراً بالضم، أي: رفع صوته بالدّعاء، وتضرع، واستغاث يُقالُ: جأرَ كمنَعَ، جَأْراً، وجُؤاراً بالضَّمِّ، أي: رفعَ صوته بالدُّعاء، وتضرَع، واستغاثَ[3].

وروى الصَّدوق رضي الله عنه في العلل بالإسناد عن أميرِ المُؤمنينَ عليه السلام عن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله أنَّه سُئِلَ مِمَا خلقَ اللهُ عزَّ وجلَّ الكَلبَ؟ قال:

(خَلَقَهُ مِن بُزَاقِ إبلِيس، قِيلَ: وَكَيفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: لَمَّا أَهبَطَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَم، وحَوَا إلَى الأَرضِ، أَهبَطَهُمَا كَالفَرخَينِ المُرتَعِشَينِ، فَعَدَا إبلِيسُ المَلعُونُ إلَى السِّبَاعِ، وَكَانُوا قَبلَ آدَم فِي الأَرضِ، فَقَالَ لَهُم: إنَ طَيرَينِ قَد وَقَعَا مِنَ السَّمَاءِ، لَم يَرَ الرَّاؤونَ أَعظَمَ مِنهُمَا، تَعَالَوْا فَكُلُوهُمَا، فَتَعَادَت السِّبَاعُ مَعَه، وَجَعَلَ إبلِيسُ يَحُثُّهُم، ويَصِيحُ، وَيَعِدَهُم بِقُربِ المَسَافَةِ، فَوَقَعَ مِن فِيهِ مِن عَجَلَةِ كَلَامِهِ بُزَاقٌ، فَخَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِن ذَلِكَ البُزَاقِ كَلبَينِ: أَحَدَهُمَا ذَكَر، وَالآخَر أُنثَى، فَقَامَا حَولَ آدَم، وحَوا، الكَلبَةُ بَجَدَّة، وَالكَلبُ بِالهِندِ، فَلَم يَترُكُوا السِّبَاعَ أَن يَقرَبُوهُمَا، وَمِنْ ذَلِكَ اليَوْم الكَلبُ عَدُوُّ السَّبُع، وَالسَّبُع عَدوّ الكَلَب)[4].

---

(١) الجأر: رفع الصوت مع التضرع إلى الله، ينظر: لسان العرب، مادة (جأر).

(٢) قصص الأنبياء: ٥٣ ح ٢١.

(٣) ينظر: القاموس المحيط، مادة (جأر).

(٤) علل الشرائع: ٢/ ٤٩٢ ح ١.

توبة آدم عليه السلام، وكلمتها

﴿ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ﴾[1]

بَسَطَ لهُ، أي: وسَّعَ عليهِ[2]، وفي أسماءِ الله الباسِطُ؛ لأنَّه يبُسطُ الرِّزقَ لعِبادِه، ويُوسِّعه عليهم[3]، ويُوسِّعُ عليهم الأمرَ بعدَ الضِّيقِ، وينقُلهُم مِنَ العُسرِ الى اليُسْرِ.

والضَّميرُ في توبته، أمَّا راجِعٌ الى آدم عليه السلام كالضَّميرِ في له، فيكونُ المعنى: وسَّع عليهِ الأَمرَ في رُجوعه إلى ربِّه، أي: قبل توبته، وكلمة في للظرفيَّة المجازيَّة، أو السَّببيَّة، كما في قوله عليه السلام: (فِي النَّفسِ المُؤمِنَة مَائةٌ مِنَ الإبلِ)[4] أي في قتلها، وإن كانت ترجعُ إلى الظَّرفيَّة المجازيَّة، وأمَّا راجعٌ إليه سُبحانه، كالضميرِ في رحمته.

ولقّاه كلمة رَحْمَتِهِ، أي: استقبله بها، يُقالُ: لَقِي زيدٌ خيراً، فيُعدَى إلى مفعولٍ واحدٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾[5]، فإذا ضُعِّفَت العين تعدَّى إلى مفعولين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[6]، وتلقَّاهُ،

---

(١) نهج البلاغة: ٣٠ ح١.

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (بسط).

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ١٢٧.

(٤) تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي، تحـ: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث: ٣/ ٣٦٤.

(٥) من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الأنفال: ٤٥.

(٦) من قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ الإنسان: ١١.

أي: استقبله[1]، قال اللهُ تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[2][3].

قال الشَّيخُ في التِّبيان[4]: يجوزُ في العربيَّة رفعُ آدم، ونصبُ كلمات، وبالعكس؛ لأنَّ الأفعال المُتعدِّيةِ إلى المفعولِ به على ثلاثة أقسام[5]:

أحدها: ما يجوزُ أن يكون الفاعل له مفعولاً به، وبالعكسِ، نحو: أكرَمَ زيدٌ عمراً[6]. او **ثانيها**: ما لا يجوز نحو: أكلت الخبز، و**ثالثها**: ما يكونُ إسنادُه إلى الفاعلِ في المعنى، كإسناده إلى المفعولِ به، نحو: أَصَبْتُ، ونِلتُ، ولقيتُ، وتلقّيتُ، تقولُ: أَصَبْتُ خيراً، وأصابني خيرٌ، ونِلتُ خيراً، ونالني خيرٌ، ولقيني زيدٌ، ولقَيتُ زيداً، وتلقّيتُ زيداً، وتلقّاني زَيْدٌ، ونحوها قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾[7]، وقوله سبحانه: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[8].

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (لقا).

(٢) من قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٧.

(٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/ ١٦٦.

(٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/ ١٦٦.

(٥) في المصدر: (يجوز في العربية رفع ادم، ونصبه، مع رفع الكلمات والاختيار قراءة الأكثر، لان معنى التلقي هاهنا القبول فكأنه قال: قبل آدم من ربه كلمات وإنما جاز نصب آدم، لان الافعال المتعدية إلى المفعول به على ثلاثة أقسام:)

(٦) في المصدر: (أكرم بشر بشراً، شتم زيد عمراً).

(٧) من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ آل عمران: ٤٠.

(٨) من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ

وقد قرأ ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1] لا [٩٠: ظ] يَنال عَهْدِيَ الظالِمُونَ بالرفع[2]، وإنما اختيَر رفعُ آدم؛ لأنَّه عليه الأكثر[3]، وشواهِدَهُ أكثرُ، كقوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾[4]، والكلمة: اسم جنس يقع على القليل، والكثير يقولون: قال امرؤ القيس في كلمته، أي: في قصيدته[5]، فإفرادُها لا يُنافي وُرودُها في قوله تعالى بلفظِ الجمعِ.

واختُلِفَ في الكلمات التي تلقّاها آدم عليه السلام، وذَكَرَ المفسِّرون مِنَ العامَّة فيها وجوهاً لا حاجة لنا فيها.

الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ مريم: ٨.

(١) من قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ١٢٤.

(٢) قال الطبري في بيان قراءة ابن مسعود: (لا ينال عهدي الظالمون بمعنى أن الظالمين هم الذين لا ينالون عهد الله. وإنما جاز الرفع في الظالمين والنصب). جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١/ ٧٤٠.

(٣) قال الطوسي في التبيان: (واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن الامام لا يكون إلا معصوما من القبائح، لان الله تعالى نفى ان ينال عهده - الذي هو الإمامة - ظالم، ومن ليس بمعصوم فهو ظالم: إما لنفسه، أو لغيره.) التبيان في تفسير القرآن: ١/ ٤٤٩، ومن ذكر هذه القراءة منهم: الرازي في تفسيره: ٤/ ٤٥، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٢/ ١٠٨.

(٤) من قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ النور: ١٥.

(٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/ ١٦٦-١٦٧.

وقد وَرَدَ فيها مِن طُرقِ أهلِ البيت عليهم السلام رواياتٌ، منها: ما رواهُ الشَّيخ في التِّبيان، والطَّبرسيُّ في مجمع البيان مُرسَلاً، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام (أنَّها قَولُ آدَم عليه السلام: اَللّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحانَكَ، وبِحَمْدكَ، رَبِّ إِنِّي ظَلَمتُ نَفسِي، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّكَ أَنتَ خَيْرُ الْغافرينَ، اَللّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ، سُبْحَانَكَ، وبِحَمْدِكَ، رَبِّ إِنِّي ظَلَمتُ نَفْسِي فَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ لَا إِلهَ إِلَّا أنتَ، سُبْحانَكَ، وبِحَمْدكَ، رَبِّ إِنِّي ظَلَمتُ نَفْسي، فَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنتَ التَّوابُ الرَّحيمُ)[1]، وهي ثلاثُ كلماتٍ.

وفي رُوايةِ القُطب الرَّاوندي رضي الله عنه في القصص كلمتان، على هذا الوَجْه، روي بالإسنادِ عن محمّد بن مسلم[2] عن أبي جعفر صلوات الله عليه، أنَّه سأله: (ما الكلمات الّتي تلقّى بهنَّ آدم ربَّه فتاب عليه؟ قال: اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحانَكَ، وبِحَمْدِكَ، إِنِّي عَمِلْتُ سُوءاً، وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِر لِي، إِنَّكَ التَّوابُ الرَّحِيم، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحانَكَ، وبِحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءاً، وَظَلَمتُ نَفْسِي، فَاغْفِر لِي، إِنَّكَ أَنتَ خَيرُ الغَافِرِينَ)[3].

ومنها: ما رواهُ الصَّدوق رضي الله عنه في كتاب معاني الأخبار بالإسنادِ عن المُفضَّل بنْ عمر عن الصَّادق جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾[4] ما هذه الكلمات؟ قال: (هِيَ

---

(١) التبيان في تفسير القرآن: ١/ ١٦٩، مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ١٧٥.

(٢) ينظر ترجمته القسم الأول.

(٣) قصص الأنبياء: ٥٦ ح ٢٩.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا

الكَلِمَاتُ الَّتِي تَلَقَّاهَا آدَم مِن رَبِّهِ، فَتَابَ عَلَيهِ، وَهوَ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ، وَعَلِيٍ، وَفاطِمَةَ، والحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ، إلَّا تُبْتَ عَلَيَّ، فَتابَ اللهُ، إنَّه هُوَ التَّوَابُ الرَّحيمُ. فقلتُ له: يا بن رسولِ الله، فما يعني عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾[1] قال: يَعنِي أَتَمَّهُنَّ إلَى القَائمِ عليه السلام إثنَي عَشَرَ إمَامَاً، تِسعَةٌ مِنَ وُلدِ الحُسَينِ عليه السلام)[2].

وفي رُوايةٍ أُخرى للمُفضَّل، عن الصَّادق عليه السلام ما يَقرُبُ منه، وقد ذكرناها بطولها في بيان الشَّجرة المنهيَّة[3].

وقال الشَّيخُ رحمه الله في التِّبيان، ورُوي في أخبارنا: (أنَّ الكَلِمَاتِ هِيَ: تَوَسُّلُهُ بِالنَّبيِّ، وأهلِ بَيتِهِ عليهم السلام)[4].

وقال في مجمع البيان ورُوي: (أنَّ آدَمَ رَأَى أَسمَاءً مَكتُوبَةً عَلَى العَرشِ، مُكرَّمَةً مُعَظَّمَةً، فَسَأَلَ عَنهَا، فَقِيلَ: هَذِهِ أَسمَاءُ أَجَلِّ الخَلقِ عِندَ الله مَنزِلَةً، وَالأسمَاءُ: مُحَمَّدٌ، وَعَلِيّ، وَفَاطِمَةَ، وَالحَسَن، وَالحُسَين، فَتَوسَّلَ آدَم إلَى رَبِّهِ بِهِم فِي قَبُولِ تَوبَتِهِم، وَرَفَعَ مَنزِلَتَهُ)[5].

قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ١٢٤.

(١) من قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ١٢٤.

(٢) معاني الأخبار: ١٢٦ ح ١.

(٣) ينظر: صفحة: ٣٠٦، ومعاني الأخبار: ١٢٦ ح ١.

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ١/ ١٦٩.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ١٧٥.

وفي كتاب معاني الأخبار رَفعهُ، في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[1]، قال: (سَأَلَهُ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ، وَعَلِيٍّ، وَفَاطِمَةَ، وَالحَسَنِ، وَالحُسَينِ عليهم السلام)[2].

وروى في قصص الأنبياءِ[3] مثله.

وفي الخصال، وكتابُ معاني الأخبار بالإسناد عن أبن عبَّاس، قال: سألتُ النَّبيّ صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقَّى آدم مِن ربِّه، فتاب عليه؟ قال: (سَأَلَهُ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ، وَعَلِيٍّ، وَفَاطِمَة، وَالحَسَنُ، وُالحُسَين، إلَّا تُبتَ عَلَيَّ، فَتَابَ اللهُ عَلَيهِ)[4].

وفي القصص بالإسنادِ عن عبدالله بن سنان[5] عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (قَالَ آدَم عليه السلام: يَا رَبِّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ، وَعَلِيّ، وَفَاطِمَةَ، وَالحَسَن، وَالحُسَين، إلَّا تُبتَ عَلَيَّ، فَأَوحَى اللهُ تَعَالَى إلَيهِ: يَا آدَم، وَمَا عِلمُكَ بِمُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ: حِينَ خَلَقتَنِي

(١) من قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة:٣٧.

(٢) معاني الأخبار: ١٢٥ ح ٢.

(٣) ينظر: قصص الأنبياء: ٥٧ ح ٣١.

(٤) الخصال: ٢٧٠ ح٨، معاني الأخبار: ١٢٥ ح ١.

(٥) عبد الله بن سنان بن ظريف، روى عن الامامين الصادق والكاظم عليهما السلام عمل خازناً للمنصور والمهدي والهادي والرشيد، من أهل الكوفة، ثقة ثقة جليل بالاتفاق، لا يطعن عليه، صنف كتب منها: كتاب الصلاة الذي يعرف بعمل اليوم والليلة، كتاب الصلاة الكبير، كتاب في سائر الأبواب من الحلال، والحرام، توفي سنة ٢٠٠ه، ينظر ترجمته في: الرجال، النجاشي: ٢١٤، معالم العلماء: ١٠٧، مستدركات علم رجال الحديث:٥/ ٣١.

رَفَعتُ رَأسِي، فَرَأيتُ فِي العَرشِ مَكتُوبَاً: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، عَلِيٌّ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ)[1].

ومنها: ما [٩١: و] رواه عليٌّ بن إبراهيم في التَّفسير بالإسناد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (إنَّ آدَم عليه السلام بَقِيَ عَلَى الصَّفَا أَربَعِينَ صَبَاحَاً سَاجِدَاً، يَبكِي عَلَى الجَنَّةِ، وَعَلَى خُرُوجِهِ مِن جِوَارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَنَزَلَ عَلَيهِ جَبرَئِيلُ عليه السلام، فَقَالَ: يَا آدَم، مَالَكَ تَبكِي؟ قَالَ: يَا جَبرَئِيل، مَا لِي لَا أَبكِي، وَقَد أَخرَجَنِي اللهُ مِن جِوَارِهِ، وَأَهبَطَنِي إِلَى الدُّنيَا، قَالَ: يَا آدَم، تُب إِلَيهِ، قَالَ: وَكَيفَ أَتُوبُ؟ فَأَنزَلَ اللهُ عَلَيهِ قُبَّةً مِن نُورٍ فِي مَوضِعِ البَيتِ، فَسَطَعَ نُورُهَا فِي جِبَالِ مَكَّةَ فَهوَ الحَرَم، فَأَمَرَ اللهُ جَبرَئِيلَ أَن يَضَعَ عَلَيهِ الأَعلَام، قَالَ: قُم، يَا آدَم، فَخَرَجَ بِهِ يَومَ التَّروِيَةِ، وَأَمَرَهُ أَن يَغتَسِل وَيُحرِم، وَأُخرِجَ مِنَ الجَنَّةِ أَوَّلَ يَومٍ مِن ذِي القُعدَة، فَلَمَّا كَانَ اليَومَ الثَّامِنِ مِن ذِي الحُجَّةِ أَخرَجَهُ جَبرَئِيل إِلَى مِنَى فَبَاتَ بِهَا، فَلَمَّا أَصبَحَ أَخرَجَهُ إِلَى عَرَفَات، وَقَد كَانَ عَلَّمَهُ حِينَ أَخرَجَهُ مِن مَكَّةَ الإِحرَامَ، وَأَمَرَهُ بِالتَلبِيَةِ، فَلَمَّا أَزَالَت الشَّمسُ يَومَ عَرَفَة قَطَعَ التَلبِيَةَ، وَأَمَرَهُ أَن يَغتَسِلَ، فَلَمَّا صَلَّى العَصرَ وَقَّفَه بِعَرَفَات، وَعَلَّمَهُ الكَلِمَات الَّتِي تَلَقَّى بِهَا رَبَّه، وهي: سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ، وبِحَمدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ، عَمِلتُ سُوءَاً، وَظَلَمتُ نَفسِي، وَاعتَرَفتُ بِذَنبِي، فَاغفِر لِي، إِنَّكَ أَنتَ الغَفُورُ الرَّحِيم، سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ، وبِحَمدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ، عَمِلتُ سُوءَاً، وَظَلَمتُ نَفسِي، وَاعتَرَفتُ بِذَنبِي، فَاغفِر لِي إِنَّكَ أَنتَ خَيرُ الغَافِرِينَ، سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ، وبِحَمدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ، عَمِلتُ سُوءَاً، وَظَلَمتُ نَفسِي، وَاعتَرَفتُ بِذَنبِي، فَاغفِر لِي، إِنَّكَ أَنتَ التَّوابُ الرَّحِيم.

---

(١) قصص الأنبياء: ٥٥ ح ٢٦.

فَبَقِيَ إلَى أَن غَابَت الشَّمسُ، رَافِعاً يَدَيهِ إلَى السَّمَاءِ، يَتَضَرَّعُ، ويَبكِي إلَى الله، فَلَمَّا غَابَت الشَّمسُ، رَدَّه إلَى المَشعرِ فَبَاتَ بِهَا، فَلَمَّا أَصبَحَ قَامَ عَلَى المَشعَرِ الحَرَام، فَدَعَا الله تَعَالَى بِكَلِمَاتٍ، وساق الحديث إلى تمام الحجِّ، ثُمَّ قَالَ: فَقَالَ لَهُ: إنَّ اللهَ قَد قَبِلَ تَوبَتَكَ، وَحَلَّت لَكَ زَوجَتُكَ، فَقَالَ: فَلَمَّا قَضَى آدَم حَجَّهُ لَقِيَتْهُ المَلائكَةُ بِالأَبطُح، فَقَالُوا: يَا آدَم بُرَّ حَجُّكَ، أمَا أَنَّا قَد حَجَجنَا قَبلَكَ هَذَا البَيتِ بِأَلفَي عَامٍ)[1].

﴿وَوَعَدَهُ المَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ﴾[2]

المَرَدُّ: وهو الردُّ، يقالُ: رَدَّهُ رَدّاً، ومَرَدّاً[3]

روى الصَّدوق رحمه الله في معاني الأخبار بالإسناد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (لَقَد طَافَ آدَم عليه السلام بِالبَيتِ مَائَةَ عَامٍ، مَا يَنظُرُ إلَى حَوَاءَ، وَلَقَد بَكَى عَلَى الجَنَّةِ حَتَّى صَارَ عَلَى خَدَّيهِ مِثلُ النَّهرَينِ العَجَاجِين العَظِيمَينِ مِنَ الدُّمُوعِ، ثُمَّ أَتَاهُ جبرَئيلُ عليه السلام فَقَالَ: حَيَّاكَ اللهُ، وبَيَّاكَ، فَلَمَّا أَن قَالَ لَهُ: حَيَّاكَ اللهُ، تَبَلَّجَ وَجهُهَ فَرَحاً، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ قَد رَضِيَ عَنهُ، قَالَ: وَبَيَّاكَ، فَضَحِكَ - وَمَعنَى بَيَّاكَ أضحَكَكَ - قَالَ: وَلَقَد قَامَ عَلَى بَابِ الكَعبَةِ، وَثِيَابُه جُلُودُ الإِبلِ، والبَقَرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَقلِنِي عَثرَتِي، وَأغفِر لِيَ ذَنبِي، وَأَعِدنِي إلَى الدَّار الَّتِي أَخرَجتَنِي مِنهَا، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: قَد أَقَلتُكَ عَثرَتَكَ، وَسَأعِيدُكَ إلَى الدَّارِ الَّتِي

---

(١) تفسير القمي: ١/ ٤٤.

(٢) نهج البلاغة: ٣٠ ح١.

(٣) ينظر: القاموس المحيط، (ردّ).

أَخرَجتُكَ مِنهَا)[1].

العَجَاجُ: الصَّياحُ مِن كُلِّ ذي صوتٍ، كالعجَعاجُ، والعَجُّ: رَفعُ الصَّوتِ[2]، وقال ابن الأثير: في حديثِ الخَيْل: (إن مَرَّتْ بِنَهْرٍ عَجّاج فَشَرِبَتْ منْهُ، كُتِبَتْ لَهُ حَسَناتٌ) أي: كثيرَ الماءِ، كأنّهُ يَعجُّ مِن كثرته، وصوتُ تَدَفُّقِهِ[3].

﴿فَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ، وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ﴾[4]

البَليَّةُ، والبَلْوى، والبَلاءُ واحدٌ[5]، وأصلُها: (الامتحانُ، والاختبارُ)[6]، قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[7]، وقد يخُصُّ بالشَّرِّ، ويمكن أن يكونَ مُرَاداً هاهنا، والنَسْل: الوَلَد، وتنَاسَلوا، أي: وُلِدَ بعضهم مِن بعض[8].

وذَرَأ الخَلقَ يَذْرَؤُهُم ذَرْءاً، أي: خَلقَهُم، ومنه الذُّريَّة: وهي نسلُ الثّقلين[9]،

---

(١) معاني الأخبار: ٢٦٩ ح ١.

(٢) القاموس المحيط، مادة (عج) ١/ ١٩٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ١٨٤.

(٤) نهج البلاغة: ٣٠ ح١.

(٥) مختار الصحاح، الرازي، مادة (بلا) ٤١.

(٦) الفروق اللغوية: ١١.

(٧) من قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ الأنبياء: ٣٥.

(٨) ينظر: الصحاح، مادة (نسل).

(٩) ينظر: المصدر نفسه، مادة (ذرأ).

إلَّا أنَّهم تركوا همزها، وقيل: الذَّرُّ مُختصٌّ بخَلقِ الذُّريَّة[1].

ثُمَّ أنَّ الظَّاهر مِنَ العَطفِ بالفاء أنَّ الإهباط كان عُقيبَ قبولِ التَّوبةِ، ويدلُّ عليه ترتيبُ الكلامِ في سُورةِ [٩٢: ظ] طه، قال تعالى: ﴿**وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۞ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ۞ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا**﴾[2]، وبه قال بعضُ المُفسِّرين[3].

ولكنَّه خِلافُ المشهورِ بينهم، وخلافُ ظاهرِ الأخبار، وظاهرُ قوله تعالى في سورة البقرة، قال اللهُ تعالى: ﴿**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ۞ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[4].

وقد تكرَّر ذِكرُ الإهباطِ في هذه السُّورة، قال سُبحانه بعد الآيات المذكورةِ: ﴿**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا**﴾[5] فقال بعضُ المُفسرين: أنَّ التَّكرير

---

(١) النهاية في غريب الحديث والاثر: ٢/ ١٥٦.

(٢) من قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۞ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ۞ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ مريم: ١٢١- ١٢٣.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ٧/ ٥، شرح نهج البلاغة: ٢/ ٣٨٠، بحار الانوار: ٥٤/ ١٥٠.

(٤) البقرة: ٣٦- ٣٧.

(٥) من قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ

للتأكيد [1].

وقال بعضُهم [2]: إنَّ الهبوطَ الأوَّل: كان مِن الجنَّة إلى السَّماءِ الدُّنيا، والثاني: منها إلى الأرض. وهو ضعيفٌ لقوله تعالى عُقيبَ الأمرِ أولاً: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾[3]، ولمُخالفته للأخبار، سيَّما ما يدلُّ منها على أنَّ جنَّة آدم كانت مِن جنان الدُّنيا.

وذَكرَ بعضهم وجوهاً أُخَر، ويُمكن أن يكونَ المُراد بالإهباط إلى دار التَّكليف أو المشقَّة في كلامه عليه السلام ابقاؤه فيها للتكليف، والتَّناسُل، وأمَّا ما في سُورة طه ففي دلالتها على التَّرتيب ضعفٌ، واللهُ أعلم.

مهبط آدم عليه السلام

واعلم إنَّ الأخبار في مَهبطِ آدم عليه السلام لا تخلو في الظَّاهر عن اختلافٍ، فرَوى الصَّدوق رضي الله عنه في العيون، والعلل في حديث الشَّامي، قال: سُئلَ أميرُ المُؤمنينَ عليه السلام عن أكرمِ وادٍ على وجه الأرضِ، فقال له: (وَادٍ يُقَالُ لَهُ سَرَنْدِيب، سَقَطَ فِيهِ آدَم مِنَ السَّمَاءِ)[4].

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة: ٣٨.

(١) ينظر: تفسير جوامع الجامع: ١/ ٩٧، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/ ٦٠.

(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/ ١٧٤، تفسير السمعاني، منصور بن محمد السمعاني، تحـ: ياسر بن إبراهيم: ١/ ٧٠، معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١/ ٦٥، الزاد الميسر في علم التفسير، ابن الجوزي: ١/ ٥٨.

(٣) البقرة: ٣٦.

(٤) عيون أخبار الرضا: ١/ ٢٢١ ح ١، علل الشرائع: ٢/ ٥٩٥ ح ٤٤.

ورَوى القُطب الرَّاوندي رحمه الله في القصص بالإسناد عن أبي عبدالله عليه السلام أنَّه قال: (إنَّ آدَم عليه السلام لَمَّا هَبَطَ هَبطَ بِالهِندِ، ثُمَّ رُمِيَ إلَيهِ بَالحَجَرِ الأَسوَدِ، وَكَانَ يَاقُوتَةٌ حَمرَاء بِفَنَاءِ العَرشِ، لَمَّا عَرَفَهُ فَأكَبَّ عَلَيهِ، وقبَّلَهُ، ثُمَّ أَقبَلَ بِهِ فَحَمَلَهُ إلَى مَكَّةَ، فَرُبَّمَا أَعيَا مِن ثِقَلِهِ فَحَمَلَهُ جَبرَئيل عَنهُ.

وَكَانَ إذَا لَم يَأتِهِ جَبرَئيل "اغتَمَّ، وحَزِنَ"[1]، فَشَكَى ذَلِكَ إلَى جَبرَئيل، فَقَالَ: إذَا وَجدتَ شَيئاً مِنَ الحُزنِ، فَقُل: لَا حَولَ، ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ)[2].

وروى في العلل بالإسناد عن أبي عبدالله عليه السلام في حديثٍ طويلٍ، أنَّه قال: قال أبي عليه السلام: (إنَّ آدَم أُنزَلَ، فَنَزَلَ فِي الهِندِ)[3] الخبر.

ورُوي في القصص قريباً منه، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه في حديث مُضمَر: (كَانَ مَهبِط آدَم عليه السلام عَلَى جَبَلٍ فِي شَرقِي أَرضِ الهِندِ، يُقَالُ لَهُ: بَاسِم، ثُمَّ أَمَرَهُ أَن يَسِيرَ إلَى مَكَّةَ، فَطَوَى لَهُ الأَرضَ، فَصَارَ عَلَى كُلِّ مَفَازَةٍ يَمُرُّ بِهِ خُطوَة، وَلَم يَقَع قَدَمُهُ فِي شَيءٍ مِنَ الأَرضِ إلَّا صَارَ عُمرَانَاً)[4].

ورَوى في العيون، والعلل بالإسنادِ عن البزنطي[5] قال: سألتُ أبا

---

(١) في نسخة (ب): لغتم ولحزن.

(٢) قصص الأنبياء: ٥٢ ح ١٨.

(٣) علل الشرائع: ٢/ ٤٠٧ ح ٢.

(٤) قصص الأنبياء: ٧٤ ح٥٠.

(٥) أبو جعفر، أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، روى عن الامام الرضا عليه السلام كوفي، ثقة، عظيم المنزلة، له كتب، توفي سنة ٢٢١ ه. ينظر ترجمته: الفهرست، الشيخ الطوسي: ٦١، الكنى والألقاب: ١/ ٨٠، موسوعة طبقات الفقهاء: ٣/ ١٣٧.

الحسن الرِّضا عليه السلام عن الحَرَمِ، وأعلامه، كيف صارَ بعضُها أقربُ مِن بعضٍ؟، وبعضُها أبعدُ مِن بعضٍ، فقال: (إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا أَهبطَ آدَم مِنَ الجَنَّةِ أَهبطَهُ عَلَى أَبِي قُبَيس، فَشَكَا إِلَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الوَحشَةَ، وَأَنَّهُ لَا يَسمَعُ مَا كَانَ يَسمَعُ فِي الجَنَّةِ، فَأَهبَطَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيهِ يَاقُوتَةً حَمرَاء، فَوَضَعَها فِي مَوضِعِ البَيتِ، فَكَانَ يَطُوفُ بِهَا آدَم عليه السلام، وكَانَ ضَوؤهَا يَبلُغُ مَوضِعَ الأَعلَام، فَعُلِّمَت الأَعلَام عَلَى ضَوئهَا، فَجَعَلَهُ اللهُ حَرَمَاً)[1].

وعن إسماعيل بن همَّام[2] عنه عليه السلام مثله[3]، وعن صفوان بن يحيى[4] عنه عليه السلام مثله[5].

وفي العلل بالإسناد عن عبد الحميد بن أبي الدَّيلم[6] عن أبي عبدالله عليه السلام

---

(١) علل الشرائع: ٢/ ٤٢٠ ح ١، عيون أخبار الرضا: ١/ ٢٥٧ ح ٣١.

(٢) أبو همام، إسماعيل بن همام بن عبد الرّحمن بن أبي عبد اللهّ ميمون البصريّ مولى كندة، ثقة هو وأبوه وجدّه روى عن الامام الرضا عليه السلام، وعن علي بن جعفر أخي موسى الكاظم عليه السلام، وكان محدِّثاً، ثقةً، له مسائل، وله كتابٌ في الحديث رواه عنه أحمد بن محمد ابن عيسى. ينظر: الرجال، النجاشي: ٣٠، خلاصة الأقوال: ٥٧، منتهى المطلب: ٢/ ٣٧٦، موسوعة طبقات الفقهاء: ٣/ ١٣٧.

(٣) ينظر: علل الشرائع: ٢/ ٤٢٠ ح ٢.

(٤) أبو محمد البجلي، بياع السابري، روى عن الامام الرضا عليه السلام ثقة، عين، له منزلة عند الامام عليه السلام كان وكيلاً للإمام الرضا والجواد عليهما السلام توفي سنة ٢١٠ ه، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ١٩٧، الرجال، ابن داود: ١١١.

(٥) ينظر: علل الشرائع: ٢/ ٤٢٠ ح ١، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٢٥٧ ح ٣١.

(٦) عبد الحميد بن أبي الدّيلم النّبالّي الكوفّي، روى عن الامام الباقر والصادق عليهما السلام

قال: (سُمِّي الصَّفا صَفاً، لأَنَّ المُصطَفى آدم هَبَطَ عَلَيهِ، فَقَطَعَ لِلجَبَلِ اسمٌ مِن اسمِ آدم عليه السلام يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا﴾[1]، وهَبَطَت حَوَاء عَلَى المَروَة، فَقَطَعَ لِلجَبَلِ اسمٌ مِن اسمِ المَرأَةِ)[2].

وفيه مُرسَلاً، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (أُهبِطَ آدَم مِنَ الجَنَّةِ عَلَى الصَّفا، وَحَوّا عَلَى المَروَةِ، وَقَد كَانَ امتَشَطَت فِي الجَنَّةِ، فَلَمَّا صَارَت فِي الأَرضِ، قَالَت: مَا أَرجُوا مِنَ المُشطِ [٩٣: و]، وأَنَا مَسخُوطٌ عَلَيَّ، فَحَلَّت مُشطَتُهَا، فَانتَشَرَ مِن مُشطَتِهَا العِطرُ الَّذِي كَانَت امتَشَطَت بِهِ فِي الجَنَّةِ، فَطَارَت بِهِ الرِّيح، فَألقَت إثرَهُ فِي الهِندِ، فَلِذَلِكَ صَارَ العِطرُ بِالهِند)[3].

قال الصَّدوق: وفي حديث آخر: (إنَّهَا حَلَّت عَقِيصَتُهَا، فَأَرسَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا كَانَ فِيهَا مِن ذَلِكَ الطِّيب رِيحاً، هَبَّت بِهِ فِي المَشرِقِ، والمَغرِبِ)[4].

وفي القصص عن بعضِ مَن سأل أبا عبد الله صلوات الله عليه عن الطِّيب، قال: (إنَّ آدَم، وحَوا عليهما السلام حِينَ أُهبِطَا مِنَ الجَنَّةِ، نَزَلَ آدَم عَلَى الصَّفَا، وَحَوا عَلَى المَروَةِ، وَإنَّ حَوَاء حَلَقَت قَرنَاً مِن قُرُونِ رَأسِهَا، فَهَبَّت بِهِ

وهو ابن عم المعلى بن خنيس قيل بضعف روايته. ينظر ترجمته: الرجال، ابن داود: ٢٥٥، مستدركات علم رجال الحديث: ٤/ ٣٧١، معجم رجال الحديث: ١٠/ ٢٩٢.

(١) من قوله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران:٣٣.

(٢) علل الشرائع: ٢/ ٤٣١ ح ١.

(٣) المصدر نفسه: ٢/ ٤٩١ ح ١.

(٤) علل الشرائع: ٢/ ٤٩١ ح ١.

الرِّيح، فَصَارَ بِالهِند أَكثَرُ الطِّيب)[1].

ورَوى عليُّ بن إبراهيم في تفسيره عن الصَّادق عليه السلام أنَّه قال: (فَهَبَطَ آدَم عَلَى الصَّفَا، وإِنَّمَا سُمِّيَت الصَّفَا؛ لأنَّ صَفوَةَ الله نَزَلَ عَلَيهَا، وَنَزَلَت حَواءَ عَلَى المَروَة، وَإِنَّمَا سُمِّيَت المَروَة؛ لأنَّ المَرأَةَ نَزَلَت عَلَيهَا)[2].

ورَوى محمّد بن يعقوب رحمه الله بإسناده عن عبد الرَّحمن بن كثير[3] عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (إنَّ آدَم عليه السلام لَمَّا هَبَطَ إلَى الأَرضِ، هَبَطَ عَلَى الصَّفَا، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الصَّفَا؛ لأَنَّ المُصطَفَى هَبَطَ عَلَيهِ، فَقَطَعَ لِلجَبَلِ اسمٌ مِن اسمِ آدَم، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[4]، وأُهبِطَت حَوَاء عَلَى المَروَةِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَت المَروَة، لأنَّ المَرأَةَ هَبَطَت عَلَيهَا، فَقَطَعَ لِلجَبَلِ اسمٌ مِن اسمِ المَرأَةِ)[5].

ويُمكنُ الجمعُ بينها، واللهُ أعلمُ بحملٍ، ومَا دلَّ على أن مهبطه عليه السلام كان سرنديب، وأرضُ الهند، على أنَّه بيانٌ لمَسكَنِه، ومنزِله، وما دلَّ على أن المَهبَط

---

(١) قصص الأنبياء: ٥٧ ح ٣٠.

(٢) تفسير القمي: ١/ ٤٣.

(٣) عبد الرّحمن بن كثير الهاشميّ، مولى عبّاس بن محمّد بن عليّ بن عبد اللهّ بن العبّاس، كان ضعيفا، غمز أصحابنا عليه، وقالوا: كان يضع الحديث.، له كتب منها: صلح الحسن، كتاب فدك، كتاب الأظلة وغيرها، ينظر ترجمته: منتهى الطلب: ١/ ٣٠٠، الرجال، النجاشي: ٢٣٤، طرائف المقال: ١/ ٥٠٢.

(٤) آل عمران: ٣٣.

(٥) الكافي: ٤/ ١٩٢ ح ٢.

أرضُ مكَّـة عـلى بيـان المَهبـط حقيقـةٌ، وأمَّـا إبليـس فسـيجيءُ في كلامـه عليه السلام أنَّ مَهبطـه بـصرة.

وروى الجمهـور: أنَّ آدم عليه السلام أُهبِطَ بالهِنـد، وحـوا بجـدَّة، وإبليـس بموضِـعٍ بالبـصرة عـلى أميـالٍ، والحيَّـةُ بأصفهـان[1].

واعلـم: إنَّـه قـد اتفقـت كلمـةُ الملايـين مِـن المسـلمين، والنَّصـارى، واليهـود، عـلى أنَّ أوَّل البـشر هـو آدم عليه السلام، وأمَّـا الآخـرون فخالفـوا فيـه عـلى أقـوالٍ، وأنـا أحكـي هاهنـا مـا ذكـره الفاضِـلُ الشَّـارح عبـد الحميـد بـن أبي الحديـد في شرحـه قـال:

أمَّـا الفلاسـفة، فزعمـوا أنَّـه لا أوَّلَ لنـوع البـشر، ولا لغـيره مِـن الأنـواع، وأمَّـا الهنـد فمَـن كان منهـم عـلى رأي الفلاسـفة، فقولـه مـا ذكرتـه.

ومَـن لم يكـن منهـم عـلى رأي الفلاسـفة، وقـالَ بحُـدوثِ الأجسـام لا يُثبِّـت آدم، ويقـولُ: إنَّ اللهَ تعـالى خلـقَ الأفـلاكَ، وخلـقَ فيهـا طِباعـاً مُحرِّكـةً لهـا بذاتهـا، فلـمَّا تحرَّكـت - وحشـوها أجسـامٌ لاسـتحالة الخـلاء - وكانـت تلـك الأجسـام، عـلى طبيعـةٍ واحـدةٍ، فاختلفـت طبائعهـا بالحركـة الفلكيَّـة، فـكان القريـبُ مِـن الفَلَـك أسـخنُ، وألطـف، والبَعيْـد أبـرَدُ، وأكثـف.

ثُـمَّ اختلطـت العنـاصر، وتكوَّنـت منهـا المُركَّبـات، ومـا تكـوَّن منـه نـوعُ البـشر كـما يتكـوَّن الـدُّود في الفاكهـة، واللَّحـم، والبـقُّ في البطائـح، والمَواضِـعُ العَفِنَـة، ثُـمَّ تكـوَّن البَـشَر بعضـهُ مِـن بعـضٍ بالتَّوالُـد، ونـسي التَّخليـق الأوَّل الَّـذي كان

(١) ينظـر: الطبقـات الكـبرى: ١/ ٣٥، المنتظـم في تاريـخ الأمـم، والملـوك، الطـبري، تحـ: محمـد عبـد القـادر عطـا: ١/ ٨١.

بالتَّولُّد، ومَنَ المُمكِن أن يقول بتكوُّن بعضِ البَشرِ في بعضِ الأراضي القاصِيَة مَخلوقاً بالتَّولُّد، وإنَّما انقطَعَ التَّولُّد، لأنَّ الطَّبيعة إذا وَجَدَت للكون طريقاً استغنت به عن طريقٍ ثانٍ.

وأمَّا المجوس، فلا يعرفون آدم، ولا نُوحاً، ولا ساماً، وحاما، ويافث، وأوَّلُ مُتكوِّن عِندَهم مِن البشرِ كيومرث، ولقبه كُوهْشاه [1] أي: مَلِك الجَبلِ؛ لأنَّ كوه هو الجبل بالفَهْلَوِيَّة[2]، وقد كان كيومرث في الجبال، ومنهم مَن يُسمِّيه كِلْشاه، أي: "مَلِك الطِّين"[3] لأنَّ لم يكن حينئذ بشْر ليملكهم.

وقيل: تفسيرُ كيومرث، حيٌّ ناطِقٌ ميِّتٌ، قالوا: وقد كان قد رُزِقَ مِنَ الحُسنِ ما لا يقعُ عليه بصرُ [٩٤: ظ] حيوانٍ إلَّا أوَّله، وأُغمِيَ عليه، ويزعمُونَ أنَّ مبدأ تكوّنه، وحُدوثَه: أنَّ يزدان، وهو الصَّانِعُ الأوَّل عِندَهُم،

---

(١) في المصدر: كوشاه.

(٢) الفهلوية: وهي من ابرز اللغات الفارسية الوسطى التي سادت في ايران ابان القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد حتى القرنين الثامن والتاسع بعد الميلاد، ظهرت هذه اللغة بعد حدوث تطورات كبيرة على اللغة الفارسية القديمة، كما انها تميزت بساطة قواعدها وصورها فهي في اللغة: المنسوب إلى الشجاعة، فكان يجري بها كلام الملوك في مجالسهم وهي لغة منسوبة إلى فهلة، وهو اسم يطلق يقع على خمسة بلدان: أصبهان، والري، وهمذان، وماه نهاوند، وأذربيجان، ينظر: معجم البلدان: ٤/ ٢٨١، مفتاح اللغة الفارسية، عبد الله الخالدي واخرون: ١٤، المعجم الذهبي (فارسي - عربي)، محمد التونجي: ١٦٧، العوامل المؤثرة في تطور اللغة الفارسية، اياد محمد حسين: ٢٧٠.

(٣) في نسخة (ب): ملك الطين وكل اسم الطين.

فكَّر في أمرِ اهرمن، وهو الشَّيطان عِندَهُم، فكرةً أوجبت أن عَرِقَ جبينُه، فمَسَحَ العرق، ورَمَى به، فصارَ منه كيومرث.

ولهم خبطٌ طويلٌ في كيفية تكوُّن أهرمن مِن فكرة يزدان، أو مِن إعجابه بنفسه، أو مِن توحُشِّه، وبينهم خلافٌ في قِدَم اهرمن، وحدوثه، ولا يليقُ شرحه بهذا الموضع.

ثُمَّ اختلفوا في مُدَّة بقاءِ كيومرث في الوجود، فقال الأكثرون: ثلاثونَ سنةً، وقال الأقلُّون: أربعون سنةً، وقال قومٌ منهم: إنَّ كيومرث مَكَثَ في الجنَّة التي في السَّماء ثلاثة آلاف سنة، وهي ألفُ الحمل، وألف الثُّور، وألف الجوزاء.

ثُمَّ أُهبطَ إلى الأرضِ، وكان بها آمناً مطمئنّاً ثلاثةَ آلاف سنةٍ أُخرى، وهي ألف السَّرطان، والف الأسد، وألف السُّنبلة.

ثُمَّ مَكَثَ بعد ذلك ثلاثين أو أربعين سنةٍ في حربٍ، وخِصام بينه، وبين أهرمن، حتَّى هَلَكَ[1].

واختلفوا في كيفية هلاكه، مع اتفاقهم أنَّه هَلَكَ قتلاً، فالأكثرون قالوا: إنَّه قَتَلَ ابناً لأهرمن يُسمَّى جزوزه فاستغاث أهرمن منه إلى يزدان، فلم يجد بُدّاً أن يُقاصَّه به، حفظاً للعهود التي كانت بينه، وبين أهرمن، فقتله بابن أهرمن.

وقال قومٌ: بل قتله أهرمن في صِرَاعٍ كان بينه، وبين أهرمن، قهره فيه

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد: ١/ ١٠٥، بحار الانوار: ٥٧/ ٢٦٧.

أهرمـن، وعـلاه، وأكلـه.

وذكـروا في كيفيـة ذلـك الـصِّراع: أنَّ كيومـرث كان هـو القاهِـرُ لأهرمـن في بـادئ الحـال، وأنَّـه ركِبَـهُ، وجعـل يطـوفُ بـه في العـالم، إلى أن سـأله أهرمـن عـن أيِّ الأشـياء أخـوف لـه، وأهولهـا عنـده؟ فقـال لـه: بـابٌ جهنـم، فلـمَّا بلـغَ بـه أهرمـن إليهـا جمـحَ بـه حتَّـى سـقطَ مِـن فوقـه، ولم يستمسَّـك فعـلاه.

وسـأله عـن أيِّ الجهـات يبتـدئ بـه في الأكل، فقـال: مِـن جِهَـةِ الرِّجـل؛ لأكـونَ ناظـراً حُسـنَ العـالم مُـدَّةً مـا، فابتـدأه أهرمـن فأكلـه مِـن عِنـدِ رأسـه، فبلـغ إلى موضِـع الخـصى، وأوعيـة المَنِـي مِـنَ الصُّلـب، فقطـر مِـن كيومـرث قطـرةَ نُطفَـةٍ عـلى الأرضِ، فنبَـتَ منهـما ريباسـتان في جبـلٍ بإصطخـر يُعـرَفُ بجبـل دام داذ.

ثُـمَّ ظَهـرَت عـلى تينـك الريباسـتين الأعضـاءُ البشريَّـة في أوَّل الشَّـهر التَّاسـع، وتمَّـت أجـزاؤه، فتصـور منهـما بشـران ذكـرٌ، وأُنثـى، وهمـا: ميـشي، وميشـانه، وهمـا بمنزِلَـةِ آدم وحـواء عِنـدَ الملايـيِّن، ويُقـالُ لهـما أيضـاً: ملهـى، وملهيانـه، ويُسـمِّيها مجـوس خـوارزم: مـرد، ومردانـه.

وزَعمـوا: أنَّهـما مكثـا خمسـينَ سـنةٍ، مُسـتغنِينَ عـن الطَّعـام، والـشَّراب، مُنعَّمِـينَ، غـيرُ مُتأذِّيـن بـشيءٍ، حتَّـى ظهـرَ لهـمَا أهرمـن في صُـورةِ شـيخٍ كبـيرٍ، فحمَلهُـما عـلى تنـاوُل فواكِـهِ الأشـجار، وأَكَلَ منهـا، وهُمـا يُبصرانَـهُ شـيخاً، فعـادَ شـابَّاً، فـأكلا "منهـا"[1] فوقعـا في البلايـا،، وظهـرَ فيهـما الحِـرص حتَّـى تزاوَجَـا،

(١) في نسخة (ب): منها حينئذٍ.

وَوُلِدَ لهما ولدٌ فأكلاه حِرصاً[1].

ثُمَّ أَلقى اللهُ تعالى في قلوبهما رأفةً، فولَد لهُما بعدَ ذلكَ ستَّة أبطُن، كُلُّ بطنٍ ذَكرٍ، وأُنثى، وأسماؤهم في كتاب زردشت[2] معروفةٌ.

ثُمَّ كان البطنُ السَّابع: سيامك، وفرواك فتزاوجا، فوُلِدَ لهما المَلِك المشهور الَّذي لم يُعرَفُ قبله مَلِكٌ، وهو "هُوشَنْج"[3]، وهو الَّذي خَلَفَ جدُّه كيومرث، عَقَدَ التَّاج، وجَلسَ على السَّرير، وبنى مدينتي بابل، والسُّوس، فهذا ما يذكرهُ المجوس في مبدأ الخَلقِ[4]، انتهى.

وأمَّا ما أورده بعضُ الشَّارحين في هذا المقام مِنَ التَّأويلاتِ المُستَبشَعَةِ الرَّكيكة، فمنها لا يتفوَّه به على وجه الإذعان مِن صدقٍ بالقرآن، ولا يَصغِي إليه إلَّا مَنْ أنكرَ الأديان.

﴿وَاصْطَفى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وعَلَى تَبْلِيغِ [٩٥: و] الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ﴾[5]

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد: ١/ ١٠٦، بحار الانوار: ٥٧/ ٢٦٨.

(٢) في شرح أبن ابي الحديد: (وأسماؤهم في كتاب أپستا، وهو الكتاب الذي جاء به زرادشت - معروفة، ثم كان في البطن...).

(٣) في المصدر: أوشنج.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ١٠٣-١٠٦.

(٥) نهج البلاغة: ٣٠ خ١. اما في شرح ابن ميثم (وَلَدِهِ) الدال بالكسر وليس بالفتح، شرح نهج البلاغة: ١/ ١٩٨.

الإصطفاءُ، والإجتباءُ، والإختيارُ[1]، نظائرٌ، وهو افتعالٌ مِنَ الصَّفوةِ، وصَفوةُ الشَّيءِ مثلثه: خياره، وخُلاصته[2]، وهذا مِن تشبيه المعقول بالمحسُوسِ، شبه خلوصَهم مَنَ النَّقائص، والفسادِ لخلوصِ الصَّافي مِن الكَدرِ.

وسائرِ الأدناسِ، والوَلدُ مُحرَّكةٌ، وبالضَّمِّ، والكَسرِ، والفَتحِ واحِدٌ، وجمعٌ، وفي النُّسخ بالتَّحريك، وقولُ بعضِ الشَّارحين: (أنَّ الوَلَد لا يُقالُ على الواحِد، والجمعِ، لأنَّه مصدرٌ في الأصل سهوٌ)[3].

والوحيُ: في كلامِ العربِ على وجوهٍ، منها:

وحيُ النُّبوَّة، كقوله تعالى: ﴿**أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ**﴾[4]، ومنها: الإلهامُ، كقوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**﴾[5] [وقوله سبحانه][6]: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ**﴾[7]، ومنها: الإشارةُ، ومنها: الكتابةُ،

---

(١) ينظر: كتاب العين، مادة (صفو).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (صفا).

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ١/ ١١٥.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ الشورى: ٥١.

(٥) من قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ النحل: ٦٨.

(٦) في نسخة (ب).

(٧) من قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ

وعلى الوجهين حُمِلَ قوله تعالى: ﴿**فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾[1]، ومنها: الإسرارُ، والكلامُ الخفيِّ، كقوله تعالى: ﴿**يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**﴾[2].

وأصلُ الوحي عِندَهم: (أن يُلقِي الإنسانُ إلى صاحِبِهِ كلاماً بالاستتارِ، والإخفاء)[3].

والمِيثاقُ، والعَهدُ: (مِفْعالٌ مِنَ الوَثَاق، بالفتح، وهو في الأصلِ حبلٌ، أو قَيْد، ويُشَدُّ به الأسير، والدَّابة)[4].

والرِّسالة بالكسر، وبالفتح: الاسمُ مِنَ الإرسال: وهو التَّوجيه[5]، وفي النُّسخ بالكسرِ.

والأمانةُ: الأمان، والثِّقة، وتكونُ بمعنى ضدَّ الخيانةِ[6]، ومَا ائْتُمِنْتَ

وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ القصص: ٧.

(١) من قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ مريم: ١١.

(٢) من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ الانعام: ١١٢.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ١٧٦، زبدة التفاسير: ٣/ ٥٨٢، بحار الانوار: ٥٤/ ١٩٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والاثر: ٥/ ١٥١.

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (رسل).

(٦) ينظر: القاموس المحيط، مادة (امن).

عَلَيهِ، وفي بعضِ النُّسخ: ذِمامَهُمْ، والذِّمام بالكسرِ: الحُرْمَةُ، وهي ما لا تُهْتَكُ[1].

ولعلَّ المعنى: أنَّ اللهَ اختار مِنَ وُلدِ آدم عليه السلام أنبياءَ، كما أشار إليه بقوله سبحانه: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾[2]، فأخَذَ الميثاق منهم عَلى أداءِ الوَحْي، والأمان على تبليغِ الرِّسالة، بأن أكَّد عليهم القيام بما أُمروا به.

﴿لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ﴾[3]

العَهْدُ: ما عاهدوا عليه، وأقرُّوا بأن لا يزولوا عنه، أو الوصيَّةُ، ويكونُ للحِفاظِ، ورعاية الحُرمة[4]، والمُرادُ بعهدِه إليهم ما أشار إليه بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[5]، أو ما وصَّاهُم به مِنَ الأمر بالطَّاعة، والمَعرفة،

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، مادة (حرم).

(٢) من قوله تعالى: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الحج: ٧٥.

(٣) نهج البلاغة: ٣٠ خ١.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (عهد).

(٥) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف: ١٧٥.

والاجتنابُ عن المعصيَة، قال سُبحانه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾[1]، أو ما فطرَهُم عليه، وركَّزه في عُقولهم مِنَ القُوَّةِ على معرفته، والعِلمُ بوجوبِ عبادته.

وحقُّ اللهِ: ما يَجبُ على العِبادِ القيامُ به، وينبغي الوفاءُ به، وجهلُهُ: عدمُ العَملِ بمقتضاه، أو إنكارُه، وعدمُ معرفته.

والأندادُ: جمعُ نِدٍّ بالكسر، وهو: مِثلُ الشَّيءِ الَّذي يُضادُّه في أُموره، ويُقالَ: نادَّه، أي: خَالَفَه[2].

والكلام إشارةٌ إلى وجهِ الحِكمَةِ الإلهيَّة في بعثِ الأنبياء عليهم السلام.

﴿وَاجْتالَتْهُمُ الشَّياطينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبادَتِهِ، فَبَعَثَ فيهِمْ رُسُلَهُ، وَواتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِياءَهُ﴾[3]

اجتالتهُم الشَّياطين، أي: أدارَتْهُمْ، واسْتخفّتهم، فجالُوا معهم في الضَّلال، يُقالُ: جالَ، واجتال: إذا ذَهبَ، وجاءَ، ومنه الجَولانُ في الحربِ، وُاجْتالَ الشَّيءَ إذا ذَهَب به، وساقه، والجائلُ: الزَّائل عن مكانه[4].

ولَمَّا كان المعرفة هي العَهْدُ، والفِطرَة، ومِن شأنها الثَّبات عليها، جعلها عليه السلام

---

(١) من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ الأنعام: ٦٠.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث والاثر: ٥/ ٣٥.

(٣) نهج البلاغة: ٣٠ خ١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والاثر: ١/ ٣١٧.

مكاناً لهم.

والاقتطاعُ: الأَخذُ، وفي الحديث: (أَو يَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ)[1]، أي: يأخذه لنفسه.

وَواتَرَ إليهم، أي: أرسلهم مُتفرِقين بينهم فَتْرَة، وزَمانٌ، ومنه مُواتَرَة الصَّوم: أن تصومَ يوماً، وتُفطِرُ يوماً، وتقضيهُ وتراً وتراً[2]، أو أتبع بعضهم بعضا، كما رُوي عن ابن عبّاس، ومُجاهد[3] في قوله تعالى: [٩٦: ظ] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾[4]، وقال في العين: (المُواتَرةُ المُتَابَعَةُ)[5].

وفي القاموس: وَاتَرَ، أي: تَابَعَ[6]، وليس كما ظنَّه ابن أبي الحديد[7] اقتصاراً على ما في الصِّحاح قال: (وهذا مِمَّا يَغلطُ فيه العامَّة، فيظنُّه كما ظنَّ القُطبُ

---

(١) الحديث في باب اليمين: وفيه روي عن رسول الله ﷺ انه قال: (من حلف على يمين صبر وهو فيها فاجر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان...). رواه كل من: مسند احمد: ١/ ٤٤٢، صحيح البخاري: ٧/ ٢٢٨، صحيح مسلم:١/ ٨٦.

(٢) تاج العروس، مادة (وتر).

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٧/ ١٩١.

(٤) المؤمنون: ٤٤. من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

(٥) كتاب العين، مادة (وتر).

(٦) ينظر: القاموس المحيط، مادة (وتر).

(٧) شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد: ١/ ١١٤.

الرَّاونـدي[1] أنَّ المُـرادُ بـه المُرادَفـة، والمُتابَعـة)[2].

ثُمَّ فصَّل عليه السلام فوائد بعثِ الأنبياءِ عليهم السلام بقوله:

﴿لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ[3] مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ﴾[4]

استيداءُ الميثاق: المُطالَبةُ بما عاهدوا عليه، وفِطرَةُ الله هي: المِلَّةُ التي خَلقَ اللهُ النَّاس عليها[5]، ولأجلها، "والتّمسُك"[6] بها، قال اللهُ: ﴿**فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾[7]، وقال رسُولُ الله صلى الله عليه وآله: (كُلُّ مَولُودٍ يُولَدُ عَلىَ الفِطرَةِ، حَتَّى يَكُونُ أَبَوَاهُ هُمَا اللَّذَانِ يُهوّدَانَهُ، وَيُنَصِّرَانَهُ، وَيُمَجِّسَانَهُ)[8].

أو ما سَبقَ في يومِ أخذِ الذُّريَّة من ظهورهم، وإشهادهم على أنفسهم، وقيل في تفسير الآية: المُرادُ بالفِطرَةِ: (ما دلَّهم عليه ابتداء خَلقِهِ للأشياء، لأنَّه

---

(١) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١/ ٧٧.

(٢) الصحاح، مادة (وتر).

(٣) في نسخة (ب): يذكروا لهم.

(٤) نهج البلاغة: ٣٠ ح١.

(٥) شرح اصول الكافي، المازندراني: ١/ ١٣.

(٦) في نسخة (ب): ولأجلها وأمرهم بالتمسك.

(٧) من قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم: ٣٠:

(٨) الكافي: ٢/ ١٣ ح ٣، صحيح مسلم: ٨/ ٥٣، الخلاف، الطوسي: ٣/ ٥٩١، السنن الكبرى: ٦/ ٢٠٣.

خلقهم، وركَّبهم، وصوَّرهم، على وجهٍ يدلُّ على أنَّ لهُم صانِعاً قادِراً، عالماً حيَّاً، "قديماً"[1]، لا يشبه شيئاً، ولا يُشبَّهُ بشيء)[2].

وإضافةُ الميثاقِ إلى الفِطرَة تحتَمِلُ اللَّاميَّة، والبيانيَّة، ونسيانُ النِّعمة: تركُ القيامِ بواجِبِ شُكرها، والحُجَّةُ: البرهانُ، والاحتجاج: إقامته[3]، وفيه إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[4].

وثارَ الغُبارُ يثُور ثوراً، وثَوَراناً، إذا سطع[5]، وارتفع، وإثارَةُ غيره، وإثارَةُ الدَّفينةُ إخراجها.

والإضافةُ في دفائن العُقول، أمَّا بمعنى في أيِّ العُلوم الحقَّة، والعقائدُ اليقينيَّةُ الكامِنة في العقولِ لتركِ النَّظرِ في الدَّلائل، والبراهين، أو بمعنى اللَّام، أي: العلومُ التي يُمكنُها استخراجُها مِنَ الدَّلائل، أو بيانيَّةٌ، والمُرادُ بدفائن العقول: المُنغمِرَةُ في الجهالات، المُستترَةُ بها، وإثارتُها: إزالة الشَّبه، وإزاحةُ الجهالات عنها، وحينئذ يُمكن أن يُرادُ بالعقول العلوم، والصُّور العقليَّة[6].

﴿وَيُرُوهُمْ آياتِ المَقْدُرةَ، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرفُوعٍ، ومِهادٍ تَحْتَهُم

---

(١) في نسخة (ب): قديمًا واحداً.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٨/ ٥٩.

(٣) ينظر: الصحاح، مادة (حجج)، مجمع البحرين، مادة (حجج).

(٤) من قوله تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء: ١٦٥.

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (ثور).

(٦) ينظر: بحار الانوار: ١١/ ٦٠.

مَوْضُوعٍ﴾[1]

المقدرةُ مثلثه: الدالُّ القُدرة، أي: القُوَّة[2]، وفي النُّسخ بضمِّ الدَّال[3]، وآيةُ الشَّيء: علامتُه[4]، والسَّقفُ: سقفُ البيتِ، واسمٌ للسَّماءِ[5]، والأنسبُ هو الأوَّل، وإن كان عبارةً عن السَّماء.

والمِهادُ بالكسر: الفِرَاشُ، والموضِعُ يُهيّأ للصَّبيِّ، ويُوطَّأ، واسمُ الأرضِ[6] أيضاً، والوَضعُ: مُقابِلُ الرَّفعِ، وإراءهُ آيات المَقدِرَة التَّنبيهُ على كونها آياتُ القُدرةِ، ودلائلُ عَلَيْها، وهي كالبيانِ لإثارة دفائنِ العُقول[7].

﴿وَمَعايِشَ تُحْيِيهِمْ، وآجالٍ تُفْنيهِمْ، وأَوْصابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَاَحْداثٍ تَتابَعُ عَلَيْهِمِ﴾[8]

المَعايش: جمعُ معيشةٍ، وهي: ما تعيشُ بها مِن المَطْعمِ، والمَشربِ، وما

---

(١) نهج البلاغة: ٣٠ ح١، (المَقْدِرَة) مكسورة الدال.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (قدر).

(٣) لم اقف عليها في شروح النهج، انما وردت بكسر الدال، ينظر: شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد: ١/ ١١٣، شرح نهج البلاغة: ١/ ١٩٩.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (أيا).

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (سقف).

(٦) ينظر: القاموس المحيط، مادة (مهد).

(٧) في نسخة (ب): بعد العقول.

(٨) نهج البلاغة: ٣٠ ح١.

تكونُ به الحياة، والعيش الحياة[1]، والعيشُ الهنئ: أن يأتيك الرزقُ مِن غيرِ كدٍّ، وتعبٍ، والياء في معايش لا تُقلبُ همزةً في الاكثر، وكذا كُلُّ ما وقعَ بعدَ ألف الجمعِ فيه واو أو ياء ليسَت بمَدَّةٍ زائدة، سواءٌ كانت أصليَّة، كما في مُقاوم، ومَرايب، أو زائدة للإلحاق، كما في جداول، وعثائر، فتبقى على حالها.

وإن كانت الواو، والياء مَدَّةً زائدةً في المُفرد قُلِبَت الفاً، ثُمَّ همزةً، كما في نَتائِف، وكبائر، وكذا في صيغةِ فاعلٍ مِمَّا أُعِلَّ فعلهُ، نحو قائل، وبائع بخلافٍ، نحو عاوِر.

وقد يُهمزُ معايش تشبيهاً لَمعيْشَةٍ بَفعْلِيةَ، وكذا قد يُهمزُ المنائر في جمعِ مَنارَة، تشبيهاً لها بفَعالة، والفصيحُ المَناور، والتزامُ الهمزِ في مصائب تشبيهاً لُمصيبةٍ بفعيلة[2].

ومِن النَّحويِّن مَن يرى الهمزة [و: ٩٧] في معايش لَحْناً[3]، وإسنادُ الإحياءُ إلى المعايش مِن قبيلِ الإسنادِ إلى السَّبب العادي، ولعلَّ المُرادُ بالإحياءِ إبقاءُ الحياةِ.

والأجلُ: غايةُ الوقتِ، ومُدَّةُ الشَّيءِ[4]، وإسنادُ الإفناءِ إلى الآجال مِنَ

---

(١) ينظر: تاج العروس، مادة (عيش).

(٢) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٣/ ١٣٤.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٣٧٣، معاني القرآن للأخفش، تحـ: د. عبد الامير الورد:١/ ٣٢٠،

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (أجل).

الإسناد إلى المَقارن، والأوصابُ: الأمراضُ، جمعُ، وصَب، بالتَّحريك[1].

والهَرَم، مُحرَّكة: أقصى الكِبر، يقالُ: هَرِمَ كفرح، وأهرمَهُ الدَّهرُ[2]، ولعلَّ المُرادُ به لازمه، أي: الوَهنُ، والضَّعف، وأحدَثَ الدَّهرُ نوائبه التي تَحدِثُ يوماً فيوماً، والتَّتابُع: التَّوالي[3]، وكلمةُ تتابع في النُّسخ بحذفِ إحدى التَّاءين[4].

﴿وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحانَهُ خَلْقَهُ مَنْ نِبَيٍّ مُرْسَلٍ، أو كِتابٍ مُنْزَلٍ، اَوْ حُجَةٍ لازِمَةٍ، اَوْ مَحَجَّةٍ قائمَةٍ﴾[5]

النَّبيءُ: بالهمزِ، مِنَ النَّبأ، وهو الخبرُ[6]، لأنَّ النَّبيّ مخُبِرٌ عن الله سُبحانه، وبلا همزٍ، وهو الأكثرُ، وهكذا في النُّسخ هاهنا، أما تخفيفاً مِن المَهموزِ بقلبِ همزته ياءً، أو لأنَّ أصلَه مِنَ النَبْوَة، بفتح النُّون، وسكون الباء، أي: الرِّفعة؛ لأنَّ النَّبيِّ مرفوعُ الرُّتبة على غيره مِنَ الخلقِ، وقيلَ: في الفرقِ بين النَّبيِّ، والمُرسَل: أنَّ النَّبيِّ هو: إنسانٌ أُوحي إليه بِشَرعٍ، وإن لم يُؤمَرُ بتبليغه، فإن أمرَ بذلك فرسُولٌ أيضاً، وقيل: النَّبيّ مَن أمرَ بالتَّبليغِ، وإن لم يكن له كتابٌ أو نُسخ لبعض شَرعِ مَن قَبله، كيوشع عليه السلام فإن كان له ذلك فرسولٌ أيضاً،

---

(١) ينظر: الصحاح، مادة (وصب).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (هرم).

(٣) ينظر: كتاب العين، مادة (تبع).

(٤) لم اقف عليها في شروح النهج.

(٥) نهج البلاغة: ٣٠ ح١.

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة (نبأ).

وقيل: هُما بمعنىً واحِد[1]، ولعلّه أنسَبُ هاهنا.

والحُجَّةُ: البرهان، يُقالُ: حاجَّه فحَجَّه، أي: غلَبهُ بالحُجَّةِ أو بمعنى الغَلَبَة بها[2]، ولُزوم الحُجَّة كونها بحيث لا تُدفَعُ، والمُرادُ بالحُجَّة اللاَّزمة: الإمامُ المنصوصُ، والمَحجَّةُ: جادَّةُ الطَّريق[3].

القائمةُ: الدَّائمَةُ المُستمِرَة، التي العَملُ بها مُتصلٌ لا يُترَكُ[4]، وفي الحديث: (العِلْمُ ثَلاثَةٌ: آيَةٌ مُحكَمَةٌ، أو سُنَّةٌ قائمَةٍ، أَو فَرِيضَةٌ عَادِلَة)[5].

والتَّرديدُ بينَ الأربعةِ لَمنعِ الخُلوِّ، كما صرَّح به أوَّلُ الكلام.

﴿رُسُلٌ لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلاَ كَثْرَةُ المُكَذِّبِينَ لَهُمْ﴾[6]

أي: هُم رُسُلٌ كذلك، والتَّقصيرُ في الأمرِ: التَّواني فيه، وقصَّر به، أي: جعلهُ مُقصِّراً[7]، وفي بعضِ النُّسخ يقصرُ بالياء المُثنَّاةُ مِن تحتِ[8].

---

(١) ينظر: الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ١/ ٢٣٣، اللمعة البيضاء، التبريزي الأنصاري، تحـ: السيد هاشم الميلاني: ٤٢٦.

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (حجج).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ٣٠١.

(٤) المصدر نفسه: ٤/ ١٢٦.

(٥) الكافي: ١/ ٣٢ح١.

(٦) نهج البلاغة: ٣٠ خ ١.

(٧) ينظر: الصحاح، مادة (قصر).

(٨) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١/ ٧٧، وفيه: وروي (لا يقصر بهم) بضم الياء، أي لا يعييهم.

﴿مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ﴾[1]

الغَابِرُ: الماضي، والباقي[2]، وهو مِنَ الأضدادِ[3]، والمُرادُ هاهُنا هو الثاني، بقرينة السَّابق، أي: مَن نَبِيٍّ سابقٍ عَرَفَ مَن يأتي بَعدَه ببيانِ الله، أو مُتأخرٌ، عرَّفهُ، وبيَّنهُ للنّاس مَن كانَ قبلَهُ مِنَ الأنبياءِ، كما بشَّر عيسى عليه السلام بنبيِّنا محمَّد صلى الله عليه وآله[4].

ويُمكنُ أن يكونَ الفاعل في عرَّفه هو الضَّميرُ الرَّاجع إلى الله تعالى، أي: مُتأخرٌ بينَ الله له مَن كان قبله مِنَ الأنبياءِ عليهم السلام.

﴿على ذلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْآباءُ، وَخَلَفَتِ الْأَبْناء﴾[5]

قال بعضُ الشَّارحين: (نَسَلَت القُرون، أي: وَلَدت)[6]، وقال بعضُهم: (نسلتُ، أي: درجتُ، ومضيتُ، مأخوذٌ مِن نَسلَ رِيشُ الطَّائر، ونسلَ الوبرُ، إذا وقعَ، وسَقَطَ)[7]، والأظهرُ أنَّه مِن قولهم: نَسلَ في العَدْوِ يَنْسِلُ كضرب،

---

(١) نهج البلاغة: ٣١ خ ١.

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (غبر).

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٠٠.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ١/ ١١٦.

(٥) نهج البلاغة: ٣١ خ١.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ١/ ١١٧.

(٧) شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٠٠.

إذا أَسرَع[1] قـالَ اللهُ تعـالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[2].

والقرنُ: الوقتُ مِنَ الزَّمانِ مُطلقاً، وقيل: عشرةٌ، وقيلَ: عشرون، وقيلَ: ثلاثون، وقيل: أربعون، وهكذا إلى ثمانين، وقيل: مائة سنة[3].

قالوا: مَسَح رسولُ الله ﷺ رَأْسَ غلامٍ، وقال: (عِشْ قَرْناً) فعاشَ مائة سنة، وقيل: مائةٌ وعشرون سنة [4].

والدَّهرُ: الزَّمانُ الطَّويل، أو الزَّمانُ مُطلقاً، أو ألفُ سنةٍ[5].

وسَلفَ مثلُ طلبَ، أي: مَضَى، وسَلَفَ الرَّجُل آباؤه المُتقدِّمونَ[6]، والخَلَفُ: كُلُّ مَن يجيئ بعدَ مَن مَضَى، وخَلْفٌ، أي: بقى[7]، قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾[8].

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (نسل).

(٢) يس: ٥١.

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (قرن).

(٤) الفايق في غريب الحديث، الزمخشري: ٣/ ٧٩، مناقب آل أبي طالب: ١/ ١٠١، عمدة القاري: ١٣/ ٢١٣.

(٥) تاج العروس، مادة (دهر).

(٦) ينظر: الصحاح، مادة (سلف).

(٧) ينظر: تاج العروس، مادة (خلف).

(٨) من قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ مريم:٥٩.

﴿إِلى أَنْ بَعَثَ اللهُ سُبْحانَهُ محمّداً ﷺ، لإِنْجازِ عِدَتِهِ، وتَمامِ نُبُوَّتِهِ﴾[1]

البعثُ: الإرسَالُ[2] [٩٨: ظ]، وسُمِّي نبيُّنا محُمَّداً ﷺ (إلهامَاً مِنَ الله تعالى، وتفاؤلاً بحمدِ الخَلقِ لهَ؛ لكثرَةِ خِصالهِ الحَميدَة، وقيل: لجدِّه عبد المُطَّلب - وقد سمَّاهُ في يومِ سابعِ ولادته لَموتِ أبيه قبلها -: لِمَ سَمَّيتَ ابنَكَ مُحَمَّداً، وليسَ مِن أسماءِ أبائك، ولا قومك؟ فقال: رجوتُ أن يُحمَد في السَّماءِ، والأرضِ، وقد حقَّقَ اللهُ رجاءه)[3].

والعِدَةُ: الوعدُ، وإنجازُه إحضاره[4]، والضَّميرُ المَجرورِ في عِدته، راجِعٌ إلى الله سُبحانه.

وأمَّا في نبوَّته، فقال بعضُ الشَّارحين: أنَّه راجعٌ إلى محمَّد ﷺ، ولعلَّ الأَولَى إرجاعُهُ أيضاً إلى الله سُبحانه، أي: بعثهُ لِيُتمَّ به النُّبوَّة، فإنَّه خاتم النَّبيِّين[5].

أخذ الميثاق لنبيّنا ﷺ

﴿مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيماً مِيلادُهُ﴾[6]

---

(١) نهج البلاغة: ٣١ ج١.

(٢) ينظر: كتاب العين، مادة (بعث).

(٣) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ١/ ٢٣٢.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (وعد).

(٥) ينظر: بحار الانوار: ١٨/ ٢١٧.

(٦) نهج البلاغة: ٣١ خ١.

الشُّـهرةُ: (وضُـوحُ الأمـر) [1]، والسِّـمَةُ: العلاَمَـةُ، يُقـالُ: وَسَـمتُه، وسْـمًا وسِـمَةً، إذا أثَّـرت فيـه [2].

والميـلادُ: الوقـتُ الَّـذي يُولَـدُ فيـه، والمَولِـدُ: المَوضِـعُ، كـذا في الصحَّـاحِ [3]، ويظهـرُ مِـن كلام صاحِـبِ القامـوس أطـلاقُ المولِـد أيضـاً عـلى الوقـت [4].

أمَّـا أخـذُ الميثـاقِ عـلى النَّبيِّـن، فـروى عـليُّ بـن إبراهيـم في الَّتفسـير قـال: قـال الصَّـادق عليه السلام في قولـه تعـالى: ﴿**وَإِذْ أَخَـذَ رَبُّـكَ مِـنْ بَنِـي آدَمَ مِـنْ ظُهُورِهِـمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْـهَدَهُمْ عَـلَى أَنْفُسِـهِمْ**﴾[5] الآيـة: (كَانَ المِيثَـاقُ مَأخُـوذاً عَلَيهِـم بِالرُّبوبيَّـةِ، وَلِرَسُـولِهِ بِالنُّبـوَّةِ، وَلِأَمِـيرِ المُؤمِنـينَ، وَالأئمَّـة بِالإمَامَـةِ، فَقَـالَ: أَلسـتُ بِرَبِّكُـم، وَمُحَمَّـد نَبِيِّكُـم، وَعَـلِيٌّ إِمَامُكُـم، وَالأَئمَّـة الهَـادُونَ أئمَّتكُـم؟ فَقَالُـوا: بَـلَى، فَقَـالَ اللهُ: ﴿**أَنْ تَقُولُـوا يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ**﴾[6]، أي: لَئَـلاَّ تَقُولُـوا يَـومَ القِيَامَـةِ: ﴿**إِنَّـا كُنَّـا عَـنْ هَـذَا غَافِلِـينَ**﴾[7]، فـأوَّلُ مـا أَخـذَ اللهُ عَـزَّ وَجَـلَّ المِيثَـاقَ عَـلَى الأنبِيَـاءِ بِالرُّبُوبِيَّـةِ،

---

(١) تاج العروس، مادة (شهر).

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (وسم).

(٣) ينظر: المصدر نفسه، مادة (ولد).

(٤) ينظر: القاموس المحيط، مادة (ولد).

(٥) الاعراف: ١٧٢.

(٦) مـن قولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ أَخَـذَ رَبُّـكَ مِـنْ بَنِـي آدَمَ مِـنْ ظُهُورِهِـمْ ذُرِّيَّتَهُـمْ وَأَشْـهَدَهُمْ عَـلَى أَنْفُسِـهِمْ أَلَسْـتُ بِرَبِّكُـمْ قَالُـوا بَـلَى شَـهِدْنَا أَنْ تَقُولُـوا يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ إِنَّـا كُنَّـا عَـنْ هَـذَا غَافِلِـينَ﴾ الأعـراف: ١٧٢.

(٧) مـن قولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ أَخَـذَ رَبُّـكَ مِـنْ بَنِـي آدَمَ مِـنْ ظُهُورِهِـمْ ذُرِّيَّتَهُـمْ وَأَشْـهَدَهُمْ عَـلَى أَنْفُسِـهِمْ أَلَسْـتُ بِرَبِّكُـمْ قَالُـوا بَـلَى شَـهِدْنَا أَنْ تَقُولُـوا يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ إِنَّـا كُنَّـا عَـنْ هَـذَا

وَهـوَ قَولُـهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَـا مِـنَ النَّبِيِّـينَ مِيثَاقَهُـمْ﴾[1]، فَذَكَـرَ جُمْلَـةَ الأَنبِيَـاءِ، ثُـمَّ أَبـرَزَ فَضلَهُـم بِالأَسَـامِي، فَقَـالَ: وَمِنكَ يَـا مُحَمَّـد، فَقَـدَّمَ رَسُـولَ الله ﷺ؛ لأَنَّـهُ أَفضَلَهُـم، وَمِـن نُـوحٍ، وإِبرَاهِيـمَ، وَمُوسَـى، وَعِيسَـى بِـن مَريَـمَ، فَهـؤلَاءِ الخَمسَـةُ أَفضَـلُ الأَنبِيَـاءِ، وَرَسُـولُ الله ﷺ أَفضَلَهُـم، ثُـمَّ أَخَـذَ بَعـدَ مِيثَـاقِ رَسُـول الله ﷺ عَـلَى الأَنبِيَـاءِ بِالإِيـمَانِ بِـهِ، وَعَـلَى أَن يَنـصُرُوا أَمِـيرَ المُؤمِنِـينَ، فَقَـالَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾[2] يَعنِـي: رَسُـولَ الله ﷺ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾[3]، يَعنِـي: أَمِـيرَ المُؤمِنِـينَ صَلَـواتُ الله عَلَيـهِ، فَخَبِّرُوا أُمَمَكُـم بِخَبَرِهِ، وَخَـبِّرَ وَلِيُّـهُ، وَالأَئمَّـة، وفيـه، في قولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَـا مِـنَ النَّبِيِّـينَ مِيثَاقَهُـمْ وَمِنْـكَ وَمِـنْ نُـوحٍ وَإِبْرَاهِيـمَ وَمُوسَـى وَعِيسَـى ابْـنِ مَرْيَـمَ﴾[4]، قـال: هَـذِهِ الـوَاو زِيَـادَةٌ فِي قَولِـهِ: وَمِنكَ، وَإِنَّـمَا هُـوَ مِنكَ وَمِـن نُـوحٍ، فَأَخَـذَ اللهُ المِيثَـاقَ لِنَفسِـهِ عَـلَى الأَنبِيَـاءِ، ثُـمَّ أَخَـذَ لِنَبِيِّـهِ عَـلَى

غَافِلِينَ﴾ الأعراف: ١٧٢.

(١) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ الاحزاب:٧.

(٢) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ آل عمران: ٨١.

(٣) آل عمران: ٨١.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ الاحزاب:٧.

الأَنبِيَاءِ، والأئمَّة، ثُمَّ أَخَذَ لِلأَنبِيَاءِ عَلَى رَسُول الله ﷺ)[1].

وروى شيخُ الطَّائفة في أماليه بالإسنادِ عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدِّه عليهم السلام قال: (قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَا قَبَضَ اللهُ نَبِيّاً حَتَّى أَمَرَهُ أن يُوصِي إِلَى عَشِيرَتِهِ مِن عُصبَتِهِ، وَأَمَرَنِي أَن أُوصِي. فَقُلتُ: إِلَى مَن يَا رَبِّ؟ فَقَالَ: أُوصِ إِلَى ابْنِ عَمِّكَ عَلِيّ بِن أَبِي طَالِب، فَإِنِّي قَد أَثبَتُ فِي الكُتبِ السَّالِفَةِ، وَكَتَبتُ فِيهَا: أَنَّه وَصِيُّكَ، وعَلَى ذَلِكَ أَخَذتُ مِيثَاقَ الخَلَائِقَ، وَمَواثِيقَ أَنبِيَائِي، ورُسُلِي، أَخَذتُ مَوَاثِيقَهُم لِي بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَلَكَ يَا مُحَمَّد بِالنُّبوَّةِ، وَلِعَلِيِّ بِن أَبِي طَالِب بِالوُلَايَة)[2].

وفيه بالإسناد عن جابر[3] عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جدِّه عليهم السلام: (أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ عليه السلام: أَنتَ الَّذِي احتَجَّ اللهُ بِكَ فِي ابتِدَائِهِ الخَلقَ، حِينَ أَقَامَهُم أَشبَاحاً، فَقَالَ لَهُم: أَلَستُ بِرَبِّكُم؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: وَمُحَمَّدٌ رَسُولِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: وَعَلِيٌّ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ؟ فَأَبَى الخَلقُ جَمِيعاً إِلَّا استِكبَاراً، وعُتُوّاً [٩٩: و] عَن وُلَايَتِكَ إِلَّا نَفَرٌ قَلِيلٌ، وَهُم أَقَلُّ القَلِيلِ، وَهُم أَصحَابُ اليَمِينِ)[4].

وروى الصفَّار[5] رحمه الله في كتابِ بصائر الدَّرجات بالإسناد عن جابر، عن

(١) تفسير القمي: ١/ ٢٤٧.

(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي: ١٠٤ ح ١٦٠.

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٤) الأمالي، الطوسي: ٢٣٢ ح ٤١٢.

(٥) أبو جعفر، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، الأشعري بالولاء المحدّث الكبير

أبي جعفر عليه السلام في قولِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[1]، قال: (عَهِدَ إِلَيهِ فِي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، والأَئمَّة مِن بَعدِهِ، فَتَرَكَ، ولَم يَكُن لَهُ عَزمٌ إنَّهُم هَكَذَا، وَإِنَّمَا سُمِّيَ أُولُو العَزمِ أُولُو العَزمِ؛ لأَنَّهُ عَهِدَ إِلَيهِ فِي مُحَمَّد، والأَوصِيَاء مِن بَعدِهِ، والمَهدِيِّ، وسِيرَتِهُ عليهم السلام فَأَجمَعَ عَزمُهُم أنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَالإِقرَارُ بِهِ)[2].

وروى محمَّد بن يعقوب الكليني رحمه الله عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام مثلهُ، وفيه بالإسنادِ عن حمران[3] عن أبي جعفر عليه السلام قال: (إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حَيثُ خَلَقَ الخَلقَ، خَلَقَ مَاءً عَذبَاً، وَمَاءً مَالِحَاً أُجَاجَاً، فَامتَزَجَ المَاءَانِ، فَأَخَذَ طِينَاً مِن أَدِيمِ الأَرضِ، فَعَرَكَهُ عَركَاً شَدِيدَاً، فَقَالَ لأَصحَابِ اليَمِينِ، وَهُم كَالذَّرِّ: يَدبُّونَ إِلَى الجَنَّةِ بِسَلَامٍ، وَقَالَ لِأَصحَابِ الشِّمَالِ: يَدبُّونَ إِلَى النَّارِ، ولَا

القمّيّ، وكان أحد وجوه المحدّثين والفقهاء، ثقة، عظيم القدر، كثير التصانيف عُدّ من أصحاب الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، وروى عنه، وله عنه مسائل كان قد كاتبه بها كما وقع في إسناد كثير من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، تبلغ سبعمائة وخمسة وأربعين مورداً، وللصفّار كتب كثيرة منها: بصائر الدرجات، الصلاة، الوضوء، الجنائز، الصيام، الحجّ، النكاح، الطلاق، العتق والتدبير والمكاتبة، التجارات، المكاسب، توفّي ٢٩٠ هـ، ينظر ترجمته: خلاصة الأقوال: ٣٦٠، رجال ابن داود: ١٦٩، نقد الرجال: ٤/ ١٨١، جامع الرواة: ٢/ ٩٥، الكنى والألقاب: ٢/ ٤١٨، موسوعة طبقات الفقهاء: ٣/ ٤٩٣.

(١) طه: ١١٥.

(٢) بصائر الدرجات: ٩٠ ح ١.

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول.

أُبَالِي، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾(١).

قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ المِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّينَ، فَقَالَ: أَلَستُ بِرَبِّكُم؟ ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّ هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله، وإِنَّ هَذَا عَلِيٌّ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ؟ قَالُوا: بَلَى، فَثَبَتَت لَهُم النُّبُوَّةَ، وَأَخَذَ المِيثَاقَ عَلَى أُولِي العَزمِ: إِنَّنِي رَبُّكُم، وَمُحَمَّدٌ رَسُولِي، وَعَلِيٌّ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ، وَأَوصِيَاؤهُ مِنْ بَعْدِهِ وُلَاةُ أَمرِي، وَخُزَّانُ عِلمِي عليهم السلام، وأَنَّ المَهدِي أَنتَصِرُ بِهِ لِدِينِي، وَأُظهِرُ بِهِ دَوْلَتِي، وَأَنتَقِمُ بِهِ مِن أَعدَائِي، وَأُعْبَدُ بِهِ طَوعَاً، وكَرهَاً، قَالُوا: أَقرَرنَا يَا رَبِّ، وشَهِدْنَا، وَلَمْ يَجحَد آدَم، وَلَم يُقرَّ، فَثَبَتَت العَزِيمَةُ لِهَؤلَاءِ الخَمسَةِ فِي المَهدِيِّ، وَلَم يَكُن لِآدَم عَزمٌ عَلَى الإِقرَارِ بِهِ، وَهوَ قَولُه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾(٢) قَالَ: إِنَّمَا هُوَ: فَتَرَك)(٣).

وَرَوى محمّد بن يعقوب، عن حمران، عن أبي جَعْفر عليه السلام مِثْلَه، وفيه عن محمَّد بن الفُضيل(٤) عن أبي الحَسَن عليه السلام قال: (وُلايَةُ عَلِيٍّ مَكتُوبَةٌ فِي جَمِيعِ

---

(١) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ التوبة: ١٧٢.

(٢) طه: ١١٥.

(٣) الكافي: ١/ ٤١٦ ح ٢٢، بصائر الدرجات: ٩٠ ح ٢.

(٤) أبو جعفر، محمد بن فضيل بن كثير الصيرفي، الأزرق، روى عن الامامين الكاظم والرضا عليهما السلام، ينظر ترجمته: الفهرست، الشيخ الطوسي: ٢٢٥، الرجال، ابن داود: ١٨١.

صُحُفِ الأَنبِيَاءِ، وَلَن يَبْعَثَ اللهُ نَبِيّاً إلَّا بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ، ووَصِيِّهُ عَلِيّ صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِمَا)[1].

وروى محمَّد بن يعقوب رحمه الله عن محمّد بن الفُضيلِ عن أبي الحَسَن عليه السلام مثلهُ، وفيه بالإسنادِ عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: (إنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَخَذَ المِيثَاقَ عَلَى أُولِي العَزمِ: إنِّي رَبُّكُم، وَمُحَمَّدٌ رَسُولِي، وَعَلِيٌّ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ، وَأَوصِيَاؤهُ مِن بَعدِهِ وُلَاةُ أَمرِي، وَخُزَّانُ عِلمِي، وَأنَّ المَهدِيَّ أنتَصِرُ بِهِ لِدِينِي)[2].

وقد وردت الأخبارُ مُضافةً إلى مَا سَبقَ، بأخذِ المِيثاقِ على الأنبياءِ بولايةِ أَميرِ المُؤمنين، ومعرِفَةُ حقِّ الأئمَّة المَعْصُومين سَلامُ الله عليهم أجمعين، فروى ثِقةُ الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني رضي الله عنه بإسناده عن محمّد بن عبد الرَّحمن[3]، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (وُلَايَتِنَا وُلَايَةُ اللهِ الَّتِي لَم يُبعَثْ نَبِيٌّ قَطُّ إلَّا بِهَا)[4].

ورُوي في بصائر الدَّرجات بالإسنادِ عن حذيفة بن أُسيد[5] قال: قال

(١) الكافي: ٢/ ٨ ح ١، بصائر الدرجات: ٩٢ ح ١.

(٢) الكافي: ٢/ ٨ ح ١، بصائر الدرجات: ١٢٦ ح ١٤.

(٣) أبو عبد الرّحمن محمّد بن عبد الرّحمن بن أبي ليلى الأنصاري، مفتي الكوفة، وقاضيها، حدّث عن الشّعبي واخرون، توفي سنة ١٤٨ه، ينظر ترجمته: تذكرة الحفاظ: ١ / ١٧١، شذرات الذهب:١/ ٢٢٤، رجال ابن داود: ١٧٧.

(٤) الكافي: ١/ ٤٣٧ ح ٣.

(٥) أبو سريحة، حذيفة بن أسيد الغفاري صاحب النبي صلى الله عليه وآله، وهو من حواري الامام الحسن عليه السلام ينظر ترجمته: الرجال، الطوسي: ٣٥، الرجال، ابن داود: ٧٠، خاتمة المستدرك:٧/ ٢٧٢.

رَسُولُ الله ﷺ: (مَا تَكَامَلَت النُّبوَّة لِنَبِيٍّ فِي الأَظِلَّةِ حَتَّى عُرِضَت عَلَيهِ وُلَايَتِي، وَوُلَايَةُ أَهلِ بَيتِي، وَمُثِّلُوا لَهُ، فَأَقَرُّوا بِطَاعَتِهِم، وَوُلَايَتِهِم)[1].

وعن محمّد بن مسلم قال سمعتُ أبا جعفرٍ عليه السلام يقولُ: (إنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخَذَ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ عَلَى وُلَايَةِ عَلِيٍّ، وَأَخَذَ عَهدَ النَّبِيِّينَ بِوُلَايَةِ عَلِيّ)[2].

وعن عبد الأعلى[3] قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: (مَا نُبِيٌّ نُبِأَ قَطّ إلاَّ بِمَعرِفَةِ حَقِّنَا، وَبِفَضلِنَا عَلَى مَن سِوَانَا)[4].

وعن أبي بصير[5] عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (مَا مِن نَبِيٍّ نُبِأ، وَلاَ مِن رَسُولٍ أُرْسِلَ إلَّا بِوُلَايَتِنَا، وَبِفَضلِنَا عَلَى مَن سِوَانَا)[6].

و[١٠٠: ظ] عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: (وُلَايَتِنَا وُلَايَةُ اللهِ الَّتِي لَم يَبعَث نَبِيّاً قَطُّ إلَّا بِهَا)[7].

وعن الثُّمالي[8] عنه عليه السلام مثله، وعن محمّد بن.....

---

(١) بصائر الدرجات: ٩٣ ح ٧.

(٢) بصائر الدرجات: ٩٣ ح ٤.

(٣) اسم مشترك بين جمع من الرواة.

(٤) بصائر الدرجات: ٩٥ ح ٤.

(٥) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٦) بصائر الدرجات: ٩٥ ح ٥.

(٧) بصائر الدرجات: ٩٥ ح ٦.

(٨) ابو حمزة، ثابت بن دينار، الثمالي، ثقة، جليل القدر، صحب الإمام زين العابدين والإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الكاظم عليهم السلام وكان من خيار ألاصحاب

عبد الرَّحمن[1] عن أبي عبد الله عليه السلام مثله[2]، والأخبارُ في هذا الباب كثيرةٌ، ولعلَّ فيما ذُكِرَ كفايةٌ إنْ شاءَ اللهُ، وأمَّا سِمَاتُه المشهورة، وأعلامُ نبوَّته الواضحة، مِن مُعجزاته التي ظَهرَت حالَ النُّبوَّة، وقبلها، فشُهرتُها تُغنِي عن ذِكرِها، وقد اشتملَ كتابُ الخرائج والجرائح للقُطبِ الرَّاونديّ رحمه الله على كثيرٍ منها[3].

ومِنَ الرِّوايات الجامعةِ فيها، ما احتجَّ به أميرُ المُؤمنين عليه السلام على بعضِ أحبارِ اليهود، وقد ذكرها الشَّيخُ الطَّبرسي رحمه الله في الاحتجاج[4]، وما احتجَّ به مولانَا الكاظِمُ عليه السلام على اليهود - إذ كان طفلاً خماسيَّاً - ورواها الحِميريُّ رحمه الله في كتابِ قُربِ الإسناد[5].

وثقاتهم، ومعتمديهم في الرواية والحديث ومن خواصّ الامام الصادق عليه السلام، فقد روي عنه عليه السلام أنّه قال: (أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه) روى عن الامام زين العابدين، والباقر والصادق عليهم السلام، وعن جابر بن عبد اللهّ الأنصاري، وأبي رزين الأسدي، وعبد اللهّ بن الحسن، وروى عنه أبان بن عثمان والحسن بن محبوب ومحمّد بن مسلم، وله كتب منها: كتاب النوادر، وكتاب الزهد، توفي رحمه الله سنة ١٥٠ هـ، ينظر ترجمته: الرجال، البرقي: ٨، رجال الطوسي:١٢٩، الفهرست، الطوسي: ٩٠، خلاصة الأقوال: ٨٥، رجال ابن داود: ٥٩، التحرير الطاووسي: ٩٩، الكنى والالقاب: ٢/ ١٣٢، مستدركات علم رجال الحديث: ٢/ ٧٩.

(١) ينظر ترجمته في القسم الأول..

(٢) بصائر الدرجات: ٩٥ ح ٩.

(٣) ينظر: الخرائج والجرائح: ١/ ٢٣.

(٤) ينظر: الاحتجاج: ١/ ٣١٤.

(٥) قرب الاسناد: ٣١٧ ح١٢٢٨.

مولده ﷺ

وأمَّا مِيلادُه الكريم، فالمشهورُ بينَ الأصحابِ أنَّه اليوم السَّابع عشَر مِن شهرِ ربيعٍ الأوَّل، وقال محمّد بن يعقوب الكليني رضي الله عنه: (وُلِدَ النَّبيُّ ﷺ لاثنتي عشرة ليلةً مَضت مِن شهرِ ربيعٍ الأوَّل في عام الفيل، يومُ الجُمعة عِندَ الزَّوالِ، ورَوى أيضاً عِندَ طُلوعِ الفجرِ قبلَ أن يُبعَث بأربعينَ سنةً، وحَمَلَت به أُمُّه في أيَّامِ التَّشريق، ووَلَدتُه في شِعبَ أبي طالب في دار محمّد بن يُوسُف، في الزَّاويةِ القُصوى، عن يَسارِكَ، وأنت داخلٌ الدَّار، وقد أخرَجَت الخيزُران ذلك البيت، فصيَّرته مَسجِداً، يُصلِّي النَّاس فيه)[1] انتهى.

وذَكرَ أهلُ السِّير: (أنَّ هذه الدَّار كانت للنَّبيِّ ﷺ بالإرث، فوهبها لعقيل بن أبي طالب، ثُمَّ باعها أولادُ عقيل بعد أبيهم مِن محمَّد بن يوسف أخي الحجَّاج بن يُوسف، فاشتهرت بدار محمَّد بن يُوسف، فأدخلها محمّد في قصره الَّذي يُسمُّونه بالبيضاء.

ثُمَّ بَعدَ انقضاءِ دَولَةِ بني أُميَّة، أفرزتها خيزران أُم هارون الرَّشيد سنة حجَت فيها عن القصرِ، فجعلتها مسجِداً)[2].

وهَاهنا إشكالٌ مشهورٌ، وهو: إنَّه يلزمُ على ضبطه رضي الله عنه أن يكونَ لبثُه ﷺ في بطنِ أُمِّه إمَّا ثلاثةَ أُشهرٍ، أو سنةٍ، وثلاثةُ أشهرٍ، ولم يُنقلُ ذلك مِن خصائصه ﷺ.

---

(١) الكافي: ١/ ٤٣٩.

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ٢/ ٢٤٧، شرح أصول الكافي: ٧/ ١٤٢.

وأُجيبَ: بأنَّه مبنيٌّ على النَّسيء؛ وذلك أنَّ المُشركين كانوا يُؤخرُّون موسمَ الحَجِّ، فمرَّةً كانوا يَحجُّونَ في مُحرَّم، وأُخرى في صَفر، وهكذا لأغراضهم الباطلة، وكان حجُّهم في سنةِ ولادته ﷺ في جُمادى الآخرَة، ويُؤيدهمَا ما رواه ابن طاووس[1] في كتاب الإقبالِ: (أنَّه ﷺ حَمَلَت به أمّه في ثمانِ عشر مَضت مِن جُمادى الاخِر)[2]، واللهُ تعالى يعلمُ.

وقال القُطبُ الرَّاوندي رحمة الله عليه في القصص رُوي: أنَّه ﷺ وُلِدَ فِي السَّابعِ عَشَر مِن شَهرِ رَبيعٍ الأَوَّل عَامَ الفِيلِ يَومَ الإثنَينِ، وَقِيلَ: يَومُ الجُمعَةِ، وقال ﷺ: (وُلِدتُ فِي زَمَنِ المَلِكَ العَادِلِ - يعني انوشيروان بن قباد - قَاتِلُ مَزدَك، والزَّنَادِقَة)[3].

وقال السيِّدُ الجليلُ السيِّد محمَد[4] رحمه الله في كتابِ مدَارِكِ الأحكام:

---

(١) رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد الطاووس بن إسحاق بن محمد ابن سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى عليه السلام، المشهور بالسيد ابن طاووس من أعاظم العلماء الزهاد العباد الثقات المولود سنة ٥٨٩ه، ومن مصنّفاته: مهج الدعوات، والإقبال، وأمان الأخطار، وفتح الأبواب، توفي في ٥ ذي القعدة سنة ٦٦٤ه ينظر ترجمته: خاتمة المستدرك: ١/ ١٧١، مستدرك سفينة البحار: ٥/ ٢٥٠، الرسائل الرجالية، محمد بن محمد ابراهيم الكلباسي، تح: محمّد حسين الدرايتي: ٤/ ٣٤، الذريعة الى تصانيف الشيعة: ١/ ٥٨، ذيل كشف الظنون، آقا بزرگ الطهراني: ٥٣.

(٢) اقبال الاعمال، ابن طاووس، تح: جواد القيومي: ١/ ٣١٠.

(٣) قصص الأنبياء: ٣١٤ ح ٤٢٢.

(٤) السيد شمس الدين محمد بن علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي

المشهورُ بينَ الأصحابِ أنَّ يوم المولِد السَّابع عشر مِن ربيعٍ الأوَّل [1].

وقال الكليني رضي الله عنه: (إنَّه اليوم الثاني عشَر منه، وهو الَّذي صحَّحهُ الجمهور، ومالَ إليه جدِّي - قُدِّسَ سِرُّه - في حواشي القواعد، وليسَ في الباب روايةٌ تَصلُح لإثباتِ أحدِ القولين)[2].

ثُمَّ ذكروا روايةً تشملُ على عدَّةٍ مِنَ المجاهيل، والضُّعفاء، عن أبي الحَسَن الثالث عليه السلام تدلُّ على أنَّه اليوم السَّابع عشَر، وعلى استحبابِ صومه.

وأمَا كرمُ مِيلاده، فأظهرُ، وأَبهرُ مِنَ الشَّمسِ في رابِعَةِ النَّهار، وأيُّ كرَمٍ أجلُّ، وأعلى منه، وقد خَلَقَ اللهُ له صلى الله عليه وآله السَّماواتُ السَّبع، والأرضِين، وبَرَأَ الخلائق أجمعين، وأرسلهُ رحمةً للعالَمِين، وجعله نبيَّاً، وآدم بين الماءِ، والطِّين، ولنذكُر هاهنا شيئاً مِنَ الأخبارِ الواردَةِ في وُلادته صلى الله عليه وآله.

روى محمّد بن يعقوب الكليني رضي الله عنه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (نَزَلَ [١٠١: و] جبرئيل عليه السلام على النَّبيِّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا مُحَمَّد، إنَّ رَبُّكَ يُقرِؤكَ السَّلَام، وَيَقُولُ

الجبعي، الفقيه المحقق المدقق الزاهد، سبط الشهيد الثاني ٦٦، ولد في سنة ٩٤٦ه، وقد جعل كتابه (مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام) بمنزلة التتمّة للمسالك (للشهيد الثاني) لأنّه مختصر في العبادات ومطوّل في المعاملات، وتوفى ليلة السبت ١٨ ربيع الأول سنة ١٠٠٩ه في قرية جبع. ينظر ترجمته: خاتمة المستدرك: ٢/ ٨٥، تكملة أمل الآمل: ٣٥٦، أعيان الشيعة: ١٠/ ٦.

(١) ينظر: مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام، العاملي، تحـ: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث: ٦/ ٢٦٤.

(٢) الكافي: ١/ ٤٣٩.

إِنِّي قَد حَرَّمتُ النَّارَ عَلَى صُلبٍ أَنزَلَكَ،، وبَطنٍ حَمَلَكَ، وَحِجْرٍ كَفَلَكَ)[1].

فالصُّلب صُلبُ أبيه عَبْد الله بنْ عَبْد المُطَّلب، والبطنُ الَّذي حَمَلَك فآمِنَة بنت وَهب، وأمَّا حِجرٌ كَفلَك أبي طالب، وفي رُواية ابن فضَّال: وفاطمة بنت أسد.

وبالإسنادِ عن إسحاق بن غالب [2] عن أبي عبدالله عليه السلام في خُطبةٍ له يذكُرَ فيها حالَ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله، والأئمَّة عليهم السلام، وصفاتهم: (فَلَمْ يَمْنَعْ رَبّنا لِحِلْمِهِ، وَأَناتِهِ، وعَطْفِهِ مَا كَانَ مِنْ عَظيمِ جُرْمِهِم، وقَبيح أَفْعالِهِمْ، أَن انْتَجَبَ لَهُمْ أَحَبَّ أَنْبيائِهِ إِلَيْهِ، وأَكْرَمَهُمْ عَلَيْهِ مُحَمَّد بنْ عَبْدِ الله صلى الله عليه وآله فِي حَوْمَةِ العِزِّ مَوْلِدُهُ، وَدَوْمَةِ الْكَرَمِ مَحْتِدُهُ، غَيْرَ مَشُوبٍ حَسَبُهُ، وَلا مَمْزُوجٍ نَسَبُهُ، وَلا مَجْهُولٍ عِنْدَ اَهْلِ العِلْم صِفَتُهُ، بَشَّرَتْ بِهِ الْاَنْبياءُ في كُتُبِها، وَنَطَقَتْ بِهِ الْعُلَماءُ بِنَعْتِها، وَتَأَمَلَتْهُ الحكماءُ بِوَصْفِها، مُهَذّبٌ لا يُدانَي، هاشِمِيٌّ لا يُوارَى، اَبْطَحيٌّ لا يُسَامَى.

فِي شيمَتِهِ الْحَياءُ، وَطَبيعَتِهُ السَّخاءُ، مَجْبُولٌ عَلَى أَوْقَارِ النُّبُوةِّ، وأَخْلاقِها، مَطْبُوعٌ عَلَى أَوْصاف الرِّسَالَةِ، وأَحْلامِها، إِلى أن انْتَهَتْ بِهِ أَسْبابُ مَقادِيرِ الله

---

(١) الكافي: ١/ ٤٤٦ ح ٢١.

(٢) اسحاق بن غالب الأسدي، كوفي، والبي عربي صليب، ثقة، وأخوه عبد الله كذلك، كانا شاعرين، رويا عن الامام الصادق عليه السلام، ينظر: الرجال، النجاشي: ٧٢، خلاصة الأقوال: ٥٩، رجال ابن داود: ٤٨، نقد الرجال: ١/ ١٩٧، وسائل الشيعة: ٣٠/ ٣١٧.

إلّى أَوْقاتِهَا، وَجَرَى "بِأَمْرِ"[1] القَضَاءِ فيهِ إلى نهاياتِها، أَدّاهُ مُحْتُومُ قَضاءِ اللهِ إلى غاياتِها.

تُبَشّرُ بِهِ كُلُّ أُمَّةٍ مَنْ بَعْدَها، ويَدْفَعُهُ كُلُّ أَبٍ إلى أبٍ، مِنْ ظَهْرٍ إلى ظَهْرٍ، لَمْ يَخْلُطْهُ في عنْصِرِهِ سَفاحٌ، وَلَمْ يَبْخَسْهُ في ولادِتَهِ نِكاحٌ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إلى أَبيهِ عَبْدِالله، في خَيرِ فِرْقَةٍ، وَأَكْرَمِ سِبْطٍ، وَأَمْنَعِ رَهْطٍ، وَأَكلأ حَمْلٍ، وَأَوْدَعِ حِجْرٍ، اصْطَفاهُ اللهُ، وارْتَضاهُ، وَاجْتَباهُ، وآتاهُ مِنَ الْعِلْمِ مَفاتيحَه، وَمِنَ الحُكمِ يَنابيعَهُ.

ابْتَعَثَهُ رَحْمَةً لِلعِبادِ، وَرَبيعاً لِلْبِلادِ، وَأَنْزَلَ اللهُ إِلَيْهِ الكِتابَ، فيهِ البَيانُ، والتِبيانُ، قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يتَّقُونَ، قَدْ بَيَنَهُ لِلنّاسِ، وَنَهَجَةَ بِعِلْمٍ قَدْ فَصَّلَهُ، وَدينٍ قَدْ أَوْضَحَهُ، وَفَرائِضَ قَدْ أَوْجَبَها، وَحُدُودٍ حَدّها لِلنّاسِ، وبَيَّنَها، وَأُمُورٍ قَدْ كَشَفَها لِخَلْقِهِ، وأَعْلَنَها، فِيهَا دِلَالَةٌ عَلَى النَّجاةِ، وَمَعالِمُ تَدعُو إِلَى هُداهُ، فَبَلَّغَ رَسُولُ الله ﷺ مَا أُرسِلَ بِهِ، وَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ، وَأَدّى مَا حُمِّلَ مِنْ اَثْقَالِ النُّبُوّةِ، وَصَبَرَ لِرَبِهِ، وَجاهدَ في سَبِيلِهِ، وَنَصَحَ لِأُمَتِهِ، وَدَعَاهُم إِلَى النَّجَاةِ، وَحَثَّهُم عَلَى الذِّكرِ، وَدَلَّهُم عَلَى سَبِيلِ الهُدَى، بِمنَاهِجَ، ودَوَاعٍ أُسسٍ لِلعِبَادِ، وَمَنَارٍ رَفَعَ لَهُم أَعلَامَهَا، كَي لَا يَضِلُّوا مِن بَعدِهِ، وَكَانَ بِهِم رَؤوفاً رَحِيماً)[2].

توضيحٌ: حَومةُ الشَّيء: بالفتح مُعْظَمُه[3]، والدَّوم: ضِخامُ الشَّجر،

---

(١) في نسخة (ب): بأمر الله.

(٢) الكافي: ١/ ٢٠٣ ح ٢.

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (حوم).

واحدتها دَومَة، وقيل: شَجرُ المُقْل[1]، والمحْتِد، بكسر التَّاء: الأصل، وحتَد بالمكانِ: أقامَ به، وثَبَتَ[2]، ولا يُدانى، أي: لا يُقارَب، ولا يُسامى، أي: لا يغلبه أحدٌ في السُّموِّ، والرِّفعةِ، يقالُ: فلانٌ لا يُسامى، وقد علا مَن سَامَاه[3].

والشِّيمةُ: الخُلُق، والطَّبعُ[4]، والأوقار: جمعُ وَقِر بالكسِر، وهو: الحِملُ الثَّقيل، أو أَعمُّ[5]، والأحلامُ: (جمعُ حِلْم بالكسِرْ، وهوَ الإناءَة، والتَّثبُت في الأُمور)[6]، والسَّببُ: كُلُّ ما يُتوصَّلُ به إلى غيره[7]، وتأنيثُ الضَّمير في غاياتها، ونهاياتها باعتبار أفرادِ القضاءِ.

والعُنصر بضمِّ العينِ، وفتح الصَّاد، وقد تُضمُّ الصَّاد، والسِّبط بالكسر: القبيلةُ العظيمةُ[8]، وكلأه اللهُ كلاءَةً، أي: حَفظه، واحترسهُ[9]، والمَنارُ: جمعُ مَنارَة[10].

وروى الصَّدوق رحمه الله في أماليه بالإسنادِ عن أبان بن عثمان[11] عن أبي عبدالله

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، مادة (دوم).

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (حتد).

(٣) ينظر: تاج العروس، مادة (سمى).

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (شيم).

(٥) ينظر: المصدر نفسه، مادة (وقر).

(٦) عمدة القاري: ٢٤/ ٨٦.

(٧) ينظر: تاج العروس، مادة (سبب).

(٨) ينظر: المصدر نفسه، مادة (بسط).

(٩) ينظر: الصحاح، مادة (كلأ).

(١٠) النهاية في غريب الحديث والاثر: ٥/ ١٢٧.

(١١) أبان بن عثمان الأحمر البجلي، كوفي المسكن، بصري الأصل، كان ناووسيا، روى

الصَّادق عليه السلام قال: (كَانَ إِبلِيس لَعَنَهُ اللهُ يَخترِقُ السَّمَاوَاتِ السَّبعِ، فَلَمَّا وُلِدَ عِيسَى عليه السلام حُجِبَ [١٠٢: ظ] عَن ثَلَاثِ سَمَاوَاتٍ، وَكَانَ يَخترِقُ أَربَعِ سَمَاوَاتٍ، فَلَمَّا وُلِدَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله حُجِبَ عَن السَّبعِ كُلِّهَا، وَرُمِيَت الشَّياطِين بِالنُّجُومِ.

وَقَالَت قُرَيشٌ: هَذَا قِيَامُ السَّاعَةِ الَّذِي كُنَّا نَسمَعُ أَهلَ الكُتُبِ يَذكُرونَهُ، وَقَالَ عَمرُو بن أُمَيَّةَ، وَكَانَ مِن أَزجَرِ أَهلِ الجَاهِلِيَّةِ: انظُرُوا هَذِهِ النُّجومَ الَّتِي يُهتَدَى بِهَا، وَيُعرَفُ بِهَا أَزمَانَ الشِّتَاءِ، والصَّيفِ، فَإن كَانَ رُمِيَ بِهَا فَهوَ هَلَاكُ كُلِّ شَيءٍ، وَإن كَانَ ثَبَتَت، ورُمِيَ بِغَيرِهَا فَهوَ أَمرٌ حَدَث.

وَأَصبَحَت الأَصنَامُ كُلُّهَا صَبِيحَةَ وَلِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله لَيسَ مِنهَا صَنَمٌ إلَّا، وهوَ مُنكَبٌّ عَلَى وَجهِهِ، وَارتَجَسَ فِي تِلكَ اللَّيلَةِ إِيوانُ كِسرَى، وَسَقَطَت مِنهُ أَربَعَ عَشَرة شُرفَةً، وَغَاضَت بُحَيرَةُ سَاوَة، وَفَاضَ وَادِي السَّمَاوَة، وَخَمَدَت نِيرَانُ فَارِس، وَلَم تَخمَدُ قَبلَ ذَلِكَ بِأَلفِ عَامٍ.

وَرَأى المُؤبَذان فِي تِلكَ اللَّيلَةِ فِي المَنَامِ إِبِلاً صِعَاباً تَقُودُ خَيلاً عِرَاباً قَد قَطَعَت دِجلَةَ، وَانسَرَبَت فِي بِلَادِهِم، وَانقَصَمَ طَاقُ المَلِك كِسرَى مِن وَسَطِهِ، وَانخَرَقَت عَلَيهِ دِجلَةَ العَورَاءِ، وَانتَشَرَ فِي تِلكَ اللَّيلَةِ نُورٌ مِن قِبَلِ الحِجَاز، ثُمَّ استَطَارَ حَتَّى بَلَغَ المَشرِق، وَلَم يَبقَ سَرِيرٌ لِمَلِكٍ مِن مُلوكِ الدُّنيَا إلَّا أَصبَحَ مَنكُوساً، وَالمَلِكَ مُخرَساً لَا يَتَكَلَّم يَومَهُ ذَلِكَ، وَانتُزِعَ عِلمُ الكَهَنَةِ، وَبَطُلَ سِحرُ السَّحَرَةِ، وَلَم تَبقَ كَاهِنَةٌ فِي العَرَبِ، إلَّا حُجِبَت عَن صَاحِبِهَا، وَعَظُمَتْ

عن الامام الصادق والكاظم عليهما السلام، ممن أجمع على تصحيح ما يصح عنه، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ١٣، خلاصة الأقوال: ٧٤، رجال ابن داود: ٢٢٦.

قُرَيشٌ فِي العَرَبِ، وُسُمُّوا آلَ الله عَزَّ وَجَلَّ، قَال أَبُو عَبْدالله الصَّادق عليه السلام: إنَّمَا سُمُّوا آلَ الله؛ لأَنَّهُم فِي بَيتِ الله الحَرَامِ، وَقَالَت آمِنَةُ: إنَّ ابنِي، والله سَقَطَ فَاتَقَى الأَرضَ بِيَدِهِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ إلَى السَّمَاءِ فَنَظَرَ إلَيهَا، ثُمَّ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَيءٍ، وَسَمِعتُ فِي الضَّوءِ قَائلاً يَقُولُ: إنَّكِ وَلَدتِ سَيِّدَ النَّاسِ، فَسَمِّيهِ مُحَمَّداً، وَأُتِيَ بِهِ عَبدُ المُطَلِبِ لِينظُرَ إلَيهِ، وَقَد بَلَغَهُ مَا قَالَت أُمُّه، فَأَخَذَهُ فَوَضَعَهُ فِي حِجرِهِ، ثُمَّ قَالَ [1]:

الحَمدُ للهِ الَّذِي أَعطَانِي هَذَا الغُلَامَ الطَّيِّبِ الأَردَانِ

قَد سَادَ فِي المَهدِ عَلَى الغِلمَانِ

ثُمَّ عَوَّذَهُ بِأَركَانِ الكَعبَةِ، وَقَالَ فِيهِ أَشعَاراً، قَالَ: وَصَاحَ إبلِيسُ لَعَنَهُ الله فِي أَبَالِسَتِهِ، فَاجتَمَعُوا إلَيهِ، فَقَالُوا: مَا الَّذِي أَفزَعَكَ يَا سَيِّدَنَا؟ فَقَالَ لَهُم: وَيلَكُم، لَقَد أَنكَرتُ السَّمَاءَ، والأَرضِ مُنذُ اللَّيلَةِ، لَقَد حَدَثَ فِي الأَرضِ حَدَثٌ عَظِيمٌ، مَا حَدَثَ مِثلَهُ مُنذُ رُفِعَ عِيسَى بِن مَريَمَ عليه السلام فَاخرُجُوا، وانظُرُوا مَا هَذَا الحَدَث الَّذِي قَد حَدَثَ، فَافتَرَقُوا ثُمَّ اجتَمَعُوا إلَيهِ، فَقَالُوا: مَا وَجَدنَا شَيئاً، فَقَالَ إبلِيس لَعَنَهُ الله: أَنَا لِهَذَا الأَمرِ، ثُمَّ انغَمَسَ فِي الدُّنيَا، فَجَالَهَا حَتَّى انتَهَى إلَى الحَرَم، فَوَجَدَ الحَرَم مَحفُوظاً بِالمَلَائكَةِ، فَذَهَبَ لِيَدخُل، فَصَاحُوا بِهِ فَرجَعَ، ثُمَّ صَارَ مِثلَ الصِّر - هُوَ العصفور- فَدَخَلَ مِن قِبَل حِرَاء، فَقَالَ لَهُ جَبرَئِيل: وَرَاءكَ لَعَنَكَ اللهُ، فَقَالَ لَهُ: حَرفٌ أَسأَلُكَ عَنهُ يَا جَبرَئِيل، مَا هَذَا

---

(١) ينظر: الأمالي، الشيخ الصدوق: ٣٦١، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٢٩، مستدرك سفينة البحار: ٥/ ٤٣٢.

الحَدَث الَّذِي حَدَثَ مُنذُ اللَّيلَة فِي الأَرضِ؟ فَقَالَ لَهُ: وُلِدَ مُحَمَّد ﷺ، فَقَالَ لَهُ: هَل لِي فِيهِ نَصِيبٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَفِي أُمَّتِهِ، قَالَ: نَعَم، فقالَ: رَضِيتُ)[1].

بيان: الزَجْر بالزَّاي المفتوحة، ثُمَّ الجيم السَّاكنة، ثُمَّ الرَّاء، العِيافَة: وهو نوعٌ مِن الكَهانَةِ، وهو التيمُّن، والتَّشؤّم، والتَّفؤّل بطيران الطَّيرِ، ونحوه، كانوا إذا رأوا طائراً أو ظبياً، سنح أو برح، أو غير ذلك [2]، قالوا: ينبغي أن يكون كذا[3].

والبارح: الَّذي يُولِّيكَ ما يَسرُّه، يمرُّ عن ميامنك إلى مياسرك، والعربُ تتطيَّر بالبارح، وتتفاءَلُ بالسَّانح [4]؛ لأنَّه لا يُمكنُك أن ترميه حتَّى تنحرف، والسَّانح عكسُ البارح، وفي المَثَل: مَنْ لي بالسَّانح بعدَ البارحِ [5].

والرِّجْسُ: بالفتحِ، الصَّوتُ الشَّديد مِن الرَّعد، وغيره، ومثله الإرتجاس[6]، قال ابن الأثير في حديث سُطَيْح: (لَمَّا وُلِدَ رسولُ اللهِ ﷺ

---

(١) الامالي، الشيخ الصدوق: ٣٦٠ -٣٦٢ ح ٤٤٤، وينظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٢/ ٢٠١، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٢٩.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (زجر).

(٣) ينظر: كتاب العين، مادة (عيف).

(٤) ينظر: خزانة الأدب: ٧/ ١٨٩.

(٥) وقصتهُ أَن رجلا مرت بِهِ ظباءٌ بارحةٌ فكرهها وَأَرَادَ أَن يرجع عَن حَاجته فَقيل لَهُ امْضِ فِي وَجهك فَإِنَّهَا ستمر بك سانحةً فَمضى وَجعل يَقُول: من لي بالسانح بعد البارح، ينظر: مجمع الامثال: ٢/ ٣٠١، جمهرة الأمثال: ٢/ ٢٥٩.

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة (رجس).

إرتجس إيوانُ كِسْرى، أي: [١٠٣: و] اضطرب، وتحرَّك حركةً سُمِعَ لها صَوْتٌ)[١]، وغاضَ الماءُ، بالغين، والضَّاد المُعجَمَتين، أي: نضَب، وقلّ[٢]، وقال ابن الأثير: ومنه حديثُ سُطَيْح: (وغَاضَت بُحَيرَة سَاوه)[٣]، أي: غارَ ماؤها، وذَهَب.

والسَّماوة، بالفتح: موضِعٌ بين الكوفة، والشَّام[٤]، وقال في العين هي: (فلاةٌ بالبادية، تتصل بالشَّام، ودجلة العوراء مِن أبنية كسرى، كان بناها على الدِّجلة)[٥]، كما يظهرُ مِن بعض كتب السيرِّ.

وقد ذكرَ ابن الأثير في الكامل قصَّة بنائها، وانخراقها[٦].

والمُؤبَذان: بضمِّ الميم، وفتح الباء الموحّدة: فقيهُ الفُرس، وحاكِمُ المَجوس، كالمُؤْبَذ [٧].

وانْسَرَبَ الثعلب في جُحْرِه، أي: دخل، ويُقال: (سَرِّبْ عَلَيَّ الإبل، أي:

---

(١) النهاية في غريب الحديث والاثر: ٢/ ٢٠١.

(٢) ينظر: تاج العروس، مادة (غيض).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٤٠١.

(٤) معجم البلدان: ٣/ ٢٤٥.

(٥) الكلام غير موجود في كتاب العين، لكن نجد ابن شهر آشوب ينقله عن الخليل في: مناقب آل ابي طالب: ١/ ٢٥، وكذلك صاحب البحار ينقل عنه أيضا في بحار الانوار: ١٥/ ٢٥٩.

(٦) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ١/ ٤١٩.

(٧) ينظر: القاموس المحيط، مادة (مؤبذ).

أَرْسلْها قِطْعَةً قطعةً)[1]، والرُّدْن بالضمِّ: أصلُ الكُم، والجمعُ أردان[2]، وحري كعليّ: جبلٌ بمكَّة معروف، فيه الغار، نقله صاحِبُ القاموس[3] عن عيّاض، وقال الجوهري، وغيره: أنَّه بالكسرِ، والمدِّ، يُذكَّر، ويُؤنَّث[4].

وفيه بالإسناد عن سريع البارقي[5]، قال سَمِعتُ جعفر بن محمّد عليهما السلام يقولُ: (لَمَّا وُلِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وُلِدَ لَيلاً، فَأَتَى رَجُلٌ مِن أَهلِ الكِتَابِ إلَى المَلأ مِن قُرَيشٍ، وَهُم مُجتَمِعُونَ: هِشَام بِن المُغيرَة[6]، والوَليدُ بِن المُغيرَة[7]،

(١) الصحاح، مادة (سرب).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ردن).

(٣) القاموس المحيط، مادة (حرى): ٤/ ٣١٦.

(٤) الأمالي، الشيخ الطوسي: ١٤٦ ح ٢٣٩، الصحاح، مادة (حرى).

(٥) محمد بن عباد بن سريع البارقي، من أصحاب الامام الصادق عليه السلام وروى عنه، ينظر ترجمته في: الرجال، الشيخ الطوسي: ٢٨٩، نقد الرجال: ٤/ ٢٣٦، خاتمة المستدرك: ٩/ ٦١، مستدركات علم رجال الحديث:٧/ ١٤٩، معجم رجال الحديث: ١٧/ ٢٠٧.

(٦) أبو عثمان، هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، كان من أكابر العرب في الجاهلية من أهل مكة، وكانت قريش وكنانة ومن والاهم يؤرخون بثلاثة أشياء: بناء الكعبة، وعام الفيل، ثم بموت هشام، وهو قريب عهد من البعثة النبوية وكان ابنه الحارث بن هشام من الصحابة توفي سنة ١٨هـ، ينظر ترجمته: أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر، تحـ: د. محمد حميد الله: ١٠/ ١٧٢، حلية الأبرار: ١/ ٣٧، تاريخ مدينة دمشق: ١١/ ٤٩٧، الأعلام: ٨/ ٨٨.

(٧) أبو عبد شمس، الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ولد سنة (٩٥ ق هـ). كان من قضاة العرب في الجاهلية ومن زعماء قريش ومن زنادقتها. وكان من المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وآله أدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه

وعُتبَـة[1]، وَشَـيبَة[2]، فَقَـالَ: أَوُلِـدَ فِيكُـم اللَّيلَـةُ مَولُـودٌ، قَالُـوا: لا، وَمَـا ذَاكَ؟ قـال: لَقَـد وُلِـدَ فِيكُـم اللَّيلَـة أَو بِفِلَسطِين مَولُـودٌ اسمُهُ أَحمَـد، بِـهِ شَـامَةٌ، يَكُـونُ هَـلَاكُ أَهـلِ الكِتَـابِ عَـلَى يَدَيـهِ.

فَسَـأَلُوا؟ فَأُخـبِرُوا، فَطَلَبُـوهُ، فَقَالُـوا: لَقَـد وُلِـدَ فِينَـا غُـلَامٌ، فَقَـالَ: قَبـلَ أَن أُنَبِّئَكُـم أَو بَعـدُ، قَالُـوا: قَبـلُ، قَـالَ فَانطَلِقُـوا مَعِـي أَنظُـرُ إِلَيـهِ، فَأَتَـوا أُمَّـهُ وَهـوَ مَعَهُـم، فَأَخبَرَتهُـم كَيـفَ سَـقَطَ، وَمَـا رَأَت مِـنَ النُّـورِ، قَـالَ اليَهُـودِي: فَأَخرِجِيـهِ، فَنَظَـرَ إِلَيـهِ،

وقـاوم دعوتـه، وهـو الـذي جمـع قريشـا وقـال: إن النـاس يأتونكم أيـام الحج، فيسـألونكم عـن محمـد، فتختلـف أقوالكـم فيـه، فيقـول هـذا: كاهـن، ويقـول هـذا: شـاعر، ويقـول هـذا: مجنـون، وليـس يشـبه واحـدا ممـا يقولـون، ولكـن أصلـح مـا قيـل فيـه: (سـاحر) لأنـه يفـرق بـين المـرء وأخيـه، والـزوج وزوجتـه، هلـك بعـد الهجـرة بثلاثـة أشـهر، وهـو والـد خالـد بـن الوليـد، ينظـر ترجمتـه: أنسـاب الأشـراف: ١/ ٥٢، حلية الأبـرار: ١/ ٣٦، الأعـلام:٨/ ١٢٢، المحبر، محمـد بـن حبيـب البغـدادي: ١٣٢.

(١) أبـو الوليـد، عتبـة بـن ربيعـة بـن عبـد شـمس ابـن عبـد منـاف بـن قـصي بـن كلاب مـن كبـراء قريـش في الجاهليـة، أدرك الاسـلام وطغـى فشـهد بـدرا مـع المشركـين، وكان ضخـم الجثـة، عظيـم الهامـة، طلـب خـوذة يلبسـها يـوم بـدر فلـم يجـد مـا يسـع هامتـه فاعتجـر عـلى رأسـه بثـوب لـه، فقتلـه أمـير المؤمنـين عليه السلام، والحمـزة وعبيـدة بـن الحـارث سـنة ٢ هـ، ينظـر ترجمتـه: أنسـاب الأشـراف: ١/ ١٥١، حليـة الأبـرار: ١/ ٣٨، الأعـلام: ٤/ ٢٠٠.

(٢) أَبُـو هاشـم، شـيبة بـن ربيعـة بـن عبـد شـمس بـن عبـد منـاف بـن قـصي بـن كلاب مـن كبـراء قريـش في الجاهليـة، أدرك الاسـلام، وقتـل عـلى الوثنيـة فشـهد بـدرا مـع المشركـين، فـكان الامـام عـلي عليه السلام قـد أعـان عبيـدة بـن الحـرث بـن عبـد المطلـب عـلى شـيبة بـن ربيعـة، فقتلـه سـنة ٢ هـ، ينظـر ترجمتـه: نسـاب الأشـراف: ١/ ١٥٢، أسـد الغابـة في معرفـة الصحابـة: ٤/ ١٢٤، الأعـلام: ٣/ ١٨١، حليـة الأبـرار: ١/ ٣٨.

وَنَظَرَ إِلَى الشَّامَةِ، فَخَرَّ مَغشِيّاً عَلَيهِ، فَأَدخَلَتْهُ أُمُّهُ، فَلَمَّا أَفَاقَ، قَالُوا لَهُ: وَيلَكَ مَالَكَ، قَالَ ذَهَبَت نُبوَّة بَنِي إسرَائيلَ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ، هَذَا، والله مُبِيرَهُم، فَفَرِحَت قُرَيشٌ بِذَلِكَ، فَلَمَّا رَأى فَرَحَهُم، قَالَ: وَالله لَيَسطُونَّ بِكُم سَطْوَةً، يَتَحَدَّثُ بِهَا أَهلُ الشَّرقِ، وأَهلُ الغَربِ)[1]، والأخبارُ في هذا الباب كثيرة.

تتمَّةٌ: رُوي في كتاب معاني الأخبار بالإسنادِ عَنْ عَبْدالله بن مْسكان[2] قال: قال أبو عَبْدالله عليه السلام: (إِنَّ فَاطِمَةَ بِنتِ أَسَد رَحِمَهَا اللهُ جَاءَت إِلَى أَبِي طَالِب رحمه الله تُبَشِّرُه بِمَولِدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ لَهَا أَبُو طَالِب: اصبِرِي لِي سَبتاً آتِيكِ بِمِثلِه إلَّا النُّبوَّة، وَقَالَ: السَّبتُ ثَلَاثُونَ سَنَةً، وَكَانَ بَينَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله، وأَمِيرُ المُؤمنِينَ عليه السلام ثَلَاثُونَ سَنَة)[3].

﴿وأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْواءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطرائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ﴾[4]

المِلَّةُ: الدِّينُ، والشَّريعة[5]، والهوى: مقصوراً، ميلُ النَّفسِ إلى شيءٍ، وما

---

(١) الامالي، الشيخ الطوسي: ١٤٦.

(٢) أبو محمد، عَبْدالله بن مْسكان، ثقة عدل، عين، من أصحاب الإجماع. روى عن الامام الصادق والكاظم عليهما السلام، له كتب، منها: الإمامة، وكتاب في الحلال والحرام، ينظر: الرجال، النجاشي: ٢١٤، الفهرست، الشيخ الطوسي: ١٦٨، الولاية الإلهية الإسلامية، الشيخ محمد المؤمن القمي: ١/ ٤٦.

(٣) معاني الأخبار: ٤٠٣ ح ٦٨.

(٤) نهج البلاغة: ٣١ خ١.

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (ملل).

أحبته[1]، والجمع الأَهْواء، وَالطَّرائق: جمعُ طريقةٍ، وهي: الحالةُ، وطريقةُ الرَّجل مذهبه[2]، والتَّشتُت: التفرُّق، والانتشار، وقومٌ شتَّى، أي: مُتفرِّقون[3].

وحملُ المِلَلِ، والأهواءِ، والطَّرائق على المُبتدأ، أمَّا على المُبالَغة، أو على حذفِ مُضافٍ، أي: هُم ذُوو مِلَل، وأَهواء، وطرائق، أو على تقديرِ مُبتدأ، أي: مِللهُم مِلَلٌ مُتفرِّقةٌ، وهكذا، والمعنى: هُم مثل طرائق في الاختلاف، وذِكرُ الأهواءِ، والطَّرائق بعدَ المِلل يجري مَجرى التأكيد، والمِلل: ما سنَّه نَبِيٌّ، وإن نُسِخَ بعضُها، والأهواءُ: ما يُمَيِّلُ طبائعهم، والطَّرائقُ أَعمُّ منهُما، والأهواءُ: ما وضعوه لغرضٍ دُنيويٍّ، والطَّرائق: ما ليس كذلك.

تفصيل ملل اهل الجاهليّة

﴿بَيْنَ مُشَبِّهٍ لله بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ في اسْمِهِ، أَوْ مُشرٍ إلى غَيْرِهِ﴾[4]

الإلحادُ في الأصلِ: المَيلُ، والعُدولِ عن الشَّيء، والإنحرافُ عن الإستقامة، ومنه: اللَّحدُ الَّذي يُحفَر في جانبِ القبرِ، خِلافُ الضَّريح الَّذي يُحفرُ في وسطه[5]، ويطلقُ على المِراء، والجِدَال، والكَلام، تفصيلٌ للمِلَل،

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٧/ ١٦٦.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (طرق).

(٣) ينظر: الصحاح، مادة (شتت).

(٤) نهج البلاغة: ٣١ خ١.

(٥) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٤/ ٣٩٧، لسان العرب، مادة (لحد)، تاج العروس، مادة (لحد).

والأهـواءِ [١٠٤: ظ] "المُتفرِّقـة "[١].

أمَّا المُشبِّهةُ لله بخلقِه، فمنهم اليهود، إذ قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ الله﴾[٢].

ورُوي في الاحتجـاج في حديـثٍ طويـلٍ، عـن الحسـن العسـكري، عـن الصَّـادق، عـن آبائـه، عـن أمـيرِ المُؤمنـين عليه السلام: (إنَّ رَسـول الله صلى الله عليه وآله احتَـجَّ عَلَيهِـم بَعـدَ كَلَامٍ بِأَنَّـهُ إن كُنتُـم تريـدون بِالنُبُـوّةِ الـوُلَادَةَ عَـلَى سَـبِيلِ مَـا تُشَـاهِدُونَهُ فِي دُنيَاكُـم هَـذِهِ مِـن وِلَادَة الأُمَهَـاتِ الأَولَادِ بِـوَطِءْ آبائهـم لَهُـنَّ، فَقَـد كَفَرتُـم بِـالله، وشَـبَهّتُموهُ بِخَلقِـهِ، وَأوجَبتُـم فِيـهِ صِفَـاتَ المُحدَثِـين، وَوَجَـبَ عِندَكُـم أَن يَكـونَ مُحدَثَـاً مَخلُوقَـاً، وَأن يَكُـونَ لَـهُ خَالِـقٌ صَنَعَـهُ، وابتَدَعَـهُ، قَالُـوا: لَسـنَا نَعنِـي هَـذَا، فَـإِنَّ هَـذَا كُفـرٌ كَـمَا ذَكَـرتَ، وَلَكِنَّـا نَعنِـي: أَنَّـهُ ابنُـه عَـلَى مَعنَـى الكَرَامَـةِ، وَإِن لَم يَكُـن هُنَـاكَ وُلَادَةٌ، كَـمَا يَقُـولُ بَعـضُ عُلَمَائِنَـا لِمَـن يُرِيـدُ[٣] إِكرَامُـه، وإبانتُـه بِالمَنزِلَـةَ عَـن غَـيرِه: يَـا بُنِـي، وَإِنَّـه ابنِـي، لَا عَـلَى إِثبَـاتِ وُلَادَتِـه مِنـهُ؛ وَلِأَنَّـهُ قَـد يَقـولُ ذَلِـكَ لِمَـن هـوَ أَجنَبِـيٌّ لَا نَسَـبَ بَينَـهُ، وبينَـهِ، وَكَذلِـكَ لَمَّـا فَعَـلَ اللهُ بِعُزَيـرٍ مَـا فُعِـلَ كَانَ قَـد اتخَـذَهُ ابنَـاً عَـلَى الكَرَامَـةِ لَا عَـلَى الـولَادَةِ، فقـال رسُـولُ الله صلى الله عليه وآله: فَهَـذَا مَـا قُلتُه لَكُـم: إِنَّـه إِن وَجَـبَ عَـلَى هَـذا الوَجـهُ أن يَكُـونَ عُزَيـرٌ ابنُـه، فَـإِنَّ هَـذِه المَنزِلَـةُ لِمُوسَـى أَولَى، وَإِنَّ اللهَ يَفضَـحُ كُلَّ مُبطِـل بِإِقـرَارِه، وَيَقلِـبُ حُجَّتُـه عَلَيـهِ، إِنَّ مَـا

---

(١) في نسخة (ب): المنفرقة.

(٢) من قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِّ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِّ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُّ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ التوبة: ٣٠.

(٣) في نسخة (ب): نريد.

احتَجَتُم بِهِ يُؤدِّيكُم إلَى مَا هُوَ أَكبَرُ مِمَّا ذَكَرتُهُ لَكُم، لأَنَّكُم قُلتُم: إنَّ عَظِيماً مِن عُظَمَائكُم قَد يَقولُ لأجنَبِيٍّ لَا نَسَبَ بَينَهُ، وبَينِه: يا بُنَي، وَهَذَا ابنِي، لَا عَلَى طَرِيقِ الوُلَادَةِ، فَقَد تَجِدُونَ أيضاً هَذَا العَظِيمُ يَقولُ لِأجنَبِيٍّ آخَر: هَذَا أَخِي، وَلِآخَر: هَذَا شَيخِي، وأَبِي، وَلِآخَر: هَذَا سَيِّدِي، وَيَا سَيِدِي عَلَى سَبِيلِ الإكرَامِ، وَإِنَّ مَن زَادَهُ فِي الكَرَامَةِ زَادَهُ فِي مِثلِ هَذَا القَولِ، فَإِذاً يَجُوزُ عِندَكُم أن يَكُونَ مُوسَى أَخَاً لله أَو شَيخاً لَهُ، أَو أَباً أو سَيِّدَاً؛ لأَنَّه قَد زَادَه فِي الإكرامِ مِمَا لِعُزَيرٍ، كَمَا أَنَّ "إذَا"[1] زَادَ رَجُلًا فِي الإِكرَامِ قَالَ لَهُ: يَا سَيِّدِي، ويَا شَيخِي، ويَا عَمِّي، وَيَا رَئِيسِي، عَلَى طَرِيقِ الإِكرَامِ، قَالَ: فَبَهُتَ القَومُ، وتَحَيَّرُوا، وَقَالُوا: يَا مُحَمَّد، خَلِّنَا نَتَفَكَّر فِيمَا قُلتَ لَنَا، فَقَالَ: انظُروا فِيهِ بِقُلوبٍ مُعتَقِدَة لِلإنصَافِ يَهدِكُم الله)[2] انتهى احتجاجه ﷺ عليهم.

فاليهودُ إن قالوا بذلك على سبيلِ الحقيقةِ كانوا مِن المُشبِّهَة، وإن قالوا به على سبيلِ التَّجوُّز الَّذي ذُكِرَ، فيُمكن إدخالُهم في المُلحِدين في أسمائه، كما سيجيئ إنْ شاءَ اللهُ، ويُحتملُ إدخالهم في المُشبِّهة، فإنَّ في هذا الإطلاق نوعاً مِنَ التَّشبيه.

ومنهم النَّصارى: إذ قالوا: المَسيحُ ابنُ الله، وقالوا باتحاده سُبحانه بالمسيح، أو الحُلولِ فيه، وفي احتجاجه ﷺ عليهم في الرِّواية المذكورة، أنَّه قال لهم: (أنتُم قُلتُم: إنَّ القَديمَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّحَدَ بِالمَسِيحِ عليه السلام ابنُهُ، فَمَا الَّذِي أَردتُمُوه بِهَذَا القَولِ؟ أَردتُم أنَّ القَدِيمَ صَارَ مُحَدَثاً لِوُجودِ هَذَا المُحدَثِ الَّذِي هُوَ عِيسَى، أَو

(١) في المصدر: من.

(٢) الاحتجاج: ١/ ١٧.

المُحدَث الَّذِي هُوَ عِيسَى صَارَ قَدِيماً، لِوُجُودِ القَدِيمِ الَّذِي هُوَ الله.

أَو مَعنَى قَولُكُم: إِنَّهُ اتَّحَدَ بِهِ بِأَن اختَصَّهُ بِكَرَامَةٍ لَم يُكَرِّم بِهَا أَحَداً سِوَاهُ، فَإِن أَرَدتُم أَنَّ القَدِيمَ تَعَالَى صَارَ مُحدَثاً فَقَد أَبطَلتُم، لأَنَّ القَدِيمَ مُحَالٌ أن يَنقَلِب فَيَصِيرَ مُحدَثاً، وَإِن أَرَدتُم أَنَّ المُحدَث صَارَ قَدِيماً فَقَد أَحلتُم، لأَنَّ المُحدَث مُحَالٌ أن يَصِيرَ قَدِيماً، وَإِن أَرَدتُم: أَنَّهُ اتَّحَدَ بِهِ، بِأَنَّهُ اختَصَّهُ، واصطَفَاهُ عَلَى سَائِرِ عِبَادِهِ، فَقَد أَقرَرتُم بِحُدوثِ عِيسَى، وَبِحُدُوثِ المَعنَى الَّذِي اتَّحَد بِهِ مِن أجلِهِ، لأَنَهُ إِذَا كَانَ عِيسَى مُحدَثاً، وَكَانَ اللهُ اتَّحَد بِهِ بِأن أَحدَثَ بِهِ مَعنَىً صَارَ[1] أَكرَمَ الخَلقِ عِندَهُ، فَقَد صَارَ عِيسَى، وذَلِكَ المَعنَى مُحدَثَين، وَهَذَا خِلَافُ مَا بَدَأتُم تَقُولُونَه، قال: فقالت النَّصارى: يا مُحَمَّد: إنَّ الله تعالى لَمَّا أظهرَ على يد عيسى مِن الأشياءِ العجيبة ما أظهرَ، فقد اتخذه ولَداً [١٠٥: و] على جِهةِ الكرامة، فَقَالَ لَهُم رَسُولُ الله ﷺ: فَقَد سَمِعتُم مَا قُلتُهُ لِليَهودِ فِي هَذَا المَعنَى الَّذِي ذَكَرتُمُوه)[2].

ومنهم: طائفةٌ مِن عَبَدَةِ الأصنام، الَّذين قالوا: إنَّا إنَّما نَعبُدُ أصنامنا؛ لأنَّ اللهَ تعالى قد حلَّ في هياكل رجالٍ كانوا على هذه الصُّورِ، فصوَّرنا هذه الصُّور، فنُعظِّمُها لتعظيمنا تلك الصُّور التي حلَّ فيها ربُّنا[3]، وقد أبطل رسولُ الله ﷺ قولهم في الرِّواية المذكورة: بإنَّ الحلول مِن صفاتِ المَخلوقينَ، واللهُ سبحانه مُنَزَّهٌ عنها، وظاهر قوله عليه السلام في خُطبة الأشباحِ: ﴿كَذَبَ

(١) في نسخة (ب): صار به.

(٢) الاحتجاج: ١٧-١٨.

(٣) ينظر: الاحتجاج: ٢٢.

الْعادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنامِهِمْ، وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهامِهِمْ ﴾[1]، إنَّ طائفةً مِن عَبَدَة الأوثانِ زعموها صُوراً له سُبحانه، فيكونُونَ مِنَ المُشبِّهينَ مِن هذا الوجهِ ومنهم: المُجَسِّمة، وكان منهم أُميَّة بن أبي الصَّلت[2]، يقولُ: (بِأنَّ اللهَ تعالى جالسٌ فوقَ عرشه، قد حطَّ رجليه إلى كُرسيِّه المنصوب)[3].

وقد حذا حذوهم مِن أُمَّة نبيِّنا ﷺ طوائفٌ كثيرةٌ، حيثُ جوَّزوا عليه الانتقال، والحركة، والحلول في أجسام، والمُصافحة، والمُعانقة للأولياء المُخلِصين، وجوَّزوا عليه الرُّؤية، وتفاصيلُ أقوالهم الباطلة مذكورةٌ في كُتب المقالات.

وأمَّا المُلحدُونَ في اسمه، فقيل: إنَّهم عَبَدَةُ الأوثان الَّذين اشتقُّوا لأصنامهم أسماً مِن أسماءِ الله تعالى، كاشتقاق اللَّات مِنَ اللهِ، والعُزَّى مِنَ

---

(١) نهج البلاغة: ١٥٩ خ ٩٠.

(٢) أمية بن عبيد الله بن ربيعة المكنى بابى الصلت وأمه رقية بنت عبد الشمس، الثقفي من أهل الطائف من أكبر شعراء الجاهلية وأغلب شعره متعلق بالآخرة كان ينظر في الكتب المتقدمة ويقرؤها وحرم الخمر وشك في الأوثان ورغب عن عبادتها والتمس الدين وأخبر أن نبيا يخرج. قد أظل زمانه وكان يؤمل أن يكون ذلك النبي فلما بعث النبي وبلغ خبره كفر به حسدا لم يتبعه وصار إلى موالاة المشركين. وعندما امن قال فيه السيوطي: (آمن شعر أمية بن أبي الصلت وكفر قلبه) مات في الطائف بسبب المرض سنة: ٦٣٠ه، ينظر ترجمته: تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، ابن شعبة الحراني: ٤٥٦، عمدة القاري: ١٨/ ٢٣٧، الجامع الصغير، السيوطي: ١/ ٨.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١/ ١٢٠.

العزيـز، والمَنَـاة مِـنَ المنَّـان[1].

وقـد كان مِـن عَبَـدَة الأصنـامِ طائفـةٌ يزعمـون: إنَّهـا صُـور أقـوامٍ سَـلفُوا مِـنَ الصَّالحـين المُطيعـينَ لله، فمَثّلـوا صُورهُـم، وعَبدُوهُـم تعظيـماً لله تعـالى.

وقـال آخـرون: إنَّ اللهَ تعـالى لَمَّـا خَلَـقَ آدم، وأمـرَ الملائكـةَ بالسُّـجودِ لـه، كنَّـا نَحـنُ أحـقُّ بالسُّـجودِ لـه مِـنَ الملائكـة، ففاتنـا ذلـك فصَّورنـا صُورتـه، فسَـجَدنا لهـا تقرُّبـاً إلى الله تعـالى، كـما تقرَّبـت الملائكـة بالسُّـجودِ لآدم إلى الله تعـالى[2]، واحتجاجـه ﷺ عـلى الطَّائفتـين مذكـورٌ في الرُّوايـة المذكـورة.

وقيـل: الإلحـادُ في اسـمه، وهـو تسـميته الله سـبحانه بـما لا يجـوز تسـميته بـه، كتسـميته - أبـاً- للمسـيح، وعُزيـر[3]، وإطـلاقُ لفـظِ الحـالِّ، والمُتحِـد بالغـير عليـه سـبحانه، أو تسـميته سُـبحانه بـكُلِّ مـا لم يَـرِد فيـه إذنٌ شَرعـيٌّ، وإن لم يُنْـهَ عنـه عـلى الخصوص.

وعـلى هـذا يصـيرُ المُشـبِّهُون داخلـينَ في المُلحِدِيـن، وتداخُـلِ الأقسـام، وإن لم يـضرَّ، لكـنَّ الأوَّل أولى.

وقيـل: الإلحـادُ في اسـمه، هـو إطـلاقُ اسـمائه سُـبحانه عـلى غـيره، كتسـميةِ الأصنـامِ آلهـة، وتسـمية المسـيلمة بالرَّحمـن، ونحـو ذلـك، ولا يخفـى أنَّ إدخـال مَـن زَعَـمَ الصَّنـم إلهـاً عـلى الحقيقـةِ في المُشـير إلى غـيره أولى.

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٠٧.

(٢) ينظر: الاحتجاج: ٢٢.

(٣) ينظر: تفسير جوامع الجامع: ١/ ٧٢٤، التفسير الكبير: ١٥/ ٧١

والوجوه الثلاثة ذكرها المُفسِّرون[1] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]، ولعلَّ الأظهرَ في تفسير الآية، هو الوجهُ الثاني، واللهُ تعالى يعلم.

وأمَّا المُشيرونَ إلى غيره، فمنهم عَبَدَةُ الأوثانِ، لو قالوا بأنَّ هذا الجسم المنحوت هو الخالِقُ للعَالَم، وقد استعبدَ طائفةٌ أن يقولَ أحدٌ به للعِلم الضَّروري بخلافه، وبعضٌ ما حَكى اللهُ تعالى عنهم في الكلامِ المَجيدِ، لا يخلو عن تأييدٍ لذلك، كقوله: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[3]، وقوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[4] لكنَّ القولَ بما يُخالِفُ بَدَاهَةَ العُقول مِنَ الَّذينَ هُم كالأنعامِ، بل هُم أضلُّ سبيلاً غيرُ عزيزٍ، وقد ذكروا

لذهابهم هذا المَذهَب الفاسِد وجوهاً، منها ما ذكره[5] أبو معشر

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٥/ ٤١٧، الأصفى في تفسير القرآن: ١/ ٤١٥، نور البراهين، السيد نعمة الله الجزائري: ٢/ ٢٠٥.

(٢) الأعراف: ١٨٠.

(٣) من قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يونس: ١٨.

(٤) من قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ الزمر: ٣.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٣٠/ ١٤٣-١٤٤.

البلخي[1]: مِن أنَّ هذه المقالة، إنَّما تولَّدت مِنَ القولِ بالتَّجسم؛ لأنهَّم قالوا: إنَّ اللهَ هو نورٌ أعظمُ [١٠٦: ظ] الأنوار، والملائكةُ الحافُّون حولَ العرشِ أنوارٌ صغيرةٌ بالنِّسبة إلى ذلك النُّور الأعظم، فاتخذوا صورةً هي أعظمُ الصُّور[2] على صُورةِ إلههُم الَّذي اعتقدوه، وصُوراً مُتفاوتةً في الجنَّةِ على صُورِ الملائكة المُقرَّبين.

ومنها: أنَّ جماعةً مِنَ الصَّابئة زَعموا أنَّ الإله خَلَقَ هَذه الكواكب الثَّابتةَ، والسيَّارة، وفوَّض تدبيرَ العالَم السُّفلي إليها، فالبشرُ عَبيدُ هذه الكواكب، والكواكِبُ عَبيدٌ الإله الأعظم، ثُمَّ إنَّ الكواكب لَمَّا كانت تَطلُع مرَّةً، وتغيبُ مرَّةً، فاتخذوا أصناماً على صُورِها، واشتغلوا بعبادتها.

---

(١) أبو معشر، جعفر بن محمد بن عمر البلخي المنجم البغدادي، أصله من بلخ، في خراسان، أقام زمنا في بغداد صنف من الكتب اثبات علم النجوم. الاختبارات، الاختبارات على منازل القمر، اسرار النجوم، اقتران النحسين في برج السرطان، بغية الطالب في معرفة الضمير للمطلوب والطالب والمغلوب والغالب، تحاويل سنى العالم، تفسير المنامات من النجوم، تقويم البلدان، طبايع البلدان،كتاب الجمهرة، كتاب السهام، كتاب السهمين واعمار الملوك والدول، توفي بواسط وقد جاوزه المائة اي سنة ٢٧٢ه، ينظر ترجمته: الأعلام:٢/ ١٢٧، كشف الظنون: ٢/ ٩٦٥، الكنى والألقاب: ١/ ١٥٩،،هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي: ١/ ٢٥١، مستدركات علم رجال الحديث: ٨/ ٤٥٥.

(٢) في المصدر: (اتخذوا صنمًا هو أعظم الأصنام على صورة إلههم الذي اعتقدوه، واتخذوا أصناماً متفاوتة، بالكبر والصغر والشرف والخسة على صورة الملائكة المقربين).

ومنها: أَنَّ طائفةً مِنَ المُنجِّمينَ كانوا يُضيفُونَ سعادات العالَم، ونُحوساتها إلى الكواكب، فإذا اتفق في الفَلَك شكلٌ عجيبٌ صالحٌ لطلِّسم عجيب، فكانوا يتخذون ذلك الطلِّسم، وكان يظهرُ منه آثارٌ عجيبةٌ، وكانوا يُكرِّمُون ذلك الطلِّسم، ويُعظِّمُونه، وكانوا يتخذون كُلَّ طلِّسم على شَكلِ كوكبٍ خاصٍّ، وبُرجٍ خاصٍّ، قالوا: كان ودّ على صُورةِ زُحل، ونَسر على صُورة نِسر، ويَغُوث على صُورة أسد.

ومنها: أَنَّهم كانوا إذا ماتَ مَلِكٌ، أو شخصٌ كانوا يُحبُونَه، يتخذون تمثالاً على صُورته، وينظرون إليه، ثُمَّ الَّذين جاءوا مِن بَعدِهِم زَعمُوا أنَّ آباءهم كانوا يَعبدُونَها، فاشتغلوا بعبادتها تقليداً للآباءِ.

ومنها: إنَّ هذه الأسماء كانت أسماء جماعةٍ مِن أولادِ آدم، فلمَّا ماتوا قال إبليس لِمَن بعدهُم: لو صَوَّرتُم صُوَرهُم، فكنتُم تنظرُون إليهمْ ففعلوا، فلمَّا ماتَ أولئك، قال لِمَن بعدهُم: إنَّهم كانوا يعبدونهُم فعَبدوهُم.

ومنها: إنَّ نُوحاً عليه السلام كان يَحرِسُ جَسدَ آدم عليه السلام على جبلٍ بالهِند، ويَحُولُ بينه، وبين الكفَّارِ، لئلَّا يطوفوا بقبره، فقال لهم إبليس: إنَّ هؤلاءِ يفتخرون عليكم، ويزعمُونَ أنَّهم بنو آدم دُونَكُم، وإنَّما هو جسدٌ بِلا رُوح، وأنا أُصوِّرُ لكم صُورته، فصوَّرَ لهُم خمسَ صُور، وحملَهُم على عِبادتِها، وهي: ودّ، وسُواع، ويَغوث، ويَعوق، ونَسر.

فلمَّا كان أيَّامَ الغَرَقِ دَفَنَ الطُّوفان تلك الأصنام، وطمَّها بالتُّراب، فلم تَزَل مَدفونةً حتَّى أخرجها الشَّيطانُ لِمُشركي العرب، فاتخذت قُضاعة ودّاً

فعبدوه بِدَومَةِ الجَندل، ثُمَّ توارثه بنو قُضاعة حتَّى صارَ إلى بني كلب، فجاءَ الإسلام، وهو عِندَهُم.

وأخذَ بَطنَانِ مِن طي يَغوث، فذهبوا به إلى مُراد فعَبدُوه زمانَاً، ثُمَّ إنَّ بني ناجية أرادوا أن ينزعوا منهم، ففرُّوا به إلى بني الحارث بن كعب.

وأمَّا يَعوق، فكان لكهلان، ثُمَّ توارثه بنوه، حتَّى صارَ إلى همدان، وأمَّا نَسر، فكان لخثعم يَعبُدونَه، وأمَّا سُواع فكان لآل ذي الكلاع يَعبُدونَه، وهذا الوَجهُ رَووه عن ابن عبَّاس[1].

وقيل: كان ودّ بدومَة الجندلِ[2]، وسُواع برُهاطٍ لهُذيل، وكان يَغوث لبني غُطيف مِن مُراد، وكان يَعوق لهمدان، وكان نَسر لآلِ ذي الكلاع مِن حِميَر، وكان اللَّات لثقيف، وأمَّا العُزَّى فلِسُليم، وغطفان، وخثعم، ونضر، وأمَّا مَناة فكانت لهُذيل، وأمَّا إساف، ونائلة، وهُبل فلأهلِ مكَّة، وكان إساف حِيالَ الحَجَرِ الأسود، وكانت نائلة حِيالَ الرُّكن اليماني، وكان هُبل في جوفِ الكعبة[3].

وقد ظهرَ وجهانِ آخران مِن الرِّواية المُتقدِّمة.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠/ ١٣٨، وينظر ترجمته في صفحة: ١٥٦.

(٢) دومة الجندل: حصن عادي بين المدينة والشام يقرب من تبوك وهي أقرب إلى الشام وهي الفصل بين الشام والعراق وهي أحد حدود فدك ويقال إنها تسمى بالجوف. ينظر: الكافي: ٨/ ٢٥٨، فتح الباري: ٥/ ١٦٩، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد المقري الفيومي: ١/ ٢٠٤، الوافي: ١٠/ ٣٠٧.

(٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠/ ١٣٧-١٣٨.

ومِنَ المُشيرينَ إلى غيره: الثَّنويَّة الَّذين قالوا: بالنُّور، والظُّلمة؛ لأنَّ العالَم فيه خيرٌ، وشرٌّ، والشَّرُّ ضِدَّ الخيرِ، والواحِدُ لا يَصدُرُ عنه أمران، وقد احتجَّ رسولُ الله ﷺ عليهم في الرِّواية المُتقدِّمة: بأنَّه يَلزَمُكم أن تُثبِتُوا لكُلِّ لونٍ مِنَ الألوانِ كالسَّوادِ، والبَياضِ [١٠٧: و]، والحُمرة مثلاً صانعاً، وتمامُ الاحتجاج في كتابِ الاحتجاج[١].

ومنهُم: الدَّهريَّة[٢] الَّذين حكى اللهُ سُبحانه عنهم، بقوله: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ**﴾[٣]، وكانوا يَسُبُّونَ الدَّهرَ إذا لم ينالُوا ما أمَّلُوا، قال الأصمعيُّ[٤]: ذمَّ إعرابيٌّ رجُلًا، فقال: هو أكثرُ ذنوبَاً مِنَ الدَّهرِ[٥]، ولمَّا كان ذلك يرجعُ إلى المُدبِّر، قال رسولُ الله ﷺ: (لَا تَسُبُّوا الدَّهرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهر)[٦]، وكانوا يقولون: بقدم العالَم، وإنَّ تولُّد الأشخاصِ بحركاتِ الأفلاكِ المُوجِبَةِ لامتزاجاتِ الطَّبائع، فإذا وَقعَت

---

(١) ينظر: الاحتجاج: ١/ ٢١.

(٢) الدهرية وهم الذين يقولون وما يهلكنا إلا الدهر وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان منهم على غير تثبت منهم ولا تحقيق لشيء، وكذلك الزاعمون أن العالم لم يزل موجودا كذلك بلا صانع، ينظر: الوافي: ٤/ ١٨٥، مغني المحتاج، الشربيني: ٤/ ١٣٤، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، لابن حجر الهيتمي،: ٩/ ٨٥.

(٣) من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ الجاثية:٢٤.

(٤) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٥) ينظر: الامالي، السيد المرتضى: ١/ ٣٥.

(٦) مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ٣٦٥، صحيح مسلم: ٧/ ٤٥.

على وجهٍ خاصٍّ حصلت الحياة، وإذا وقَعَت على وجهٍ آخر حصَل المَوت، وكانوا يُنكِرون البَعثَ، كما أنكروا الصَّانع، واحتجاجه ﷺ عليهم مذكورٌ في الرِّوايةِ المذكورة.

وكان منهم: أصحابُ الأنواءِ: (وهي منازِلُ القمرِ، وهي ثمانٍ، وعُشرون، زَعموا أنَّه يَسقُط كُلَّ ثلاث عشرة ليلةً، منزلُه مع طُلوع الفجر، وتطلُعُ أُخرى مُقابلها في الشَّرقِ، وذلك سَبَبٌ في الأمطار، وإنَّما سُمِّي نوءاً لأنَّه إذا سَقَطَ السَّاقِطُ منها بالغربِ ناءَ الطَّالِعُ بالمَشْرق، أي: نَهَض، وطَلَع)[1]، وقيل: المُرادُ بالنَّوءِ: (الغُروب، وهو مِنَ الأضدادِ)[2]، ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: (مَنْ قَالَ مُطِرنَا نَبْوءِ - كَذا - فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ)[3]، ومنهُم عَبَدَةُ الشَّمس، والقمر، والكواكب، وتفاصيلُ المِللِ الباطِلَةِ في الكُتب المُصنَّفةِ لها[4].

﴿فَهَداهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكانِهِ مِنَ الْجَهالَةِ، ثُمَّ اختارَ سُبْحانَهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ لِقاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ ما عِندَهُ﴾[5]

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق:٤٠٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ١٢٢.

(٣) صحيح البخاري: ١/ ٢٠٦، السنن، أبو داود: ٢/ ٢٢٩ ح ٣٩٠٦.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٠٧، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: ٢/ ٣١٢.

(٥) نهج البلاغة: ٣١ خ١.

أنقذهم، أي: نجَّاهُم[1]، والظَّاهرُ: أنَّ المكان هاهنا مصدرُ كانَ التَّامَّة، ولِقاءُ اللهِ: المصيرُ إلى الدَّار الآخِرَة.

والمشهورُ في وقتِ وفاته صلى الله عليه وآله ما ذكره الشَّيخ رحمه الله في التَّهذيب: (هو يومُ الاثنين، لليلتينِ بقيتا مِن صَفر، سنة عشرٍ مِنَ الهِجرة، قُبِضَ صلى الله عليه وآله مَسْمُوماً)[2]، وفي تفسير الثَّعلبي: (أنَّه يومُ الاثنين، لليلَتينِ خلتا مِن ربيعٍ الأوَّل، يوم الاثنين حين زاغَت الشَّمس)[3].

وقال محمَّد بن يعقوب الكليني رحمه الله: (قُبِضَ صلى الله عليه وآله لاثنتَي عشرةَ لَيلةً مَضَت مِن ربيعٍ الأوَّل، يوم الاثنين، وهو ابنُ ثلاثٍ وستِّين سنة)[4].

﴿وأَكْرَمَهُ عَنْ دارِ الدُّنْيا، وَرَغِبَ به عَنْ مَقامِ البَلْوى، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَريماً﴾[5]

في بعض النُّسخ: فَأَكرَمَهُ، بالفاء[6]، ومُقارنة البلوى: مكانُ مقامِ البلوى، والبلوى: البليَّةُ، والبَلاء واحِدٌ، والأنْسَبُ هاهنا أن يكون بمعنى الآفات، والمصائب، وأصلُها الامتحان، والاختبار[7].

---

(١) ينظر: الصحاح، مادة (نقذ).

(٢) تهذيب الاحكام، الشيخ الطوسي، تحـ: السيد حسن الخرسان: ٦/ ٢.

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢/ ٢٩٠.

(٤) الكافي: ١/ ٤٣٩.

(٥) نهج البلاغة: ٣١ خ١.

(٦) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١/ ٨٤، شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٠٧.

(٧) ينظر: لسان العرب، مادة (بلا)، مجمع البحرين، مادة (بلا).

﴿وخَلَّفَ فيكُم ما خَلَّفَتِ الْأَنْبياءُ في أُمَمِها، إِذْ لَم يَتْرُكوهُمْ هَمَلاً بِغَيْرِ طَريقٍ واضِحٍ، ولا عَلَمٍ قائِمٍ كِتابَ رَبِّكم مُبَيِّناً حَلالَهُ، وحَرامَهُ﴾[1]

خلّف بالتَّشديد، أي: تركَ وراءه[2]، والهَمَلُ: مُحَرَّكَةً، ضوالُّ الإبل التي تُرِكَتْ مُهمَلَةٌ، لا رِعاءَ لها، ولا فيها مَن يُصلِحُها، ويَهْديَها، ومثلُها النَّفَش، إلَّا أنَّ النَّفش لا يكونُ إلَّا ليلاً، والهَملُ يكونُ ليلاً، ونهاراً، تقولُ: تركتها هَملاً، أي: سُدَىً، إذا أرسلتها ليلاً، ونهاراً بلا راعٍ[3].

وفي الكلامِ إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾[4].

والطَّريقُ: يُذكَّرُ، ويُؤنَّث، تقولُ: الطَّريقُ الأعظم، والطَّريقُ العُظمى[5]، والعَلَم، مُحَرَّكةً: الجبل، والمنصوب في الطَّريق، والمنارُ يُهتَدي بها، وكتابَ ربِّكم: منصوبٌ على أنَّه عطفُ بيانٍ لِما في قوله عليه السلام: ﴿ما خَلَّفَتِ الْأَنْبِياءُ﴾.

---

(١) نهج البلاغة: ٣١-٣٢ خ١، وفيه:) وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً، بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلاَ عَلَمٍ قَائِمٍ كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ: مُبَيِّناً حَلاَلَهُ، وَحَرَامَهُ، وَفَرَائِضَهُ، وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ، وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخَصَهُ، وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبَرَهُ، وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ، وَمَحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ، وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّراً جُمَلَهُ، وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ(.

(٢) ينظر: تاج العروس، مادة (خلف).

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (مهل).

(٤) القيامة: ٣٦.

(٥) ينظر: المذكر والمؤنث، أبو بكر، الأنباري، تحـ: محمد عبد الخالق عضيمة: ١/ ٤٥٧، تاج العروس، مادة(طرق).

وحينئذ يكونُ المُراد بالطَّريق الواضِح، والعَلَم القائم، هو: القرآن، أو الشَّريعة التي كان تخليف القرآن سبباً في وُضوحِها، وظُهورها، ويكونُ مُبيِّناً منصوباً، على أنَّه حالٌ مِن فاعل خلّف.

وقيل: المُرادُ بما خلَّف، هو: الإمامُ عليه السلام أي: نَصَبَ فيكُم وصيَّاً [١٠٨: ظ] ونصَّ عليه على سُننِ الأنبياءِ عليهم السَّلام، فيكونُ قوله عليه السلام إذ لم يتركوهم هَملاً، إشارَةٌ إلى الدَّليل على وُجوبِ نَصبِ الإمام، ومُبيِّناً حالاً مِن مفعول خلّف، وكتاب منصوباً على أنَّه مفعول مُبيناً، وحلالَهُ وحَرامَهُ على البدلية مِن الكتاب.

وهذا الوجهُ، وإن كان لا يخلو عن بُعدٍ لفظاً، إلَّا أنَّه أقربُ معنىً، فإنَّ بيانَ الحلالِ والحرام، والفرائض، والفضائل وغيرها، على الوجه التَّفصيلي، هو وظيفةُ الإمامِ وشأنُه عليه السلام، ويُحتمل أن يتكلَّف على الوجه الأوَل لظُهورِ الإشارة إلى نَصبِ الإمام عليه السلام بأن يُقال بتبيِّنه صلى الله عليه وآله للحلالِ، والحرام هو: نصُّه على الإمام عليه السلام فالمُبيِّن هو الرَّسول صلى الله عليه وآله، ولكن بِنَصبِ الإمام عليه السلام.

وعلى الوجهين: يكونُ إشارة إلى الحديث المُتفق عليه بين الفريقين: (إِنِّي تَارِكٌ فِيكُم الثَّقلَينِ: كتابَ اللهِ، وعِترَتِي أَهلَ بَيتِي، فَإِنَّهُمَا لَن يَفتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوض)[1].

والمُرادُ بالحلالِ: أمّا المُباح[2]، أو ما يشملُ المكروه.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٣/ ١٤، الأمالي، الشيخ الصدوق: ٥٠٠ ح ٦٨٦.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (حلل).

﴿وَفَرَائِضَهُ، وَفَضَائِلَهُ﴾[1]

أي: واجباته، ومندوباته، أو ما يشمِلُ المكروه.

﴿وَنَاسِخَهُ، وَمَنْسُوخَهُ﴾[2]

وناسخه، ومنسوخه، قد مثَلوا النَّسخ بأمثلةٍ كثيرةٍ، منها:

نسخُ قوله تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[3]، بقوله تعالى: ﴿**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ**﴾[4] على بعض التَّفاسير، ومنها نسخُ التَّوجُّه إلى بيتِ المقدس، بقوله تعالى: ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾[5] إلاَّ أنَّ الظَّاهر أنَّه مِن نَسخِ السُّنَّة بالقرآنِ، إذ لم يُعهَد في القرآنِ ما يدلُّ على وُجوبِ التَّوجه إلى بيتِ المقدس، فيكونُ مثالاً للناسخ.

ومنها: نسخُ ثَباتِ الواحِد للعَشرَة، الَّذي كان واجباً بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا**

---

(١) نهج البلاغة: ٣٢ خ١.

(٢) المصدر نفسه: ٣٢ خ١.

(٣) البقرة:٢٥٦.

(٤) من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة: ٥.

(٥) من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ البقرة: ١٤٩.

مِائَتَيْنِ﴾[1]، ثُمَّ نُسِخَ مِن قوله تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[2]، فوجَبَ ثبات الواحد للاثنين.

ومنها: نسخُ وجوبِ الوَصيَّة للوالدينِ، والأقربين، الثابت بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[3]، ثُمَّ نُسِخَ بآيات المواريث، وقال في مجمع البيان: (أنَّه ليس مِنَ النَّسخ، لعدم التَّنافي بين الآيات)[4].

﴿وَرُخَصَهُ، وَعَزَائِمَهُ﴾[5]

وَرُخَصَهُ، وعَزائِمَهُ: الرُّخصَةُ في الأمرِ: خِلافُ التَّشديد[6]، وعزائمُ الله: ما قَطَعَ اللهُ عليك بفعله، والعزمُ، هُوَ: القَطْعُ على الأمر، والجدِّ فيه[7]. أمَّا

---

(١) من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الأنفال: ٦٥.

(٢) من قوله تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ التوبة: ٦٦.

(٣) البقرة: ١٨٠.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ٤٩٣.

(٥) نهج البلاغة: ٣٢ خ١.

(٦) الصحاح، مادة (رخص).

(٧) تاج العروس، مادة (عزم).

الرُّخَص، فكقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾(١)، وأمَّا العزائم، فكقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾(٢).

﴿وَخَاصَّهُ، وَعَامَّهُ﴾(٣)

وَخاصَّهُ، وعامَّهُ: أمَّا العامُّ، فكقوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾(٤)، وأمّا الخاصُّ، فكقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾(٥).

﴿وَعِبَرَهُ، وَأَمْثَالَهُ﴾(٦)

العِبرَة، ما يَعتبرُ به الإنسان، ويستدلُّ به على غيره، والمِثل بالتَّحريك،

---

(١) من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ البقرة:١٧٣.

(٢) من قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ محمد﴾:١٩.

(٣) نهج البلاغة: ٣٢ خ١.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاَثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ الطلاق:٤.

(٥) من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ البقرة:٢٣٤.

(٦) نهج البلاغة: ٣٢ خ١.

وبالكسر كالشَّبه [1] بهما، وأمثالُ الله: الأشباهُ التي يذكرها سُبحانه مِن أحوالِ الماضين، ودلائلِ القُدرة، وغيرُ ذلك، والكتابُ الكريم مشحونٌ بالعِبَرِ، والأَمثالِ.

﴿وَمُرْسَلَهُ، وَمَحْدُودَهُ﴾ [2]

الإرسالُ: الإطلاقُ، والإهمال [3]، والحَدُّ: الفَصلُ بيَن الشَّيئِين [4]، والظَّاهرُ: أنَّ المُراد بالمُرسَل، والمَحدودِ: المُطلَق، والمَقيَّد، كقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [5]، وقوله سبحانه: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [6].

﴿وَمُحْكَمَهُ، وَمُتَشَابِهَهُ﴾ [7]

المُحكَم: مأخوذٌ مِن أحكَمتُ الشَّيء، إذا اتقنته، والمُتشابهاتُ مِنَ الأشياء

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (مثل).

(٢) نهج البلاغة: ٣٢ خ١.

(٣) ينظر: تاج العروس، مادة (رسل)، بحار الانوار: ٢٩/ ٤٨٦.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (حدّ).

(٥) من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء: ٩٢.

(٦) النساء: ٩٢.

(٧) نهج البلاغة: ٣٢ خ١.

المُتماثِلات، وذكَرُوا في المُحكَم، والمُتشابَه مِن القرآن وُجوهاً، أظهرُها [١٠٩: و]. رُوي عن جابر: أنَّ المُحكَم ما يُعلَم تعيِّين تأويله، والمُتشابَه: خِلافُه[١].

وسُمِّي مُتشابهاً لتماثُل معانيه، وتَشابُهها في الفَهم.

أمَّا المُحكَم، فكقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾[٢]، وأمَّا المُتشابه، فكقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[٣].

﴿مُفَسِّراً جُمَلَهُ، وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ﴾[٤]

التَّفسيرُ: الإبانةُ، وكشفُ المُغطَّى[٥]، والغَامِضُ مِنَ الكلام: خِلافُ الواضِح[٦].

﴿بَيْنَ مَأْخُوذٍ ميثاقُ عِلْمِهِ، ومُوَسّعٌ عَلَى الْعِبادِ في جَهْلِهِ﴾[٧]

الظَّرفُ مُتعلِّقٌ بمحذوفٍ، تقديره حال كون الكتاب دائراً، أو هو دائرٌ بينَ ما كلَّف العِباد بعلِمه، كقوله تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[٨]، وما لم يُكلَّفوا

---

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٩٥.

(٢) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يونس: ٤٤.

(٣) طه: ٥.

(٤) نهج البلاغة: ٣٢ خ١.

(٥) ينظر: القاموس المحيط، مادة (فسر).

(٦) ينظر: تاج العروس، مادة (غمض).

(٧) نهج البلاغة: ٣٢ خ١.

(٨) من قوله تعالى: ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ آل عمران: ٢.

بـه، كمقطَّعـات أوائـل السُّـور، وكالمُتشـابهات، وبـينَ مُثبَـتٍ في الكتـاب فرضـه، معلـومٌ في السُّـنَّة نسـخُه.

اختُلِـفَ في جـوازِ نسـخِ القـرآن بالسُّـنَّةِ المُتواتَـرة، فانكـره الشَّـافعي[1] مِـنَ العامَّـةِ، وجُمهـورُ أهـلِ الخِـلاف وافقـوا أصحابنـا في جـوازه[2]، وأمَّـا بالآحـادِ، فأكثـرُ العُلـماء عـلى عَدَمِـه.

واسـتدلَّ بعـضُ القائلـين بنسـخِ الكتـابِ بالسُّـنَّةِ المُتواتَـرة بوقوعـه في قولـه تعـالى: ﴿**وَالـلَّاتِي يَأْتِـينَ الْفَاحِشَـةَ مِـنْ نِسَـائِكُمْ فَاسْتَشْـهِدُوا عَلَيْهِـنَّ أَرْبَعَـةً مِنْكُـمْ فَـإِنْ شَـهِدُوا فَأَمْسِـكُوهُنَّ فِي الْبُيُـوتِ حَتَّـى يَتَوَفَّاهُـنَّ الْمَـوْتُ أَوْ يَجْعَـلَ اللهُ لَهُـنَّ سَـبِيلًا**﴾[3] قالـوا: كان في مبـدأ الإسـلام، إذا فَجَـرَت المـرأة، وقـام عليهـا أربعـةُ شـهودٍ، حُبِسَـت في بيـتٍ أبـداً، حتَّـى تمـوت[4].

ثُـمَّ نُسِـخَ بالرَّجـمِ، ثُـمَّ الجَلـدِ في المُحصّـن[5] إن كان شـيخاً أو شـيخة[6]، وكـذا

---

(١) قـال محمـد بـن إدريـس الشـافعي: (والناسـخ مـن القـرآن الأمـر ينزلـه الله بعـد الأمـر يخالفـه كما حـول القبلـة مـن بيـت المقـدس إلى الكعبـة، وكل منسـوخ يكـون حقـا مـا لم ينسـخ فـإذا نسـخ كان الحـق في ناسـخه ولا ينسـخ كتـاب الله إلا كتابـه وهكـذا سـنة رسـول الله ﷺ لا ينسـخها إلا سـنة رسـول الله ﷺ) وهكـذا قـول أحمـد بـن حنبـل. ينظـر: أوائـل المقـالات: ٢١٩.

(٢) ينظر: أوائل المقالات: ٢١٩.

(٣) النساء: ١٥.

(٤) ينظر: السنن الكبرى: ٨/ ٢١١.

(٥) نص المصدر: (ثم نسخ ذلك بالرجم في المحصنين، والجلد في البكرين).

(٦) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣/ ٤٠.

إن كان شابّاً، على قول: الشَّيخ المُفيد، والشَّيخ أبي جعفر الطُّوسي، في احد قوليه، والسيِّد المُرتضى، وابن إدريس[1]، والمُحقِّق، وجماعةٌ[2].

وبالرَّجمِ وحدَهُ إن كان شابّاً، على القولِ الآخر للشَّيخ[3]، وقولُ جماعةٍ بالجَلدِ، والتَّغريبِ، والجَزِّ[4] في غيرِ المُحصَن، إن كان رجُلًا بِكراً، وإن اختُلِفَ في تفسيرِ البِكر[5]،

---

(١) محمد بن أحمد بن إدريس العجلي الحلي فاضل فقيه ومحقق نبيه، فخر الأجلة وشيخ فقهاء الحلة، ولد سنة ٥٤٣ه، يروى عن خاله أبى علي الطوسي بواسطة وغير واسطة وعن جده لأمه أبي جعفر الطوسي، وأم أمه بنت المسعود ورام وكانت فاضلة صالحة، من مصنفاته: كتاب السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى، ومختصر تبيان الشيخ، توفّى يوم الجمعة ٤ ذي الحجة الحرام من سنة ٥٩٨ه، ينظر ترجمته: منتهى الطلب: ١/ ٦٥، التنقيح الرائع لمختصر الشرائع، المقداد السيوري، تحـ: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوه كمري: ١/ ١١، الكنى والالقاب: ١/ ٢٢١، إيضاح المكنون:١/ ٣٧.

(٢) ينظر: شرائع الإسلام، المحقق الحلي، تحـ: السيد صادق الشيرازي واخرون:٤/ ٩٣٧، مختلف الشيعة، العلامة الحلي، تحـ: مؤسسة النشر الإسلامي: ٩/ ١٣٢، المهذب البارع، ابن فهد الحلي، تحـ: الحجة الشيخ مجتبى العراقي: ٥/ ٦، مسالك الافهام في شرح شرائع الاسلام، الشهيد الثاني: ١٤/ ٣٦٢.

(٣) ينظر: الخلاف: ٥/ ٣٦٦، المؤتلف من المختلف بين أئمة السلف، الشيخ الطبرسي، تحـ: جمع من الأساتذة وراجعه السيد مهدي الرجائي: ٢/ ٣٨٦، تلخيص الخلاف وخلاصة الاختلاف، الصيمري، تحـ: السيد مهدي الرجائي: ٣/ ٢٢٠.

(٤) الجَزِّ: يحلق رأسه، وهذا نوع تأديب، ينظر: شرائع الاسلام: ٤/ ٩٣٧، لسان العرب، مادة (جزّ)

(٥) اختلفوا في تفسير البكر فمنهم من قال: هو غير المحصن وقيل: هو من أملك ولم يدخل، أي: عقد على امرأة ولم يدخل بها، وهو المشهور عند أصحابنا، واختاره

وبالجَلدِ وحدَهُ إن كان امرأةً على المشهور[1].

وأُجيبَ: بأنَّ الخبر النَّاسِخ ليس مِنَ المُتواتر، بل مِن قبيلِ الآحاد، وهو خِلافُ المفروض، والحقُّ: أنَّ الآية منسوخةٌ أمَّا بالخبرِ المُتواتر لفظاً او معنىً، أو بالإجماعِ، لو قيل بجوازِ نسخِ الكتاب بهِ، أو بالخبرِ الَّذي قُرِنَ بالإجماعِ.

وقد جوَّزوا نسخَ الكتابِ بالخبرِ المَحفوفِ بقرينةٍ تُفيدُ القَطع، وإن كان مِن قبيلِ الآحاد.

وموضِعُ الإستشهادِ بالآيةِ غيرُ ما نُسِخَ بآيةِ الجَلدِ؛ فإنَّه مِن نسخِ الكتابِ بالكتابِ - على ما قيل - لكنَّ في التَّنافي بين آيةِ الجَلدِ، وهذه الآية، حتَّى تكونَ ناسخة لحُكمها نظرٌ.

واستدلَّ أبو عليّ الجبّائي عليه بالآية التي هي بَعدَ الآيةِ المُتقدِّمة، وهي قوله تعالى: ﴿**وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا**﴾[2] فإنَّ الضَّمير في يأتيانها راجعٌ إلى الفاحشَةِ، وهي الزِّنا، على قولِ جمهور المُفسِّرين فكان الواجبُ أوَّلاً الأذى، ثُمَّ نُسِخَت بالرَّجمِ، والجَلدِ كما ذكر[3].

العلامة في المختل، ينظر: تلخيص الخلاف وخلاصة الاختلاف: ٣/ ٢٢٠، غنية النزوع: ٤٢٤.

(١) ينظر: إصباح الشيعة بمصباح الشريعة، قطب الدين الكيدري، تحـ: الشيخ إبراهيم البهادري: ٥١٣، شرائع الاسلام: ٤/ ٩٣٧.

(٢) النساء: ١٦.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٩/ ٥٢٩، الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٨٦، أنوار التنزيل

وأُجيبَ: (بأنَّها نُسِخَت بالجَلدِ في الزِّنا، وأُضيفَ إليه الرَّجم زيادَةً لا نسخاً، وأمَّا الأذى المذكور في الآية، فغيرُ منسوخٍ، فإنَّ الزَّاني يُؤذَى، ويُعنَّف على فِعله، ويُذمَّ به، لكنَّه لم يقتصر عليه، بل زِيدَ فيه بأن أُضيفَ الجَلد، والرَّجم)[1]، وأنت تعلم أنَّه لا فرقَ بيَن الجَلدِ، والرَّجم في النَّسخِ، والإضافة، فجعلَ الأوَّل نسخاً، والثاني إضافةً، وتغليظاً في الحدِّ، لا يخلو عن نظر، وأمَّا ثُبوت الأذى زائداً على الحدِّ المعهود، ووجوبِ التَّعنيف، فلعلَّه مِمَّا لم يَقُل به أحد مِن أصحابنا.

﴿وَواجِبٍ في السُّنَّةِ أَخْذُهُ، ومُرَخَّصٍ فِي الْكِتاب تَرْكُهُ﴾[2]

مثَّل له بعضُ الشَّارحين بصومِ عاشوراء، قال: (كان واجباً بالسُّنَّةِ، ثُمَّ نسخه صومُ شهرِ رمضان الواجِب بنصِّ الكتاب)[3]. وفيه [١١٠: ظ] نظر؛ لأنَّ وُجوب الصَّوم في شهرِ رمضان، لا يدلُّ على عدمِ وُجوبِ غيره حتَّى يكونُ ناسخاً له، وإنَّما النَّاسِخ لهُ ما قارَن لهُ نُزول الآية مِمَّا يدلُّ على عَدمِ وُجوبِ غير شَهر رمضان، ومثَّل له بعضهم بالتَّوجُّه إلى بيتِ المقدس الَّذي كان ثابتاً بالسُّنَّة في صَدرِ الإسلام، ثُمَّ نُسِخَ بقوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

وأسرار التأويل: ٢/ ٦٥، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/ ٣٧٢، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٢/ ١٣٠.

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣/ ٤٢.

(٢) نهج البلاغة: ٣٢ خ١.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ١٢٢.

وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[1].

وهذا، وإن كان مِن نَسخِ السُّنَّة بالكتابِ، إلَّا أنَّ حملَ الرُّخصة في كلامه عليه السلام على إيجاب التَّركِ لا يخلو عن بُعدٍ، ويُمكن أن يُمثَّل له بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾[2] حيثُ يدلُّ بظاهره على جوازِ تركِ القَصرِ، لكنَّ السُّنَّة دلَّت على أنَّه عزيمةٌ.

ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[3]، ومِن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[4] حيثُ يدلُّ بظاهره على جوازِ أكلِ غير المذكورات، والأمرُ في المُناقشَةِ في الأخذِ، والتَّرك هيِّنٌ، ولا ضرورةَ تدعو إلى الحَملِ على النَّسخِ المُصطَلحِ كما ظنُّوه، فتدبَّر.

---

(١) من قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ البقرة: ١٤٤.

(٢) من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ النساء: ١٠١.

(٣) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ١٥٨.

(٤) من قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الأنعام: ١٤٥.

﴿وبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ، وزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ﴾ [1]

كالواجبات المُؤقتة، ومات في وقتٍ خاص، كقوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾[2]، وفي بعض النُّسخ: لِوَقْتِهِ، باللاَّم بدل الياء[3].

﴿وَمُبايِنٍ بَيْنَ مَحارِمِهِ، مِنْ كَبيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نيرانه، أَوْ صَغيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرانَهُ﴾[4]

المُبايَنَة: المُفارَقة، وبايَنَ بينَ كذا، وكذا، أي: جَعَلَهُ مُفارِقًا له[5]، والمَحارِم، جمعُ مَحْرَم بالفتحِ: وهو الحرام[6].

والوعدُ: يُستعمَلُ في الخير، والشَّرِّ، وَوَعدْتُه شرًّا، فإذا أسقطوا الخيرَ، والشرَّ، قالوا في الخيرِ الوعد، والعِدَة، وفي الشرِّ الإيعاد، والوعيد[7].

[قال الشاعر:][8][9] [من الطويل]

---

(١) نهج البلاغة: ٣٢ خ١.

(٢) من قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ المائدة: ٩٦.

(٣) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١/ ٨٥.

(٤) نهج البلاغة: ٣٢ خ١.

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (بين).

(٦) ينظر: المصدر نفسه، مادة (حرم).

(٧) ينظر: المصدر نفسه، مادة (وعد).

(٨) من نسخة (ب).

(٩) البيت لعامر بن الطفيل في ديوانه: ٥٨ أوبلا نسبة في العمدة في محاسن الشعر وآدابه،

وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُـهُ أَوْ وَعَدْتُـهُ لَمُخْلِفُ إِيعادي وَمُنْجِزُ مَوْعِدي

والنِّيرانُ: جمعُ النَّار، وهي مِنَ الواو، لأنَّ تصغيرها نُوَيْرَة، والجمعُ: نُورٌ أَنْورُ، ونيرانٌ أيضاً، انقلَبت الواو ياءً، لكسرة ما قبلها[1].

وأَرْصَدَ، أي: أَعَدَّ له، وهَيَّأه وَرَصَدَهُ، أي: ترقَّبه[2].

والغُفرانُ: مصدر، يُقالُ: غفرَ اللهُ له غَفْراً، أو مَغْفِرةً، وغُفْراناً، وكلمةُ مُبايِن في النَّسخ بالجرِّ على صِيغَةِ الفاعل، والمفعول مُعاد، قال بعضُ الشَّارحين: الواجِبُ أن يكون مُبايِنٌ بالرَّفعِ لا بالجرِّ، فإنَّه ليس بمعطوفٍ على ما، ألَا ترى أنَّ جميعَ ما قبله يستدعي الشَّيء، وضدَّه، أو الشَّيء، ونقيضه، وقوله عليه السلام، ومُبايِن بالرَّفعِ لا بالجرِّ بين مَحارِمه، لا نقيضَ له، ولا ضدَّ له، لأنَّه ليس القرآن العزيز على قسمين:

أحدهما: مُباين بينَ محارمه.

والآخر: غيرُ مُباين.

فإنَّ ذلك لا يَجوزُ، فوجبَ رفعُ مُباين، وأن يكون خبر مُبتدأ مَحذوف، وفيه نظر، إذ الظَّاهر مِنَ المُبايَنةِ بينَ المَحارِم تقسيمُها إلى قسمين، وظاهرٌ أنَ بعضَ الآياتِ ليسَ فيها ذلك، فالمعنى: أنَّ الكتاب بين مُباين، وما ليس

ابن رشيق القيرواني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد: ٢/ ١٤.

(١) ينظر: الصحاح، مادة (نور).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (رصد).

كذلك، ونظيره الفِقرة التالية له[1].

وقال بعضهم: ومُباين بين مَحارِمه عطفٌ على المجرورات السَّابقة، والياء مفتوحة، وفي معنى الكلام، وتقديره لطفٌ، فإنَّ المَحارِم لَمَّا كانت هي مَحالُّ الحُكم المُسمَّى بالحُرمة، صار المعنى: وبين حُكمٌ مُباين بين مَحالِّه هو الحُرمة[2].

ولا يخفى أنَّه على تقدير كسر الياء، يُمكن أن يكون الضَّمير في محارمه راجعاً إلى الكتاب أو إلى الله تعالى، ويكونُ المعنى: أنَّ الكتاب بين ما يُفرِّق بين المحارم، وما ليسَ كذلك [١١١: و]، ثُمَّ أنَّ كلامه عليه السلام تضمَّن الفرقَ بين كبائر الذُّنوب، وصغائرها، إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا**﴾[3].

الكلام في الكبائر

وقد اختلفت الآراء في الكبائر: فذهبت طائفةٌ، منهم: الشَّيخ المُفيد، وابن البرَّاج[4]،

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ٢/ ١٧٦، شرح نهج البلاغة: ٣/ ٣٧٤.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٢٢.

(٣) النساء: ٣١.

(٤) أبو القاسم، القاضي السعيد عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج، ولد سنة ٤٠٠هـ. كان قاضيا في طرابلس خليفة أستاذه المرتضى و الشيخ الطوسي في البلاد الشامية، له مصنفات في الأصول والفروع، منها: الجواهر، وشرح جمل العلم والعمل، والمهذب، كلها في الفقه يروي عن السيد المرتضى، والشيخ الكراجكي، والشيخ الطوسي، وأبي الصلاح الحلبي أن توفي، سنة ٤٨١ه، ينظر ترجمته: تنزهة

وأبو الصَّلاح[1]، وابن إدريس، والشَّيخ الطَّبرسي، بل قال في التَّفسير: إنَّه مذهب أصحابنا، إلى أنَّ الذُّنوب كُلَّها كبائر؛ لاشتراكها في مُخالفة أمره تعالى، ونهيه، وجعلوا الوَصفَ بالكِبَر، والصِّغَر إضافيَّاً، فالقُبْلةُ المُحرَّمة صَغيرةٌ بالنِّسبة إلى الزِّنا، وكبيرةٌ بالنِّسبة إلى النَّظر، وكذلك غَصبُ الدِّرهم، كبيرةٌ بالنِّسبةِ إلى غَصبِ اللُّقمة، وصغيرةٌ بالإضافة، إلى غَصبِ الدُّنيا، وهكذا، وروى الجمهور هذا القول عن ابن عبَّاس وغيره مِن المُفسِّرين[2]، وُأورِدَ عليه بوجهين:

الانبياء:١١، الناصريات: ٢٢، الكافي في الفقة، أبو الصلاح الحلبي: ١٥، المهذب: ١/ ١، الكنى والالقاب: ١/ ٢١٠، مستدركات علم رجال الحديث: ٨/ ٤٨٨.

(١) أبو الصلاح تقى الدين بن النجم الحلبي، الشيخ الأقدم الفاضل، ولد سنة ٣٤٧ه، كان ثقة العلم العين فاضلا فقيها محدثا، قرأ على الأجل المرتضى والشيخ أبى جعفر الطوسي، وجاء في تنزهة الأنبياء والناصريات انه خليفة المرتضى في البلاد الحلبية ومن كبار علماء الإمامية وقد شرح كتاب الذخيرة في الأصول لأستاذه السيد المرتضى كما له كتاب تقريب المعارف وكتاب البرهان على ثبوت الايمان، وروى عنه ابن البراج، توفي سنة ٤٤٧ه ينظر ترجمته: تنزهة الانبياء: ١١، الناصريات: ٢٢، الخلاف:١/ ٢٢، المهذب: ١/ ٧، خلاصة الاقوال: ٨٤، التنقيح الرائع لمختصر الشرائع:١/ ١١، معالم العلماء: ٦٥، أمل الآمل: ٢/ ٤٦.

(٢) ينظر: تحرير الأحكام، العلامة الحلي، تحـ: الشيخ إبراهيم البهادري: ٥/ ٢٤٧،الدروس الشرعية في فقه الامامية، الشهيد الاول، تحـ: مؤسسة النشر الإسلامي: ٢/ ١٢٥، مسالك الافهام في شرح شرائع الاسلام: ١٤/ ١٦٦، التنقيح الرائع لمختصر الشرائع: ٤/ ٢٩٠، غاية المرام في شرح شرائع الإسلام، الصميري البحراني، تحـ: جعفر العاملي: ٤/ ٢٧٧.

الأوَّل: إنَّـه "يُخالِـف"[1] ظاهـر الآيـة؛ لدلالتهـا عـلى أنَّ الكبائـر ذنـوبٌ مخصوصـة، تُكفِّـر الصَّغائـر باجتنابهـا، فكيـف يكـونُ كُلُّهـا كبائـر؟.

وأُجيـبَ عنـه: بـأنَّ مَـن عـنَّ لـه أمـران مِـنَ المعـاصي، ودعـت نفسـه إليهـما، بحيـث لا يتمالـك، فكـفَّ عـن أكبرهمـا، مُرتكبـاً أصغرهمـا، فإنَّـه يُكفَّـرُ عنـه مـا ارتكبـه لِمَـا اسـتحقَّه مِـنَ الثَّـواب عـن اجتنـاب الأكـبر، كمَـن عـنَّ لـه التَّقبيـل، والنَّظـر بشـهوة، فكـفَّ عـن التَّقبيـل، وارتكـب النَّظـر، وفيـه نظـرٌ؛ لاسـتلزامه تكفـير الذَّنـب "عمَّـن"[2] عـنَّ قتـلُ رجلَـين أحدهمـا أعظـمُ حُرمـةً مِـن الآخـر، فارتكـب الأصغـر، وتـرك الأكـبر، وفسـادُه واضـحٌ، وتخصيـصُ الصَّغـيرِ بـما لا أصغـرَ منـه مِـن نوعـه لعلَّـه لا وجـهَ لـه[3].

الثـاني: إنَّـه يلـزمُ أن يقـدحَ في العَدالَـة مُقارفـةً أيَّ معصيـةً كانـت، ولا يخفـى مـا فيـه مِـنَ الحَـرج، والضِّيـق في بـاب الشَّـهادات، وغيرهـا، لعـدم انفـكاكِ غـيرِ المعصـوم عنهـا، وقـد قـال تعـالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾[4].

---

(١) في نسخة (ب): مخالف.

(٢) في نسخة (ب): فمن.

(٣) ينظر: شرح أصول الكافي: ٩/ ٢٥٧، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ١٠/ ٣، التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ١/ ٤٤٦.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ الحج: ٧٨.

وأجابَ ابن إدريس: بأنَّ الحرج ينتفي بالتَّوبة ورُدَّ عليه، بأنَه: لا يكفي في الحُكم بالتَّوبة مُطلقُ الاستغفار، وإظهارُ النَّدم، حتَّى يُعلمَ مِن حالِ التَّائب ذلك، وهذا قد يُؤدِّي إلى تفويت الغرض مِنَ الشَّهادة، ونحوها، فيبقى الحَرَج [1]، ولا يخفى: أنَّ هذا مبنيٌّ على اعتبار المَلَكَة في العدالة، أو اعتبار إصلاحِ العَملِ في قَبولِ التَّوبةِ، وسيأتي تمامُ الكلامِ في ذلك إنْ شاءَ اللهُ تعالى في شرح قوله عليه السلام في الكلمات المُتفرِّقة.

﴿أَتَدْرِي مَا الإِسْتِغْفَارُ؟﴾ [2]

وذهبَ جماعةٌ، منهم: المُحقِّق، وأكثرُ المتأخرين: إلى أنَّ الذُنوب تنقسمُ إلى كبائر، وصغائر [3] لظاهر الآيةِ السَّابقة، وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ**﴾ [4]، وهي الصَّغائر، على قولِ ابن عبَّاس، وابن مسعود، وغيرهما، ويدلُّ عليه: ما رواه ثقةُ الإسلام محمّد بن يعقوب رحمه الله بإسناده عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا**

---

(١) ينظر: إيضاح الفوائد، ابن العلامة: ٤/ ٤٢١، مسالك الافهام في شرح شرائع الاسلام: ١٤/ ١٦٤،

(٢) نهج البلاغة: ٧٢١ ح ٤٠٧.

(٣) ينظر: الحدائق الناضرة: ١٠/ ٥٤.

(٤) من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ النجم: ٣٢.

كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾[1]، قال: (الكَبَائِرُ الَّتِي أَوجَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيهَا النَّار)[2].

وعن ابن محبوب[3] قال: كتب معي بعضُ أصحابنا إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الكبائر كم هي؟ وما هي؟ فكتبَ: (الكَبَائرُ مَن اجتَنَبَ مَا وَعَدَ اللهُ عَلَيهِ النَّار كَفَّرَ عَنهُ سَيئاتِه إِذَا كَانَ مُؤمِناً، وَالسَّبعُ المُوجِبَاتُ: قَتلُ النَّفسِ الحَرَام، وَعُقُوقُ الوَالِدَينِ، وَأَكلُ الرِّبَا، وَالتَّغَرُّب بَعدَ الهِجرَةِ، وَقَذفُ المُحصَنَةِ، وَأَكلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالفَرَارُ مِنَ الزَّحفِ)[4].

وعن محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سَمِعته يقول: (الكَبَائرُ سَبعٌ: قَتلُ المُؤمِن مُتَعَمِّدَاً، وَقَذفُ المُحصَنَة، وَالفَرَارُ مِنَ الزَّحفِ، وَالتَّعَرُّب

---

(١) من قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ النساء: ٣١.

(٢) الكافي: ٢/ ٢٧٦ ح ١.

(٣) الحسن بن محبوب الزراد، الكوفي، روى عن الامامين الكاظم والرضا عليهما السلام ثقة عين، عدّه بعض الرجاليين أوّل من كتب في الرجال من الإماميّة له كتب كثيرة منها: أحاديث الجن والإنس، أخص الأعمال، تعبير الرؤيا، تفسير القرآن، جداول الحكمة، طبقات الرجال، كتاب المشيخة، علل الأحاديث، فضائل الأعمال، فضائل القرآن، كتاب الاحتجاج، كتاب الأرضين، كتاب الأزاهير، كتاب الأسباب، كتاب الاشكال، توفي سنة ٢٢٤ه، ينظر ترجمته: الفهرست، الطوسي: ٦٩، خلاصة الأقوال: ٩٧، هداية العارفين: ١/ ٢٦٦، الرجال، البرقي: ٥٣، بحوث في مباني علم الرجال، محاضرات السيد محمد السند لمحمد صالح التبريزي: ١٩٥.

(٤) الكافي: ٢/ ٢٧٦ ح ٢.

بَعدَ الهِجرَةِ، وَأَكلُ مَالِ اليَتِيمِ ظُلماً، وَأكلُ الرِّبَا بَعدَ البَيِّنَةِ، وَكُلَّمَا أَوجَبَ اللهُ عَلَيهِ النَّار)[1].

وعن عُبيد بن زُرارة[2] قال: سألتُ أبا عبدالله عليه السلام عن الكبائر؟ فقال: (هُنَّ فِي كِتَابِ عَلِيٍّ عليه السلام سَبعٌ: الكُفرُ بِالله، وَقَتلُ النَّفسِ، وُعُقُوقُ الوَالِدَينِ، وَأَكلُ الرِّبَا بَعدَ البَيِّنَةِ، وَأَكلُ مَالِ اليَتِيمِ ظُلماً، وَالفَرَارُ مِنَ الزَّحفِ، وَالتَّعَرُّب بَعدَ الهِجرَةِ، قال: قلتُ: فهذا أكبرُ المعاصي؟ قال: نعم قلتُ: فأكلُ درهم مِن مالِ اليتيم ظُلماً أكبرُ أم تركُ الصَّلاة؟ [١١٢: ظ] قال: تَركُ الصَّلَاةِ قلتُ: فما عددتَ تركَ الصَّلاة في الكبائر؟ فقال: أَيُّ شَيءٍ أَوَّلُ مَا قُلتُ لَكَ؟ قال: قُلتُ: الكُفر، قال: فَإِنَّ تَارِك الصَّلَاةَ كَافِرٌ، يَعنِي مِن غَيرِ عِلَّة)[3]، وغيرُ ذلك مِنَ الأخبارِ.

وجوابُ القائلين بعدم الإنقسام عن الآيةِ السَّابقة قد مرَّ مع ما فيه، وأجابوا عن الثانية: بأنَّ اللَّمم هو الهَمُّ بالمَعصيَّةِ، وحديثُ النَّفس بها مِن

---

(١) الكافي: ٢/ ٢٧٧ ح ٣.

(٢) عبيد بن زرارة بن أعين الشّيبانّي، مولى كوفّي، ثقة ثقة عين، لا لبس فيه ولا شكّ، من أصحاب الإمام الصّادق عليه السلام له كتاب، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ٢٣٣، تاريخ آل زرارة: ٩٠، الرجال، ابن داود: ١٢٥، منتهى الطلب: ٢/ ٣٧٥، نقد الرجال: ٣/ ١٧٠، منتهى المقال في احوال الرجال: ٤/ ٢٧٩، مستدركات علم رجال الحديث: ٥/ ١٦٤، معجم رجال الحديث: ١٢/ ٥٢، المفيد من معجم رجال الحديث: ٣٦٠.

(٣) الكافي: ٢/ ٢٧٨ ح ٨.

غيرِ مُواقعتها[1]، وقيلَ: (اللَّمم مُقارَبَةُ الشيَّء مِن غيرِ دُخولٍ فيه)[2].

وقيل: (هو أنَّ يُلمَّ بالذَّنب مرَّةً ثُمَّ يتوبُ منه، ولا يعود)[3]، وقيل: (هُو ما ألُّوا به في الجاهليَّة مِنَ الإثم، فإنَّه مَعفوٌّ عنه في الإسلام)[4]، والاستثناءُ على بعضِ هذه الوجوه مُتَّصلٌ كما هو الأصل، بخلافِ ما ذكروه، والوجهانِ الأوَّلان مُتقارِبانِ مَعْنىً.

ويَدُلُّ عَلَى الثالث، ما رواه محمَّد بن يعقوب الكليني رحمه الله بإسناده عن أبي رئاب[5] قال: سَمِعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقولُ: (إنَّ المُؤمِن لاَ تَكُونُ سَجِيَّتُهَ الكَذِب، وَالبُخل، والفُجُور، وَرُبَمَا أَلَمَّ مِن ذَلِكَ شَيئاً لَا يَدُومُ عَلَيهِ قيل أفيزني؟ قال: نَعَم، وَلَكِن لَا يُولَدُ لَهُ مِن تِلكَ النُّطفَة)[6].

وعن إسحاق بن عمَّار[7] قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: (مَا مِن مُؤمِنٍ إلاَّ،

---

(١) ينظر: التبيان في تفسير القران: ٩/ ٤٣٢.

(٢) المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان: ٢/ ٢٩١.

(٣) زبدة التفاسير: ٦/ ٥١٤.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٩/ ٢٩٩.

(٥) أبو الحسن، مولى جرم، بطن من قضاعة، وقيل: مولى بني سعد بن بكر الطحان. كوفي ثقة، جليل القدر، روى عن الامام الصادق والكاظم عليهما السلام، وروى عنه الحسن بن محبوب. له كتب، منها: كتاب الوصية والامامة، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ٢٥٠، رسالة في آل أعين: ٨٩، الفهرست، الشيخ الطوسي: ١٥١، الخلاف: ١/ ١٥٦، إيضاح الاشتباه: ٢١٧.

(٦) الكافي: ٢/ ٤٤٢ ح ٦، الخصال: ١٢٩.

(٧) إسحاق بن عمّار بن حيّان مولى بني تغلب الكوفّي، الصّيرفّي، من أصحاب الامامين

ولَـهُ ذَنـبٌ يَهجُرُهُ زَمَانَـاً، ثُـمَّ يُلِـمُّ بِـهِ، وَذَلِكَ قَـولُ الله عَـزَّ وَجَـلَّ: ﴿**إِلَّا اللَّمَـمَ**﴾[1]، قـال: وسـألته عـن قـولِ الله عـزَّ وجـلَّ: ﴿**الَّذِيـنَ يَجْتَنِبُـونَ كَبَائِـرَ الْإِثْـمِ وَالْفَوَاحِـشَ إِلَّا اللَّمَـمَ**﴾[2] قـالَ: الفَوَاحِـش: الزِّنَـا، وَالسِرَّقَـة، وَاللَّمَـم: الرَّجُـل يُلِـمُّ بِالذَّنـبِ فَيَسـتَغفِر الله مِنـهُ)[3].

وقـد رُوي أخبـارٌ أُخـر في اللَّمـم لا تخلـو عـن إبهـام، ثُـمَّ إنَّ القائلـين بالإنقسـام اختلفـوا في تفسـير الكبـيرة فقـال قـومٌ، ومنهـم العلَّامـة رحمه الله في بعـضِ كتبـه: هـي كُلُّ ذنـبٍ توعَّـد اللهُ عليـهِ النَّـار[4]، ويـدلُّ عليـه مُضافـاً إلى ظاهـر الثلاثـة الأُولِ مِـن الرِّوايـات السَّـابقة، خـبر عبـدالله بـن أبي يعفـور[5]، ورواهُ الشَّـيخ، والصَّـدوق

الصـادق والكاظـم عليهما السلام وروى عنهـما شـيخ، ثقـة، لـه كتـاب النـوادر، ينظـر ترجمتـه في: الرجـال، النجـاشي: ٧١، خلاصـة الأقـوال: ٣١٧، الرسـائل الفقهيـة، الخاجوئـي، تحـ: السـيد مهـدي الرجائـي:١/ ١٢٨، وسـائل الشـيعة: ١٩/ ٣٧٥.

(١) مـن قولـه تعـالى: ﴿الَّذِيـنَ يَجْتَنِبُـونَ كَبَائِـرَ الْإِثْـمِ وَالْفَوَاحِـشَ إِلاَّ اللَّمَـمَ إِنَّ رَبَّـكَ وَاسِـعُ الْمَغْفِـرَةِ هُـوَ أَعْلَـمُ بِكُـمْ إِذْ أَنْشَـأَكُمْ مِـنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُـمْ أَجِنَّـةٌ فِي بُطُـونِ أُمَّهَاتِكُـمْ فَـلَا تُزَكُّـوا أَنْفُسَـكُمْ هُـوَ أَعْلَـمُ بِمَـنِ اتَّقَـى﴾ النجـم: ٣٢.

(٢) النجم: ٣٢.

(٣) الكافي: ٢/ ٤٤٢ ح ٣.

(٤) ينظر: استقصاء الاعتبار في شرح الاستبصار، الشهيد الثاني: ٧/ ١٤٨.

(٥) أبـو محمـد، عبـد الله بـن أبي يعفـور، واسـمه واقـد، وقيل: وقـدان، العبـدي مولاهـم كـوفي، ثقة ثقـة، جليـل، كريـم كان قارئـا في مسـجد الكوفـة، روى عـن الامـام الباقـر والصـادق عليهما السلام وكان مـن حواريهـما،، لـه كتـاب يرويـه عنـه عـدّة مـن الأصحـاب، وردت في مدحـه روايـات تـدلّ عـلى رفعـة مقامـه عنـد الإمـام الصـادق عليه السلام، تـوفي في حيـاة الامـام الصـادق عليه السلام، في

رحمهما الله قال: قلتُ لأبي عبدالله عليه السلام: بم تُعرفُ عدالة الرَّجل بين المُسلمين حتَّى تُقبلُ شهادته لهم، وعليهم؟ فقال: (أَن يَعرِفُوهُ بِالسَّترِ، والعَفَافِ، وَكَفِّ البَطنِ، وَالفَرجِ، وَاليَدِ، وَاللِّسَانِ، وَيُعرَفُ بِاجتِنَابِ الكَبَائِرِ الَّتِي أَوعَدَ اللهُ عَلَيهَا النَّارِ؛ مِن شُربِ الخَمرِ، وَالزِّنَا، وَالرِّبَا، وَعُقوقُ الوَالِدَينِ، وَالفَرَارُ مِنَ الزَّحفِ، وَغَيرُ ذَلِكَ)[1]... الخبر.

وما رواه محمّد بن يعقوب رحمه الله، بإسناده عن أبي بَصيْر[2] عن أبي عبدالله عليه السلام قال:(سَمِعتُه يقول: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[3]، قال: معرفة الإمام، واجتناب الكبائر التي أوجب [الله][4] عليها النار)[5].

وروى الصدوق رحمه الله في ثواب الأعمال بإسناده عن عبّاد بن كثير[6]

سنة الطاعون، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ٢١٣، الخلاف: ١/ ١٨٣، مستطرفات السرائر، ابن ادريس الحلي، تحـ: لجنة التحقيق: ٤٧، الكنى والالقاب: ١/ ٢٠٥.

(١) تهذيب الأحكام: ٣/ ١٢ ح ٣٣، من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٣٨ ح ٣٢٨٠.

(٢) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٣) من قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾البقرة:٢٦٩.

(٤) من النسخة (ب).

(٥) الكافي: ٢/ ٢٨٤ ح ٢٠.

(٦) عباد بن كثير، الكاهلي، الثقفي، شيخ قديم، روى عن الامام الصادق عليه السلام، وهشام بن عروة، ونافع، وأبي الزناد، وعبد الله بن محمد بن عقيل والحسن البصري كذبه سفيان الثوري، وهو مختلف فيه، ينظر ترجمته: الضعفاء، أبو نعيم الأصبهاني، تحـ: د. فاروق حمادة: ١٢٣، الرجال، الطوسي: ٢٤٤، الرجال، ابن داود: ٢٥٢، نقد

قال: سَأَلتُ أبَا جَعفَر عليه السلام عن الكبائر؟ فقال: (كُلُّ شَيءٍ أَوعَدَ عَلَيهِ النَّار)[1]، وبمضمونها رواياتٌ.

ويدلُّ عليه ظاهرُ هذا الكلام منه عليه السلام، وحَملُها على الأعمِّ مِمَّا أوعدَ اللهُ عليه النَّار، حتَّى يكونُ الوَصف للتخصص، وإن كان مُحتمَلاً في خَبرِ عبد الله بن أبي يعفور، ورُواية أبي بصير، وكلامه عليه السلام إلَّا أنَّه يأباهُ ظاهِرُ الرِّوايات المذكورة آنفاً، ويدلُّ عليه صريحاً ما في تفسير عليٍّ بن إبراهيم: في قوله تعالى: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ**﴾[2]، قال: (هِيَ سَبعَةٌ: الكُفرُ، وَقَتلُ النَّفسِ، وَعُقوقُ الوَالِدَينِ، وَأكلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَأَكلُ الرِّبَا، وَالفَرَارُ مِنَ الزَّحفِ، وَالتَّغَرُّب بَعدَ الهِجرَةِ، وَكُلَّمَا أَوعَدَ اللهُ فِي القُرآنِ عَلَيهِ النَّار، وَمِنَ الكَبائِرِ)[3].

نعم، يُمكن أن يُقال: مَا أوعدَ اللهُ عليه النَّار، أعمُّ مِن مَا وَردَ التَّوعُّد في الكتاب الكريم، أو في السُّنَّة على لسان رسوله صلى الله عليه وآله لكن الأظهر هو الأوَل.

وقال قومٌ: إنَّها كُلُّ ذنبٍ توعَّد عليه توعُّداً شديداً في الكتاب أو السُّنَّة، وربما يُستدلُّ له بما رواه محمّد بن يعقوب رحمه الله، بإسناده عن [١١٣: و] عبد العظيم بن عبد الله الحَسنيِّ[4]، ورواه الصَّدوق رحمه الله في الفقيه، والعيون،

الرجال: ٣/ ١٧، معجم رجال الحديث: ١٠/ ٢٣٥.

(١) ثواب الاعمال، الشيخ الصدوق: ٢٣٣.

(٢) من قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ النساء: ٣١.

(٣) تفسير القمي: ١/ ١٣٦.

(٤) أبو القاسم، عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن

والعلل عنه، قال: حدَّثني أبو جعفر الثاني عليه السلام قال: (سَمِعتُ أبي عليه السلام يقولُ: سَمِعتُ أَبِي مُوسَى بِن جَعفَر عليهما السلام يَقُولُ: دَخَلَ عَمرُو بِن عُبَيْد[1] على أبي عَبْد الله عليه السلام فَلَمَّا سَلَّمَ، وجَلَسَ تَلَا هَذِهِ الآيَة: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ**﴾[2]، ثُمَّ أَمسَكَ، فَقَالَ لَهُ أبو عبد الله عليه السلام: مَا أَسكَتَكَ؟ قَالَ: أُحِبُّ أَن أَعرِفَ الكَبَائِرَ مِن كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: نَعَم يَا عَمرُو، أَكبَرُ الكَبَائِرَ: الإِشرَاكُ بِالله، يَقُولُ اللهُ و: ﴿**مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**﴾[3]، وبَعدَهُ الإِيَاسُ مِن رَوحِ الله؛ لأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿**لَا يَيْئَسُ مِنْ**

علي بن أبي طالب عليه السلام المعروف بشاه عبد العظيم، زاهد عابد ذو ورع ودين، معروف بالأمانة، وصدق اللهجة عالم بأمور الدين كثير الحديث، والرواية، يروي عن الإمامين الجواد، والعسكري عليهما السلام، ولهما إليه لرسائل، ويروي عن جماعة من أصحاب موسى بن جعفر وعلي بن موسى عليهم السلام له مصنفات منها: يوم وليلة، و خطب أمير المؤمنين عليه السلام، ومات عبد العظيم بالري، وقبره هناك، ينظر ترجمته: الاحتجاج: ٢/ ١٩٦، نقد الرجال: ٣/ ٧٠، جامع الرواة: ١/ ٤٦٠، طرائف المقال: ٢/ ٥٤٥، معجم رجال الحديث: ١١/ ٥١.

(١) عمرو بن عبيد البصري، من فارس، من تلامذة الحسن البصري، كان زاهداً، القائل بأن مرتكب الكبيرة منافق، وبدعتهم في القدر، ونفي الصفات الأزلية، كما انه مؤسس المعتزلة، توفي سنة ١٤٤هـ، ينظر ترجمته: تاريخ بغداد: ١٢/ ١٦٥، الانساب: ٤/ ٢٣٩، الكنى والألقاب: ١/ ١٦٥.

(٢) من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ النجم: ٣٢.

(٣) من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ

رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(١)، ثُمَ الأَمنُ لِمَكرِ الله؛ لأنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٢)، وَمِنهَا: عُقُوقُ الوَالِدَينِ؛ لأنَّ اللهَ سُبحَانَهُ جَعَلَ العَاقَّ جَبَّارَاً شَقِيَّاً، وَقَتلُ النَّفسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إلَّا بِالحَقِّ؛ لأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾(٣) إلى آخِرِ الآيَةِ، وَقَذفُ المُحصَنَةِ؛ لأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٤)، وأَكلُ مَالِ اليَتِيمِ؛ لأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾(٥)، والفَرَارُ مِنَ الزَّحفِ؛ لأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(٦)، وَأَكلُ الرِّبَا؛ لأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ المائدة: ٧٢.

(١) من قوله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ يوسف: ٧٨.

(٢) من قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الأعراف: ٩٩.

(٣) من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٩٣.

(٤) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: ٢٣.

(٥) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ النساء: ١٠.

(٦) الأنفال: ١٦.

يَقُولُ: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾(١)، والسِّحرُ؛ لأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾(٢)، والزِّنَا؛ لأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾(٣).

وَاليَمِينُ الغَمُوسُ الفَاجِرَةَ؛ لأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾(٤)، والغُلُولِ؛

---

(١) من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة: ٢٧٥.

(٢) من قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٠٢.

(٣) من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ الفرقان: ٦٨- ٦٩.

(٤) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آل عمران: ٧٧.

لأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(١)، ومَنعُ الزَّكَاةِ المَفرُوضَةِ؛ لأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾(٢).

وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَكِتمَانُ الشَّهَادَةِ؛ لأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾(٣)، وشُربُ الخَمرِ؛ لأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ نَهَى عَنهَا، كَمَا نَهَى عَن عِبَادَةِ الأَوثَانِ، وَتَركِ الصَّلَاةِ مُتَعَمِّدَاً، أَو شَيئَاً مِمَّا فَرَضَ اللهُ؛ لأنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: مَن تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدَاً، فَقَد بَرِئَ مِن ذِمَّةِ اللهِ، وذِمَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَنَقضُ العَهدِ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ؛ لأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾(٤)، قَالَ: فَخَرَجَ عَمرُو، ولَهُ صُرَاخٌ مِن بُكَائِهِ، وَهوَ يَقُولُ: هَلَكَ مَن قَالَ بِرَأيِهِ، وَنَازَعَكُم فِي الفَضلِ، والْعِلمِ)(٥).

---

(١) من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ آل عمران: ١٦١.

(٢) من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ التوبة: ٣٥.

(٣) من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٨٣.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ الرعد: ٢٥.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٥٦٣ ح ٤٩٣٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٢٥٧ ح ٣٣، علل الشرائع: ٢/ ٣٩١ ح ١.

وتوضيحُ الرَّوح بالفتحِ: الرَّاحةُ، والرَّحمةُ، ونسيمُ الرِّيح[1]، وقال الأصمعيّ: (ما يَجِدُه الإنسان مِن نسيمِ الهَواءِ، فيسكُن إليه، وتركيبُ الرَّاء، والواو، والحاء يُفيدُ الحركة، والاهتزاز، فكلَّما يهتزُّ الإنسان، وَيَلتذّ بوُجُودِهِ فهو رَوحٌ)[2]، ورَوْحُ الله: رحمتُهُ، وفضلُهُ، والمَكرُ: قال الخليلُ: هو الإحتيالُ بإظهارِ خِلافِ الإضمار[3]، وقيل: انَّ أصل المَكر: الالتفاف، ومنهُ: ساقٌ ممكُورة، أي: مُلتفَّةٌ حَسَنَةٌ فالمَكرُ التفافُ التَّدبير على مكروهٍ[4]، وسُمِّي عذابُ الله مَكرٌ، لنزوله بهم مِن حيثُ لا يَعْلمُون[5]، وقيل: مَكرُ الله استدراجُهُ إيَّاهُم بالصحَّة، والسَّلامة، وطولُ العُمرش، وتظاهُرِ النِّعم)[6].

واليمينُ الغَمُوس - على المعروفِ بين الفُقهاءِ، وأهلِ اللُّغة - هي: الحِلفُ على الماضي كاذباً مُتعمِّداً، بأن يَحلِف أنَّه ما فعلَ، وقد كان فعلَ، أو بالعكسِ[7]، واليمينُ مُؤنَّث، والوصفُ بالفاجِرَة: لعلَّه للتوضيح.

والغُلولِ [١١٤: ظ] بالضَّمِّ: (الخِيَانَةُ في المَغنَمِ)[8]، وأصلُهُ مِنَ الغَلَل،

---

(١) ينظر: الصحاح، مادة (روح).

(٢) التفسير الكبير: ١٨/ ١٩٩.

(٣) ينظر: كتاب العين، مادة (مكر).

(٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤/ ٤٨١، لسان العرب، مادة (مكر).

(٥) ينظر: بحار الانوار: ٦٧/ ٣٣٤، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ١٠/ ٤٧.

(٦) تفسير مجمع البيان: ٤/ ٣١٥.

(٧) ينظر: تحرير الاحكام: ٤/ ٣٤١، مسالك الافهام في شرح شرائع الاسلام: ١١/ ٢٩٢.

(٨) تاج العروس، مادة (غلل).

وهو دُخولُ المَاءِ في خَللِ الشَّجر[1]، والزُّور بالضَّمِّ: الكَذِب[2]، ويُمكن إدخال شهادَةِ الزُّورِ في الكِتمان، لتكون الآية سنداً، لكونها كبيرةٌ.

والمُراد بقوله عليه السلام في شُربِ الخمرِ: نَهى كَما نَهى... الى آخره، أنَّه سُبحانه جعلَ شُربَ الخمرِ عديلاً لِعبَادَة الأوثانِ في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[3] العدالة مقارفة أي معصية كانت ولا يخفى ما فيه من الجرح و، والضَّميرُ في عنها راجعٌ إلى الخَمرِ، والخَمرُ: يُذكَّرُ، ويَؤنَّثُ، وفي رواية العيون[4]، والعلل[5] لأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَدَلَ بها عِبادَة الأوثان، ويُستفادُ مِن استدلاله صلى الله عليه وآله بالحديث النَّبويِّ: إنَّ المُراد بما نَهى اللهُ عنه، وأوجبَ عليه النَار، أعمُّ مَا وَردَ النَّهيُّ، والوعيد في الكتاب الكريم، ومِن بعضِ التَّعليلات أنَّه يشملُ ما وَرَدَ فيه نَوعٌ مِن الذَّمِّ، وأمَّا ما اعتبروه مِنَ التَّوعُّد الشَّديد، فلا يُستفادُ مِنَ الرِوايةِ، بل خلافه، وإن كان وَعيدُه، وعذابُه شديداً كُلُّه.

---

(١) ينظر: فقه القرآن، الراوندي، تحـ: السيد أحمد الحسيني: ٢/ ٤٤، لسان العرب، مادة (غلل).

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (زور).

(٣) من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة: ٩٠.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٢٥٧ ح ٣٣.

(٥) علل الشرائع: ٢/ ٣٩١ ح ١.

وقد فسَّرها شيخُنا الشَّهيد[1] رحمه الله في قواعده بأنهَّا: (كُلَّما تَوَعَّدَ الشرَّعُ عَلَيهِ بِخُصوصِه)[2]، وهو أولى، وقال قومٌ: إنَّ الكبيرة هي: (المَعصيَةُ المُوجِبَةُ للحدِّ)[3]، وقيل: إنهَّا كُلُّ معصيةٍ رتَّب الشَّارع عليها حدَّاً، أو صرَّح فيها بالوعيد، وقيل: كُلُّ ذنبٍ يُؤذِنُ بقلَّة اعتناءِ فاعله بالدِّين، وقيل: كُلُّ ذَنبٍ عُلِمَ حُرمتُه بدليلٍ قاطعٍ[4]، ولم نقف لهذه الأقوالِ على شاهدٍ، بل ربما تدفعُها الأخبارُ المُتقدِّمة، وغيرها.

اعداد الكبائر

ثُمَّ إنَّه اختلفَت الأخبار في أعدادها، وقد سبقَ منها ما يدلُّ على أنَّها سبعٌ على اختلافٍ، ويدلُّ عليه أيضاً ما رواه الصَّدوق رحمه الله في العلل، والخصال بالإسنادِ عن عبد الرَّحمن بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

(إنَّ الكَبائرَ سَبعٌ، فِينَا نَزَلَت، وَمِنَّا استَحَلَّت، فَأَوَّلُهَا: الشِّركُ بِالله العَظِيمِ، وَقَتلُ النَّفسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ، وَأكلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَينِ، وَقَذفُ المُحصَنَةِ، وَالفَرَارُ مِنَ الزَّحفِ، وَإنكَارُ حَقِّنَا، فَأَمَّا الشِّركُ بِالله، فَقَدْ أَنزَلَ اللهُ فِينَا مَا أَنزَلَ، وَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله فِينَا مَا قَالَ، فَكَذَّبُوا اللهَ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، فَأَشرَكُوا بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا قَتلُ النَّفسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ، فَقَد قَتَلُوا الحَسَينَ

---

(١) الامام أبي عبد الله محمد بن مكي العاملي المعروف بالشهيد الأول.

(٢) القواعد والفوائد: ١/ ٢٤٤.

(٣) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، محمد بن أحمد الشربيني: ٢/ ٢٨٠.

(٤) شرح أصول الكافي: ٩/ ٢٦٠.

بن عليٍّ عليه السلام، وأصحابه، وأما أكل مال اليتيم؛ فقد ذهبوا بفيئنا الذي جعله الله لنا فأعطوه غيرنا، وأما عقوق الوالدين فقد أنزل الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[1]، فعقُّوا رسول الله صلى الله عليه وآله في ذُرِّيَّتِهِ، وعقُّوا أُمَّهُم خديجة في ذُرِّيتها، وأما قذف المُحصَنَة؛ فقد قذفوا فاطمة عليها السلام على مَنابرهم، وأما الفرار من الزَّحف؛ فقد أعطوا أمير المؤمنين عليه السلام بيعتهم، وهم طائعين غير مُكرَهين، ففرُّوا عنه، وخذلوه، وأما إنكار حقِّنا، فهذا ما لا يتنازعون فيه)[2]، ويدلُّ بعضُ الأخبار على أنها خمسٌ، روى الصَّدوق رحمه الله في العلل، والخصال عن ابن أبي عُمير[3] عن بعضِ أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (وجدنا في كتاب عليٍّ عليه السلام أنَّ الكبائر خمسٌ: الشِّركُ بالله عزَّ وجلَّ، وعُقوقُ الوالدين، وأكلُ الرِّبا بعد البيِّنة، والفرارُ من الزَّحف، والتَّغرُّبُ بعد الهجرة)[4].

وفيهما في ثواب الأعمال بالإسناد عن عُبيد بن زُرارة، قال: قلتُ لأبي

---

(١) من قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ الأحزاب: ٦.

(٢) علل الشرائع: ٢/ ٣٩٢ ح ٢، الخصال: ٣٦٤ ح ٥٦.

(٣) محمد بن زياد بن عيسى، روى عن الامام الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام من أصحاب الاجماع، ثقة، جليل القدر، عظيم الشأن، حبسه الرشيد ليشي بالشيعة فأبى، وتلفت كتبه، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ٣٢٦، الكنى والالقاب: ١/ ٢٤٦.

(٤) علل الشرائع: ٢/ ٤٧٥ ح ٢، الخصال: ٢٧٣ ح ١٦.

عبدالله عليه السلام: أخبرني عن الكبائر؟ فقال: (هُنَّ خَمسٌ، وَهُنَّ مِمَّا أَوجَبَ اللهُ عَلَيهُنَّ النَّارَ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[1]، وقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾[2]، إلى آخِر الآية، وَقَولُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾[3] إلى آخِر الآية، وَرَميُ المُحصَنَاتِ الغَافِلَاتِ، وَقَتلُ [١١٥: و] المُؤمِنِ مُتَعَمِّداً عَلَى دِينِهِ)[4].

ويدلُّ بعضُها على أنَّها أكثرُ مِن ذلك، فمنها: روايةُ عبد العظيم بن عبد الله الحَسنيِّ المُتقدِّمة.

ومنها: ما رواهُ الصَّدوق رحمه الله في الخصال في خبرِ الأعمش[5] عن الصَادق عليه السلام قال: (الكَبَائرُ مُحَرَّمَةٌ، وَهيَ: الشِّركُ بِالله عَزَّ وَجَلَّ، وَقَتلُ النَّفسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ، وَعُقُوقُ الوَالِدَينِ، وَالفَرَارُ مِنَ الزَّحفِ، وَأكلُ مَالِ اليَتِيمِ ظُلماً، وَأكلُ الرِّبَا بَعدَ البَيِّنَةِ، وَقَذفُ المُحصَنَاتِ، وَبَعدَ ذَلِكَ الزِّنَا، وَاللِّوَاطُ، وَالسَّرِقَةُ،

---

(١) النساء: ١٠.

(٢) الأنفال: ١٥.

(٣) من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ البقرة: ٢٧٨.

(٤) ثواب الاعمال: ٢٣٣.

(٥) أبو محمد، سليمان بن مهران الأسدي، الأعمش، روى عن الامام الصادق عليه السلام لقي كبار التابعين،فاضل، ثقة، جليل عند العامة والخاصة، توفي سنة ١٤٨ ه، ينظر ترجمته: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٢/ ٤٠٠، الكنى والألقاب: ٢٤٥.

وَأكلُ المِيتَةِ، والدَّمِ، ولَحمُ الخَنزِيرِ، وَمَا أُهِلَّ لِغَيرِ الله بِهِ مِن غَيرِ ضَرُورَةٍ، وَأكلُ السُّحتِ، وَالبَخسُ فِي المِكيَالِ، والمِيزَانِ، وَالمَيسِرُ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَاليَأسُ مِن رَوحِ الله، وَالأمنُ مِن مَكرِ الله، وَالقُنُوطُ مِن رَحمَةِ الله، وَتَركُ مُعَاوَنَةِ المَظلُومِينَ، وَالرُّكُونُ إلَى الظَّالِمِينَ، وَاليَمِينُ الغَمُوسِ، وَحَبسُ الحُقُوقِ مِن غَيرِ عُسرٍ، وَاستِعمَالُ الكِبرِ، والتَّجَبُّرِ، وَالكَذِبِ، وَالإسرَافُ، والتَّبذِيرُ، وَالخِيَانَةُ، وَالإستِخفَافُ بِالحَجِّ، وَالمُحَارَبَةِ لِأَولِيَاءِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَالمَلَاهِي الَّتِي تَصُدُّ عَن ذِكرِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَكرُوهَةً كَالغِنَاءِ، وَضَربُ الأَوتَارِ، وَالإصرَارُ عَلَى صَغَائِرِ الذُّنُوبِ، ثُمَّ قَالَ عليه السلام: إنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِقَومٍ عَابِدِينَ)[1].

ومنها: ما رواهُ في العيونِ فيما كَتَبَ الرِّضا عليه السلام للمأمونِ مِن شرائعِ الدِّينِ، واجتنابِ الكبائر، وهي: (قَتلُ النَّفسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَالزِّنَا، وَالسَّرِقَةُ، وَشُربُ الخَمرِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَينِ، وَالفَرَارُ مِنَ الزَّحفِ، وَأكلُ مَالِ اليَتِيمِ ظُلماً، وَأكلُ المِيتَةِ، والدَّمِ، ولَحمِ الخِنزِيرِ، وَمَا أُهِلَّ لِغَيرِ الله بِهِ مِن غَيرِ ضَرُورَةٍ، وَأكلُ الرِّبَا بَعدَ البَيِّنَةِ، وَالسُّحت، وَالمَيسَر - وَهوَ القِمَارُ - وَالبَخسُ فِي المِكيَالِ، والمِيزَانِ، وَقَذفُ المُحصَنَاتِ، واللُّوَاطِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَاليَأسُ مِن رَوحِ الله، وَالأَمنُ مِن مَكرِ الله، وَالقُنُوطُ مِن رَحمَةِ الله، وَمَعُونَةُ الظَّالِمِينَ، وَالرُّكُونُ إِلَيهِم، وَاليَمِينُ الغَمُوسِ، وَحَبسُ الحُقُوقِ مِن غَيرِ عُسرٍ، وَالكَذِب، وَالكِبَر، وَالإِسرَاف، وَالتَّبذِير، وَالخِيَانَة، وَالاستِخفَافِ بِالحَجِّ، وَالمُحَارَبَةِ لأَولِيَاءِ الله تَعَالَى، وَالاشتِغَالُ بِالمَلَاهِي، وَالإصرَارُ عَلَى الذُّنُوبِ)[2].

---

(١) الخصال: ٦١٠.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ١٣٤.

بيانٌ: أصلُ السُّحت الاستئصال، يُقالُ: سَحتَهُ، وأسحَتَه، أي: استأصله[1]، وفسَّرهُ بعضُ أصحابنا بالحرام.

روى الشَّيخ رحمه الله في التِّبيان، والطَّبرسي رحمه الله في مجمعِ البيانِ مُرسلاً، عن عليٍّ عليه السلام: (أنَّ السُّحت: الرَّشوَةُ فِي الحُكمِ، وَمَهرُ البَغِيِّ، وَكَسبُ الحَجَّامِ، وَعُسبُ الفَحلِ، وَثَمَنُ الكَلبِ، وَثَمَنُ الخَمرِ، وَثَمَنُ المِيتَةِ، وَحُلوانُ الكَاهِنِ، وَالاستِعجَالُ فِي المَعصِيَّةِ)[2].

وعُسُب الفحل، بالفتح: ماؤه، وضِرابُه[3]، فالتَّقديرُ، وكِراءُ "ضَرَبِ"[4] الفحلِ، أو قيمةُ مائهِ، على حذفِ مُضافٍ، وقيل: وإعطاءُ الكِراء على "الضَّربِ"[5]، وحُلوان الكاهِن: أُجرتُه، وهو مصدرٌ كالغُفران، وأصله مِنَ الحَلاوَة[6].

وقال في مجمع البيان: رُوي عن أبي عبدالله عليه السلام: (أَنَّ السُّحت أَنوَاعٌ كَثِيرَةٌ، فَأَمَّا الرُّشَا فِي الحُكمِ فَهوَ الكُفرُ بِاللهِ)[7].

وروى الصَّدوق رحمه الله في العُيون بالإسناد عن عليٍّ أبي طالب عليه السلام في قولِ

---

(١) مجمع البحرين، مادة (سحت).

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٥٢٨، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣/ ٣٣٨.

(٣) ينظر: الصحاح، مادة (عسب)، لسان العرب، مادة (عسب).

(٤) في نسخة (ب) ضراب.

(٥) في نسخة (ب) الضراب.

(٦) ينظر: مجمع البحرين، مادة (حلا).

(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣/ ٣٣٨.

الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾[1] أنَّه قال: (هُوَ الرَّجُلُ يَقضِي لِأَخِيهِ الحَاجَة، ثُمَّ يَقبَلُ هَدِيتَهُ)[2].

واليأسُ مِن رَوحِ الله في الخبرين، يُمكن أن يكونَ أعمُّ مِنَ القُنوطِ، فإنَّ القُنوط أشدُّ مِنَ اليَأْسِ[3] فالمُرادُ به ما سِوَى القُنوط مِن أفراده، ويُمكن أن يكونَ المُراد بِرَوحِ الله: الفَرجُ عِندَ الشَّدائد الدُّنياويَّة، فالمُرادُ برحمةِ الله: فضلهُ في الآخرة.

والحملُ على التأكيد بُعيدَ الإسراف قد فُسِّر بالتَّقصيرِ في ذِكرِ التَّبذيرِ تكريرٌ، وكذا لو فُسِّرَ بالأخذِ فوقَ الحدِّ، كما قيلَ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[4]، أنَّ الخِطاب للأئمَّة، لا لأربابِ الأموالِ.

ولو فُسِّر بِالأفراطِ في الإنفاقِ، وتجاوُز الحدِّ فيه، حتَّى تكونَ بمعنى التَّبذير [١١٦: ظ]، وهو مأخوذٌ مِن تفريقِ البَذرِ[5]، فيُمكن أن يخُصَّص الإسراف مثلاً بالإنفاقِ في المَعصِيَة، أو في غيرِ طاعةِ الله سُبحانه على وجهٍ لا يُعدُّ سَفهاً عُرفاً[6]، والتَّبذيرُ بما كان كذلك، أو يحُملُ على التأكيد، وإن بَعُدَ.

---

(١) من قوله تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ المائدة: ٤٢.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٢/ ٣١ ح ١٦.

(٣) ينظر: الفروق اللغوية: ٤٣٦.

(٤) من قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف: ٣١.

(٥) ينظر: تاج العروس، مادة (بذر).

(٦) ينظر: شرح الازهار: ٤/ ١٠٨.

وقد وَردَ في بعضِ المعاصي بخُصوصها، أنَّها مِنَ الكبائر، فمنها: الغِنَاء، روى محمّد بن يعقوب الكليني رحمه الله بإسنادٍ عن محمَد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: (سَمِعتُهُ يَقُولُ: الغِنَاءُ مِمَّا أَوعَدَ اللهُ عَلَيهِ النَّار، وَتَلا هَذِهِ الآيَة: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾[1])[2].

وقال في مجمع البيان: (أكثرُ المُفسِّرين على أنُ المُراد بلهو الحديث: الغناء، وهو المرويُّ عن أبي جعفر، وأبي عبدالله، وأبي الحَسَن الرِّضا عليهم السلام)[3].

وقال الشَّيخ في التِّبيان: (وهو المرويُّ عن أبي جعفر عليه السلام)[4] رواه محمّد بن يعقوب أيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام[5].

وروى محمّد يعقوب في الصَّحيح عن أبي الصَّباح الكناني[6] عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ**﴾[7]: (الغِنَاءُ)[8].

---

(١) لقمان: ٦.

(٢) الكافي: ٦/ ٤٣١ ح ٤.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٧/ ٣١٥.

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ٨/ ٢٧١.

(٥) ينظر: الكافي: ٦/ ٤٣١ ح ٦.

(٦) إبراهيم بن نعيم العبدي، روى عن الامام الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام سماه الامام الصادق بالميزان لثقته، له كتاب، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ١٩، معالم العلماء: ١٧٣.

(٧) من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ لقمان: ٧٢.

(٨) الكافي: ٦/ ٤٣١ ح ٦.

وفي معنى هذه الأخبار، وتحريمُ الغناءِ أخبارٌ كثيرة، وأخصُّ تفاسير الغِناءِ على قولِ مَن فسَّره مِن أصْحابنا: كالمحقق، وَالعَلَّامة، والشَّهيد، وابن إدريس، وأهلُ اللُغةِ هو: (مَدُّ الصَّوتِ المُشتملُ على التَّرجيعِ المُطرِب)[1]، فهذا المعنى ممَّا لا خِلافَ في أنَّه مِن أفرادِ الغِناء، إنَّما الكلامُ فيما هو أعمُّ مِن ذلك، كالصَّوت المُشتمل على التَّرجيع وحده، أو الإطراب وحده، وَقَدْ صَرَّح اللُّغويُّون بأنَّ الطَرب أعمُّ مِمَّا كان لِحُزنٍ أو سُرور، وعُرفُ العرب في هذا الزَّمان أيضاً قاضٍ بأنَّ المُشتمل على الوَصفَينِ مِن الغناءِ، على أنَّه لا يضرُّ النَّقل بعد ثبوتِ أنَّه منه بقولِ الثِّقات مِن الفُقهاء، واللُّغويِّين، ولتفصيل الكلام في ذلك موضِعٌ آخر إنْ شاءَ اللهُ.

ومنها: الكذب على الله، وعَلى رَسُوله صلى الله عليه وآله، والأئمَّة عليهم الصَّلاة والسَّلام روى الصَّدوق رحمه الله في الفقيه، وثواب الأعمال بالإسنادِ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (الكَذِبُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَى رَسُوله، وَعَلَى الأَوصِيَاءِ عليهم السلام مِنَ الكَبَائِرِ)[2].

ومنها: الحَيفُ في الوصيَّة، روى الحِميريُّ رحمه الله في كتابِ قُربِ الإسناد عن الصَّادق، عن أبيه عليهما السلام قال: (الحَيفُ فِي الوَصِيَّةِ مِنَ الكَبَائِرِ)[3] يعني:

---

(١) ينظر: شرائع الاسلام: ٤/ ٩١٣، تحرير الاحكام: ٥/ ٢٥١، غاية المراد في شرح نكت الارشاد، الشهيد الاول، رضا المختاري واخرون: ٤/ ١٠٩، السرائر، ابن ادريس الحلي: ٢/ ١٢٠، مجمع البحرين، مادة (غنى).

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٥٦٩ ح ٤٩٤١، ثواب الاعمال: ٢٦٨.

(٣) قرب الاسناد: ٦١ ح ١٩٨.

الظُّلم فيها.

ومنها: الإصرارُ على الذَّنب، روى محمّد بن يعقوب بإسناده [عن عبد الله ابن سنان][1] عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (لاَ صَغِيرَة مَعَ الإصرارِ، وَلاَ كَبِيرَة مَعَ الإستِغفَارِ)[2].

روى الصَّدوق رحمه الله في الأمالي في خبر مناهي النَّبيِّ صلى الله عليه وآله، أنَّه قال: (لَا تُحَقّروُا شَيئاً مِنَ الشَّرِّ، وَإن صَغُرَ فِي أَعيُنِكُم، وَلَا تَستَكثِرُوا الخَيرَ، وَإن كَثُرَ فِي أَعيُنِكُم، فَإنَّه لَا كَبِيرَةَ مَعَ الإستِغفَارِ، وَلَا صَغِيرَة مَعُ الإصرَارِ)[3]، وقد مرَّ في خبرِ الأعمش، وكتابُ الرِّضا عليه السلام[4] أنَّه مِنَ الكبائر، وصرَّح الشَّهيدان، وغيرهُما مِن أصحابنا: (بأنَّ الإصرار يكونُ فعليَّاً، وهو: المُداومَةُ على نوعٍ واحدٍ مِنَ الصَّغائر بلا توبةٍ، أو الإكثارُ مِن جنسِها كذلك، وحُكميَّاً: وهو العزمُ على فعلِ تلكَ الصَّغيرة بعدَ الفراغِ منها)[5]، وقال الشَّهيدُ رحمه الله في قواعده: (أمَّا مَن فعلَ الصَّغيرة، ولم يخطُر بباله بعدَها توبةً، ولا عَزَمَ على فِعلها، فالظَّاهرُ أنَّه غيرُ مُصرٍّ، ولعلَّه مِمَا يُكَفِّرُه الأعمالُ الصَّالحة مِنَ الوُضوءِ،

---

(١) من نسخة (ب).

(٢) الكافي: ٢/ ٢٨٨ ح ١.

(٣) الامالي، الشيخ الصدوق: ٥١٨.

(٤) ينظر: الخصال: ٦١٠.

(٥) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأول، تحـ: مؤسسة آل البيت عليهم السلام الإحياء التراث: ٤/ ٤٧٥، مسالك الافهام في شرح شرائع الاسلام: ١٤/ ١٦٨، التنقيح الرائع لمختصر الشرائع: ٤/ ٢٩٢.

والصَّلاةِ، والصِّيام، كما جاء في الأخبار)[1] انتهى.

ولا يخفى أنَّ كونُ المُداومَةِ على الذَّنب إصرارٌ مِمَا لا شُبهةَ فيه؛ لقضيَّة العُرفِ، واللُّغة، والظَّاهرُ أنَّه لا يلزمُ إتحادُ الذَّنبِ نوعاً، وأمَّا كونُ العزمِ بعدَ الفعلِ منه، فلا يخلو عن تأمُّل.

ويُمكن أن يُستدلَّ له بِما رواه محمّد يعقوب، عن عمرو بن شمر[2] عن جابر عن أبي [١١٧: و] جعفر عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[3] قال: (الإصرارُ: هُوَ أن يُذنِبَ الذَّنب لا يَستَغفِرُ، وَلَا يُحدِّث نَفسَهُ بِتوبَةٍ، فَذَلِكَ الإصرَارُ)[4]، بل لا يَبعُد أن يُقال: إنَه يدلُّ على كونِ الأعمِّ مَنَ المُدَّعى مِن جُملة الإصرارِ، لكنَّ في السَّند ضَعفٌ[5] كما ترى، ولا يَبعدُ أن يُعدَّ مِنَ الكبائرِ استصغارُ المَعصيَّةِ لِمَا وَرَدَ في الأخبارِ: مِن

---

(١) القواعد والفوائد، الشهيد الاول، تح: السيد عبد الهادي الحكيم: ١/ ٢٢٧.

(٢) ابو عبد الله عمرو بن شمر بن يزيد، الجعفي الكوفي. روى عن الامام الصادق عليه السلام، فقد ضعفه أكثر من ترجم له وقال النجاشي: ضعيف جدا، له كتاب رواه عنه إبراهيم بن سليمان الخزاز، ينظر ترجمته: جوابات اهل الموصل، الشيخ المفيد، تح: الشيخ مهدي نجف: ٣٥، الرجال، النجاشي: ٢٨٧، الفهرست، الشيخ الطوسي: ١٨٢، مستطرقات السرائر: ٣/ ٢٧٤، خلاصة القوال: ٣٧٨.

(٣) من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران: ١٣٥.

(٤) الكافي: ٢/ ٢٨٨ ح٢.

(٥) لضعف عمرو بن شمر كما تقدم.

أنَّه لا تُغفرُ، ومِن جُملتها: ما رواه الشَّيخ رحمه الله في كتاب الغَيبَة عن أبي هاشم الجعفريّ[1] قال: سَمِعتُ أبا محمّد عليه السلام يقولُ: (مِنَ الذُّنوبِ الَّتِي لاَ تُغفَرُ: قَولُ الرَّجُل: لَيتَنِي لَا أؤاخَذُ إلَّا بِهَذَا، فقلتُ في نفسي: إنَّ هذا لهوى الدَّقيق، ينبغي للرَّجُل أن يتفقَّدَ مِن أمره، ومِن نفسه كُلَّ شيءٍ، فأقبلَ أبو محمّد عليه السلام، فقال: يَا أبّا هَاشِم، صَدَقتَ، فَالزَم مَا حَدَّثتَ بِهِ نَفسَكَ، فَإِنَّ الإشرَاكَ فِي النَّاسِ أَخفَى مِن دَبِيبِ الذَّرِّ عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيلَةِ الظَّلمَاءِ، وَمِن دَبِيبِ الذَّرِّ عَلَى المَسحِ الأَسوَدِ)[2].

ويُمكنُ أن يُعدَّ منها: الرِّئاء، لما رَواه محمّد بن يعقوب بالإسنادِ عن يزيد بن خليفة[3] قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: (كُلُّ رِئاءٍ شِركٌ، إِنَّهُ مَن عَمِلَ لِلنَّاسِ كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى النَّاسِ، وَمَن عَمِلَ لله كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى الله)[4].

وبمضمونه رواياتٌ أُخر، وهذا مع قطعِ النَّظرِ عن بُطلانِ العِبادَةِ المقرونَةِ بالرِئاءِ، وقد عدَّ بعضُ الأصحابِ منها أُموراً، قال الشَّهيدُ رحمه الله في القواعد: (كُلُّ

(١) داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب، روى عن الامام الرضا والجواد والهادي والعسكري وصاحب الامر، عظيم المنزلة عندهم، ورعا زاهدا، عابدا متنسكا، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ١٥٦، الرجال، ابن داود: ٩١.

(٢) الغيبة، الشيخ الطوسي، تح: الشيخ عباد الله الطهراني واخرون: ٢٠٧ ح ١٧٦.

(٣) يزيد بن خليفة الحارثي، حلواني عربي وليس من بني الحارث ولكنه من بني يا من، إخوة بني الحارث وعداده فيهم، روى عن الامام الصادق عليه السلام له كتاب، ينظر ترجمته: الرجال، البرقي: ٣١، الرجال، النجاشي: ٤٥٢، الرجال، الشيخ الطوسي: ٣٢٥، خلاصة الاقوال: ٤١٧، رجال ابن داود: ٢٨٤.

(٤) الكافي: ٢/ ٢٩٣ ح ٣.

مَا توعَّد الشَّرعُ عليه بِخصُوصِه فإنَّه كبيرةٌ، وقد ضبطَ ذلك بعضهُم، فقال: هي: الشِّركُ بالله، والقتلُ بغيرِ حقٍّ، واللُّواط، وَالزِّنا، والفَرارُ مَن الزَّحفِ، والسِّحر، والرِّبا، وقذفُ المُحصنات، وأكلُ مالِ اليتيم، والغِيبَةُ بِغيرِ حقٍّ، واليمينُ الغَموس، وشهادةُ الزُّورِ، وشربُ الخمرِ، واستحلالُ الكَعبَةِ، والسَّرقة، ونكثُ الصَّفقةِ، والتعرُّب بعدَ الهِجرَة، واليأسُ مِن رَوحِ الله، والامنُ مِن مكرِ الله، وعُقوق الوالِدَينِ، وكُلُّ هذا وَردَ في الحديث منصوصاً عليه بأنَّه كبيرةٌ.

ووَردَ أيضاً: النَّميمة، وتركُ السُّنَّة، ومَنعُ[1] ابنَ السَّبيلِ فضلَ الماء، وعدمُ التَّنزُّه مِن البولِ، والتَّسبُّب إلى شتم الوالِدَينِ، والإضرارُ في الوصيَّة)[2] انتهى.

وقال الشَّهيد الثاني[3] رحمه الله في شرح اللُّمعة: (هي ما تُوعِّدَ عليها بخصوصها في كتابٍ أو سُنَّة، وهي إلى سبعمائة أقربُ منها إلى سبعين وسبعة، ومنها: القتلُ، والرِّبا، والزِّنا، واللّواط، والقيادة، والدِّياثة، وشُرب المُسكِر، والسَّرقة، والقذفُ، والفَرارُ مِنَ الزَّحف، وشهادةُ الزُّور، وعُقوق الوالِدينِ،

(١) في نسخة (ب): ومع.

(٢) القواعد والفوائد: ١/ ٢٢٤.

(٣) زين الدين بن محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني العاملي الجبعي، أحد مشاهير علماء عصره ولد بجبع سنة ١٠٠٩هـ، درس في صغره على والده وسافر إلى العراق، ثم إلى إيران، وقد برع بالعلوم العقلية، والنقلية، فكان محقّقاً، أديباً، شاعراً، جليل القدر تصدى للتدريس، وبرع فيه، وكان حسن التقرير، قوي الاستحضار، حاضر الجواب، له مؤلفات كثيرة منها: مسالك الإفهام، بداية الدراية، مسكن الفوائد، روض الجنان، توفي سنة: ١٠٦٢هـ، ينظر: الاعلام: ٣/ ٦٤، معجم المؤلفين: ٤/ ١٩٤، موسوعة طبقات الفقهاء: ١١/ ١١٤،

والامـنُ مِـن مكـرِ الله، واليـأسُ مِـن رَوحِ الله، والغَصـبُ، والغِيبَـة، والنَّميمـة، واليمينُ الفاجِرَة، وقطيعةُ الرَّحِـم، وأكلُ مـالِ اليتيـم، وخيانَـةُ الكيـل، والـوَزن، وتأخيرُ الصَّـلاةِ عـن وقتهـا، والكَـذِب خصوصـاً عـلى رَسُـولِ الله ﷺ، وضربُ المُسلم بغيرِ حقٍّ، وكتمانُ الشَّهادة، والرِّشوة، والسِّعايةُ إلى الظَّالِم، ومنعُ الزَّكاة، وتأخيرُ الحجِّ عن عامِ الوجوبِ اختياراً، أو الظِّهار، واكلُ لحمِ الخنزيرِ، والمِيتَة، والمُحاربة بقطعِ الطَّريق، والسِّحرُ، للتوعّدِ على ذلك كلِّه، وغيره)[1] انتهى.

ثُمَّ إنَّ الظَّاهر في هذا المقام، ما ذهبَ إليه المُتأخرون مِن أصحابنا مِن إنقسام الذُّنوب إلى صغائر، وكبائر[2]، ولعلَّ ما حكاه الشَّيخ الطَّبرسي رحمه الله عن أصحابنا، مِن أنَّ الذُّنوب كُلَّها كبائر، مأخوذٌ مِن كلامِ الشَّيخ رحمه الله في التِّبيان كأكثر المواضِع، وكلامه فيه لا يخلو عن إجمال فإنَّه قال: (المعاصي، وإن كانت كُلُّها عِندنا كبائر؛ مِن حيث كانت معصيةُ الله تعالى، فإنَّا نقول: إنَّ بعضها أكبر مِن بعضٍ، ففيها إذاً كبيرٌ بالإضافة إلى ما هو أصغرُ منه، ثُمَّ قال بعد نقلِ مذهب المُعتزلة: فعلى مذهب المُعتزلة، مَن اجتنب الكبائر، [١١٨: ظ]، وواقَعَ الصَّغائر، فإنَّ اللهَ يُكفِّر الصَّغائر عنه، ولا يَحسُن مع اجتنابِ الكبائر عِندَهُم المُؤاخذَة بالصَّغائر، ومتى وَاخَذَهُ بها كان ظُلماً[3]، وعندنا: أنَّه يحسُن مِن الله تعالى أن يُؤاخذ العاصي بأيِّ معصيَةٍ فعلها، ولا يجبُ عليه إسقاطُ عقاب معصيته، لمكان اجتناب ما هو أكبرُ منها، غيرَ أنَّا نقول: إنَّه

(١) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ٣/ ١٢٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ١٦٩.

(٣) في المصدر: آخذه بها كان ظالما.

تعالى وعَدَ تفضُّلاً منه أنَّ مَن اجتنَبَ الكبائر يُكَفِّر عنه ما سواها، بأن يُسقِط عقابها عنه تفضُّلاً، ولو وَاخَذَهُ بها لم يكُن ظالِماً، ولم يُعيِّن الكبائر التي إذا اجتنبها كفَّر مَا عَدَاهَا، لأنَّه لو فعلَ ذلك لكان فيه إغراءً بمَا عدَاها، وذلك لا يجوزُ في حكمته تعالى)[1] انتهى.

ويُمكن أن يُحمل كلامه على نفي كون بعض الذُّنوب صغيرةً، بمعنى أنَّه يقبُحُ المُؤاخذة عليها بعد اجتناب الكبائر، ويكونُ ظُلماً، كما زعمت المعتزلة.

وهذا لا يُنافي القول بانقسام المَعصِيَةِ إلى كبيرةٍ، والى صغيرةٍ، وَعَدَ اللهُ سُبحانه أن يُكفِّرها عمَّن اجتنب النَّوع الآخر، وإن كانت الصَّغيرة أيضاً كبيرة، مِن حيث أنَّها عصيانٌ للكبير، لا يُقبَّحُ العذاب عليها مع قطعِ النَّظر عن الوعدِ.

ولعلَّ تعليله لعدم التَّعيُّن باستلزام اليقين الإغراء بالصَّغائر يدلُّ دلالةً ظاهرة على ما ذكرنا فتأمّل.

ويُمكن ان يكونَ منشأ إسنادِ القول بعدم الانقسام إلى أصحابنا [مطلقاً][2] هذا النَّوع مِن الإبهام في كلامهم، واللهُ اعلم.

ولعلَّ الأقربُ في الجمع بين الأخبار أن يُقال: المُرادُ بما أوجبَ اللهُ، أو أوعدَ عليه النَّار: أو نهى عنه، أعمُّ مِمَا كان النَّهيُّ عنه، أو الوَعيدُ عليه في الكلام المجيد، أو في الأخبارِ النَّبويَّة، أو في آثارِ أئمَّتنا الأطهار (سلامُ اللهِ

---

(١) التبيان في تفسير القرآن: ١/ ١٥٩.

(٢) من نسخة (ب).

عليهم) فإنَّ الكُل نهيه سُبحانه، ووعيده.

ويُحملُ ما في تفسير عليٍّ بن إبراهيم على بيانِ بعض الأفراد لا على التحديد المُصطلح، ويكونُ تخصيص الخمسة، أو السَّبعة أو نحو ذلك بالذِّكر كما سَبقَ في الأخبارِ؛ لكونها أكبر بالإضافة إلى بعض، أو للإهتمام بها بحسب المقام، ورعايةُ حال السَّائل أو السَّامعين في رَدعِهم عن القبيح، وزجرهم عن ارتكاب المعصيّة، أو نحو ذلك من "الأغراض"[1].

ويُعمّم الوعيد بالنَّار، وايجابها حتَّى يشمل ما لم يَرِد فيها ذلك صريحاً، بل وَرَدَ فيها نوعٌ مِنَ الذَّمِّ الَذي هو في قوَّة الوعيد الصَّريح بها حينئذ، وتتسِع الدَّائرة في معنى الكبيرةِ، ويتضيَّقُ المجال في أمرِ العدالةِ، وباللهِ التَّوفيق.

وللجمهورِ في هذا المقام مذاهبُ لا جدوى في التعرُّض لها، وقد ظهرَ ما ذُكِرَ أن كلامه عليه السلام، وكذا الآية الشَّريفة المذكورة، لا يدلُّ على مَذهَبِ المُعتزلِة، بل على ما هو أعمُّ منه، ولا دِلالة للعامِّ على الخاصِّ، فقولُ بعض الشَّارحين: إنَّ هذا قصُّ مذهب المُعتزلة في الوعيد فاسدٌ، والقصُّ: بالفتح الصَّدر، أو وسطه، أو رأسه[2].

﴿وَبَيْنَ مَقْبُول في أَدْنَاهُ، ومُوَسَّع في أَقْصَاهُ﴾[3]

---

(١) في نسخة (ب): الاغراز.

(٢) ينظر: تاج العروس، مادة (قصّ).

(٣) نهج البلاغة: ٣٢ خ١.

"مثلوا له"[1] بالقراءة فان القليل منها مقبول، والكثير منها موسّع مرخّص في تركه.

ومِنْها: ﴿وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الحَرَامِ﴾[2]

الفرضُ: في اللُّغة التَّوقيتُ، والتَّقدير، وأَصْلهُ مِن فَرْض القوس، وهو: الحَزُّ الَّذي يقعُ فيه الوَتر[3]، ويُطلقُ على الواجب مُطلقاً، وعلى ما ثبت وجوبه مِن القرآنِ. وقيل: الفرضُ آكد مِن الواجب، وقيل: الفرض الواجبُ[4] بجعلِ جاعل؛ لأنَه فَرَضَهُ على صاحبه، والواجبُ قد يكون واجباً مِن غيرِ جَعلِ جاعِل، فالفرضُ على هذا هو: الواجبُ الَّذي لم يستقلّ العقل في الحُكمِ بوجُوبِه.

والحَجُّ، بالفتح في اللُّغة: القصدُ المُتكرر، أو مُطلقاً، والحِجُّ بالكسر، الاسم[5]، وفي النُّسخ بالفتح، وقيل: الفتحُ، والكسُر لُغتان [١١٩: و]، وخُصَّ في الشَّرعِ بقصدٍ مُعيَّن، ذي شروطٍ معلومةٍ.

ويُمكن أن يُحمَل في كلامه عليه السلام على المعنى اللُّغوي، والحرام كما في بعضِ النُّسخ: ما لهُ حُرمة، والحُرمة: كُلُّ ما لا يجوز انتهاكه[6]، وسُمِّيت الكعبة

(١) في نسخة (ب): مثلوه.

(٢) نهج البلاغة: ٣٢ خ١.

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة، (فرض).

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث والاثر: ٣/ ٤٣٢.

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (حجج).

(٦) ينظر: مجمع البحرين، مادة (حرم).

حراماً؛ لأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حرَّم أن يُصادَ صَيْدُها، أو يُعضَد شجرها، أو يُخلى خلاها، أو يُؤخذ لقطتُها إلَّا على وجهٍ، أو يُخرجُ الجاني منها[1].

روى محمّد بن يعقوب الكليني رحمه الله بإسناده عن زُرارة، قال: سَمِعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: (حَرَّم اللهُ حَرَمَهُ أن يُختَلَى خَلَاهُ، أو يُعضَدُ شَجَرَهُ إلَّا الأَذخُر، أو يُصَادُ طَيرُهُ)[2].

وعن حرين[3] عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: ألاَ إنَّ اللهَ قَد حَرَّمَ مَكَّةَ يَومَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ، والأَرضِ، فَهيَ حَرَامٌ بِحَرَامِ الله إلَى يَومِ القِيَامَةِ، لَا يُنفَرُ صَيدُهَا، وَلَا يُعضَدُ شَجَرُهَا، وَلَا يُختَلى خَلَاهَا، وَلَا تَحِلُّ لُقطَتهَا إلَّا لِمُنشِدٍ، فَقَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ الله، إلَّا الإذخُر، فَإنَّهُ لِلقَبرِ، والبيوتِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله: صلى الله عليه وآله إلَّا الأذخُر)[4].

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عَنْ قولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا**﴾[5] البَيتَ عنى أم الحرم؟ قال: (مَن دَخَلَ

---

(١) ينظر: المبسوط: ٣/ ٣٢٧، جامع تأويل القرآن: ٧/ ١٠٣.

(٢) الكافي: ٤/ ٢٢٥ ح ٢.

(٣) هكذا في المصدر، وفي الكافي حريز، وهو تصحيف، وهو حريز بن عبد الله السجستاني، أبو محمد الازدي الكوفي، روى عن الإمام الصادق والكاظم عليهما السلام كان يتاجر بالسمن، له كتب، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ١٤٤، خلاصة الاقوال: ١٣٤.

(٤) الكافي: ٤/ ٢٢٥ ح ٣.

(٥) من قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ٩٧.

الحَرَم مِنَ النَّاسِ مُستَجِيراً بِه فَهوَ "آمِنٌ"[1] مِن سَخَطِ الله، وَمَن دَخَلَهُ مِنَ الوَحشِ، والطَّيرِ كَانَ آمِناً مِن أَن يُهَاجَ، أَو يُؤذَى، حَتَّى يَخرُجَ مِنَ الحَرَم)[2].

وعن الحلبيّ[3] عن أبي عبدالله عليه السلام قال سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾[4] قال: (إِذَا أحدَثَ العَبدُ جِنَايَةً فِي غَيرِ الحَرَم، ثُمَّ فَرَّ إِلَى الحَرَم، لَم "يَسُغ"[5] لِأَحدٍ أن يَأخُذَهُ فِي الحَرَم، وَلَكِن يُمنَعُ مِنَ السُّوقِ، وَلاَ يُبَايَعُ، وَلَا يُطعَمُ، وَلَا يُسقَى، ولَا يُكَلَّم، فَإِنَّهُ إِذَا فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ يُوشَكُ أن يَخرُجَ فَيُؤخَذ، وَإِذَا جَنَى فِي الحَرَمِ جِنَايَةً، أُقِيمَ عَلَيهِ الحَدَّ فِي الحَرَم؛ لأَنَّه لَم "يَرْعَ"[6] لِلحَرَمِ حُرمَةً)[7].

توضيحٌ: الخَلا: مقصود النَّبات الرَّقيق مادام رطباً، وإذا يبسَ فهو حشيشٌ، واختلا الخلا: قَطعُه[8]، كما أنَّ عَضد الشَّجر: قُطعَه، والإنشاد: التَّعريف، تقولُ: أنشدتُ الضَّالَّة، فأنا مُنشدٌ إذا عَرَّفْتَها، ونَشَدْتُها فأنا ناشد،

---

(١) في نسخة (ب): آمن به.

(٢) الكافي: ٤/ ٢٢٦ ح ١.

(٣) يطلق على محمد وعبيد الله ابن علي بن ابي شعبة، وعلى غيرهم وجميعهم من الرواة، ينظر: الكنى والالقاب: ٢/ ١٨٤.

(٤) آل عمران: ٩٧.

(٥) في نسخة (ب):يسع.

(٦) في نسخة (ب): يدع.

(٧) الكافي: ٤/ ٢٢٦ ح ٢.

(٨) ينظر: عمدة القاري: ١٢/ ٢٧٥.

إذا طلبتها[1]، وهاجَ الشيَّء يهيجُ هَيْجا، وهيَجانا، أي: ثار، وهاجَهُ غيره، يتعدَّى، ولا يتعدَّى[2].

﴿الَّذي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنامِ﴾[3]

القِبلة: الجِهة، وكُلَّما يُستَقبلُ، والحالةُ التي تُقابل الشَّيء غيره عَليها، كما أنَّ الجلسة هي: الحالُ التي يجلسُ عليها، ثُمَّ صارت عَلَماً للجِهَةِ التي تُستقبَل في الصَّلاة[4]، روى علّي بن إبراهيم، في تفسيره عن الصَّادق جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: (حُوِّلَت القِبلَةُ إلَى الكَعبَةِ بَعدَمَا صَلَّى النَّبيُّ صلى الله عليه وآله بِمَكَّةَ ثَلاثَةَ عَشَر سَنَة إلَى بَيتِ المَقدِس، وَبَعدَ مُهَاجِرتِهِ إلَى المَدِينَةِ، صَلَّى إلَى بَيتِ المَقدِس أيضاً سَبعَةَ أَشهُر، قَالَ: ثُمَّ وَجهَهُ الله إلَى الكَعبَةِ، وَذَلِكَ أنَّ اليَهُودَ كَانُوا يُعَيِّرُونَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله، ويَقُولُونَ: أَنتَ تَابِعٌ لَنَا، تُصَلِّي إلَى قِبلَتِنَا، فَاغتَمَّ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله مِن ذَلِكَ غَمَّاً شَدِيداً، وَخَرَجَ فِي جَوفِ اللَّيلِ يَنظُر إلَى آفَاقِ السَّمَاءِ، يَنتَظِرُ مِنَ الله فِي ذَلِكَ أَمراً، فَلَمَّا أَصبَحَ، وحَضَرَ وَقتُ صَلَاةِ الظُّهرِ، وَكَانَ فِي مَسجِدِ بَنِي سَالِمٍ، قَد صَلَّى الظُّهرَ رَكعَتَينِ، فَنَزَلَ جَبرَئيل فَأَخَذَ بِعَضُدَيهِ، وحَوَّلَهُ إلَى الكَعبَةِ، وَأُنزَلَ عَلَيهِ: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾[5]، فَكَانَ

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والاثر: ٥/ ٥٣.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (هيج).

(٣) نهج البلاغة: ٣٢ خ١.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (قبل)، تاج العروس، مادة (قبل).

(٥) من قوله تعال: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ

صَلَّى رَكعَتَينِ إلَى بَيتِ المَقدِسِ، وَرَكعَتَينِ إلَى الكَعبَةِ، فَقَالَت اليَهُودُ، والسُّفَهَاءُ مَا وَلَّاهُم عَن قِبلَتِهِم)[1].

ثُمَّ أنَّ الظَّاهر مِن كلامه عليه السلام أنَّ [١٢٠ : ظ] القِبلَة: هِي عينُ الكَعبةِ[2]، وقد اختلف الأصحابُ فيه، فذهَبَ السيِّد المُرتضى، والعلَّامة[3]، وأكثرُ المُتأخرين إلى (أنَّها الكَعبَة لِمَن يتمكَّن مِنَ العِلمِ بها مِن دُونِ مَشَقَّةٍ كثيرةٍ لا تُحتَمَل عادةً، كالمُصلِّي في بيوت مكَّة وجهتها لغيره)[4].

وذهبَ الشَيخُ[5]، والمُحقق[6] في الشَّرائع، وجماعةٌ: إلى أنَّ (الكعبة قِبلَةُ أهلِ المسجدِ، والمسجدُ قِبلَةَ أهلِ الحَرَم، والحَرَمُ قِبلَة مَن كان خارجاً عنه)[7].

والخِلافُ في الحقيقة؛ إنَّما هو في البعيد، وأمَّا القريب، فنقلوا الإجماع على أنَّ فرضَهُ استقبالُ العينِ، وظاهرٌ أنَ كون القِبلَة هي عينُ الكَعبةِ حقيقةً

وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ البقرة: ١٤٤.

(١) تفسير القمي: ١/ ٦٣.

(٢) المعتبر، المحقق الحلي: ٢ / ٦٥.

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٤) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ٤٠، تحرير الاحكام: ١/ ١٨٥، رسائل الكركي، المحقق الكركي، تح: الشيخ محمد الحسون: ١/ ٦٨.

(٥) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٦) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٧) الخلاف، الشيخ الطوسي: ١/ ٢٩٥، شرائع الاسلام: ١/ ٥١، كشف الرموز: ١/ ١٣٠.

بالنِّسبةِ إلى البعيد تكليفُ ما لا يُطاقُ.

فالأظهرُ مِن كلامه عليه السلام حيثُ جعلَ البيتَ قِبلَةً للأنام أن تكونَ القِبلَة للبعيدِ هي الجِهة، وعرَّفها بعضُ الأصحابِ بأنَّها السَّمتُ الَّذي يُحتمَلُ كونُ البيتِ فيه، ويُقطَعُ بِعَدَم خُروجِها عنه للأَمَارَةِ الشَّرعيَّة.

﴿يَرِدُونَهُ وُرُودَ الأَنْعَامِ، وَيأْلَهُونَ إِلَيْهِ، وُلُوهَ الحَمَامِ﴾[1]

وُرُودُ الماءِ: حُضوره للشُّرب، والوِردُ بالكسر: الماء[2] الَّذي يَرِده الوَارِدُون، ووجهُ التَّشبيه بِوُرودِ الأنعامِ أنَّ الخَلقَ يَرِدُونَ البَيتَ بازدحامٍ، وشوقٍ، كالأنعامِ عِندَ وُرودِها الماء، وقيل: وجهُ الشَّبه عَدمُ إطلاعِ الخَلقِ على أسرارِ الحَجِّ، ووظائفه، والحِكَم الإلهيَّة المُودَعَة فيه، ولا يخفى بُعده.

والظَّاهرُ: إنَّ الولوه، كما في النُّسخ التي رأيناها، مَصْدَر اله المهموز، وهذا المَصْدَر غيرُ مذكورٍ فيما ظفرنا به مِن كلامِ أهلِ اللُّغة، وكان في نُسخة ابن أبي الحديد وله الحَمَامُ بالتحريك، قال: الوَلَهُ: شِدَّةُ الوَجدِ، حتَّى يكادُ العقل يَذهَب يقال: وَلِهَ الرَّجل يَوْلَه وَلَهاً، ومَن رَوى يألهون إليه، وُلُوهَ الحَمَامِ، فسَّره بشيءٍ آخر، وهو: يعكفون عليه عُكوفَ الحَمَامِ.

وأصلُ إله: عَبَدَ، ومنه الإله المعبود[3]، ولَمَّا كان العُكوف على الشيَّء كالعبادةِ له؛ لُملازمته، والانقطاع إليه، قيل: أله فلان إلى كذا، أي: عَكفت

(١) نهج البلاغة: ٣٢ خ١.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ورد).

(٣) ينظر: الصحاح، مادة (أله)، لسان العرب، مادة (أله).

عليه كأنَّه يعبده.

ولا يجوزُ أن يُقال: يألهون في هذا الموضِع، بمعنى يُولهون، وأنَّ أصلُ الهَمزَة الواو، كما فسَّره الرَّاوندي؛ لأنَّ فعولاً لا يجوز أن يكون مصدراً مِن فعلت بالكسر، ولو كان يألهون هو يُولهون، كان أصلُه أَلِه بالكسر، فلم يجُز أن يُقال: وُلوهُ الحَمَامِ، فأمَّا على ما فسرناه نحنُ، فلا يمتنع ان يكونَ الوُلوه مصدر الإلَه المفتوح كقولك: دخلَ دُخولاً[1]، انتهى.

ووجهُ التَّشبيه بوُلوه الحَمَام، أنَّها مثلٌ في الشَّوق إلى وَكرِه، وفرخِه، ورُوي عن جابر أنَّ النَّبيّ ﷺ قال: (شَكَت الكَعبَةُ إلَى الله قِلَّةَ زُوَارِهَا، فَأَوحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيهَا: لَأَبعَثَنَّ إلَيكِ أَقوَامَاً يَحِنُّونَ إِلَيكِ كَمَا تَحِنُّ الحَمَامَةُ إلَى فَرخِهَا)[2].

وقال في حياةِ الحيوان في طَبعِ الحَمَامِ: (أنَّه يطلِبُ وَكرَهُ، ولو أُرسِلَ مِن ألفِ فَرسَخٍ، يَحمِلُ الأخبارَ، ويأتي بها منَ المسافة البعيدة في المُدَّة القريبة، وربما اصطيد، وغاب عن وطنه عشر حُجَج، ثُمَّ هو على ثباتِ عقله، وقوَّة حفظه، ونُزوعه إلى وطنه، حتَّى يجدَ فرصته، ويجيءُ إليه)[3].

﴿ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلاَمَةً لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ ﴾[4]

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد: ١/ ١٢٣،.

(٢) بحار الأنوار: ٦٢ ح ٢٧.

(٣) حياة الحيوان الكبرى، الدميري: ١/ ٣٦٥.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٣٣ خ١، وفيه: (جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ)

سيجيئ تفصيلُ القول في ذلك إنْ شاءَ اللهُ تعالى، في الخُطبة القاصِعة.

﴿وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ﴾[1]

السُّمَّاعُ: جمعُ سامِع، وهذا الوزنُ مِنَ الأوزانِ التي يُجمَع عليها فاعل الصِّفة غالباً، والمُراد بالدَّعوة: أمَّا أمرُه سُبحانه بالحَجِّ في كُتبه، وعلى ألسِنَة رُسُلِهِ، وتَراجِمَةُ وحيه، على وجهِ التَّكليف الظَّاهري، أي: أجابوا مُتوجِّهين راغبين إليه أمره، وعَمِلُوا بما أَمرَهُم به، وهو المُرادُ بتصديق كلمته، أي: كلامُه فيكونُ كالتَّفسيرِ لِما قَبلَهُ.

أو المُراد بالدَّعوة: ما رَوتهُ العامَّة، والخاصَّة [١٢١: و] بطُرقٍ مُتعدِّدة، ووُجوهٍ مُختلِفة مِن أنَّه تعالى أمرَ إبراهيم عليه السلام أن يدعو النَّاس إلى الحَجِّ حين بنى البيت، فنادى فأجابه النَّاس في أصلابِ الرِّجال، وارحام النِّساء[2].

روى محمّد بن يعقوب رضي الله عنه بإسناده عن عبد الله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (لَمَّا أُمِرَ إبرَاهِيم، وإسمَاعِيل عليهما السلام بِبِنَاءِ البَيتِ، وَتَمَّ بِنَاؤهُ، قَعَدَ إبرَاهِيمُ عَلَى رُكنٍ، ثُمَّ نَادَى هَلمَّ الحَجّ، فَلَو نَادَى هَلِمُّوا الحَجَّ لَم يَحُجَّ إلَّا مَن كَانَ يَومِئذٍ إنسيّاً مَخلُوقاً، وَلَكِنَّهُ نَادَى هَلمَّ الحَجَّ، فَلَبَّى النَّاس فِي أصلَابِ الرِّجَالِ: لَبَّيكَ دَاعِيَ الله، لَبَيكَ دَاعِيَ الله عَزَّ وَجَلَّ، فَمَن لَبَّى عَشرَاً يَحِجُّ عَشرَاً، وَمَن لَبَّى خَمسَاً يَحِجُّ خَمسَاً، وَمَن لَبَّى أَكثَرَ مِن ذَلِكَ فَبَعدَ ذَلِكَ، وَمَن

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٣٣ خ١.

(٢) ينظر: مسالك الافهام في شرح شرائع الاسلام: ٢/ ٢٣٦، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٢٤.

لَبَّى وَاحِدَاً حَجَّ وَاحِدَاً، وَمَن لَم يُلَبِّ لَم يَحُجَّ)[1].

وروى الصَّدوق رحمه الله في الفقيه في حديثٍ طويلٍ: (فَلَمَّا هَمَّ بِبِنَائِهِ، قَعَدَ عَلَى كُلِّ رُكنٍ، ثُمَّ نَادَى هَلُمَّ إِلَى الحَجِّ، هَلُم إلى الحَجِّ فَلَو نَادَاهُم هَلِمُّوا إِلَى الحَجِّ لَم يَحُجَّ إِلَّا مَن كانَ يَومَئِذٍ إنسِيَّاً مَخلُوقَاً، وَلَكِنَّهُ نَادَى: هَلُمَّ إِلَى الحَجِّ، فَلَبَّى النَّاسُ فِي أصلَابِ الرِّجَالِ، وأَرحَامِ النِّسَاءِ: لَبَيكَ دَاعِيَ الله، لَبَيكَ دَاعِيَ الله، فَمَن لَبَّى مَرَّةً حَجَّ حِجَّةً، وَمَن لَبَّى عَشرَاً حَجَّ عَشرَاً، وَمَن لَم يُلَبِّ لَم يَحُجَّ)[2] الحديث.

وقد فسَّر بعضُ المُفسِّرين على هذا الوجه قوله تعالى: ﴿**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾[3]، قالوا: المُخاطَب بهذا الخِطاب، هو إبراهيم عليه السلام، ورَووه عن عليٍّ عليه السلام، وحينئذ يُمكن أن يُحمَل تصديقُ الكلمة على تأكيد إجابةِ الدَّعوة، أو على طاعة التَّكليف الظَّاهري، والحملُ على العكس لا يخلو عن بُعدٍ.

كشفُ غِطاءٍ: قد تضمَّن الخبران ظاهراً الفرقُ بين هلُمَّ، وهلمّوا في عُمومِ الخِطاب، وعَدمِه، وقيل في توجيهه: أنَّ الخطاب بصيغة الجمعِ يتناول الموجودين، وتناول الحكم لغيرهم في غيرِ هذا المقام، بدليل كما قُرِر في محلِّه.

---

(١) الكافي: ٤/ ٢٠٦ ح ٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٢٣٢ ح ٢٢٨٢.

(٣) من قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الحج:٢٧.

وأمَّا صيغةُ هلمَّ، فإنَّه يصلُح لخطاب الواحد، والاثنين، والجمع، مُذكَّراً، ومُؤنثاً، وقد تقرَّر في المعاني، والبيان: أنَّه قد يُترك الخطاب مع المُعيَّن إلى غيرِ المُعيَّن قصداً للعُموم، وإرادةُ كُلُّ مَن يَصْلح لذلك، نحو قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ**﴾[1].

ويتوجَّه عليه: أنَّ ما تقرَّر في محلَّه مِنْ عدمِ توجُّه الخطاب بصيغة الجمعِ إلى غيرِ الموجودين، مِن حيث أنَّه لا يجوزُ توجُّه الخطاب إلى المعدوم، وحقيقةً، كما لا يجوزُ توجهه إلى المجنون، والطِّفل الَّذي لا يَعقِلُ شيئاً، ولا فرقَ في ذلك بين الخطاب بالمُفرد، وبينه بصيغة الجمع، واحتمالُ التجوُّز قائمٌ في كليهما.

ويُمكن أن يُجاب: بأنَّ الخطاب العام نوعٌ مِنَ المَجاز، ووقوعه بلفظِ المُفرد لا يُنكره أحد، بخلاف صيغة الجمعِ، فلعلَّه غيرُ جائزٍ.

ويُؤيّده ما حكاه بعضُ مُحشِّي شرح التَّلخيص: مِن أنَّه لم يَرِد في كلامِ اللهِ سُبحانه، ولا في كلام العرب الموثوقِ بعربيِّتهم خطابٌ عامٌّ بصيغة الجمعِ، وقيل في توجيهه في خبر الفقيه: أنَّ مَناط الفَرقِ ليسَ أفرادُ الصِّيغة، وجمعها، بل المَناط وُجود الضَّمير المنصوب الرَّاجع إلى الموجودين في النِّداء ثانيا، وعدمه أوَّلا لإفادة العموم[2].

---

(١) من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الانعام: ٢٧.

(٢) لم اقف على الكتاب، لكن ورد النص في: الوافي: ١٢/ ١٥٢، و مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ١٧/ ٤٠.

فالمُراد: أنَّه عليه السلام لَمَّا لم يُخصِّص النِّداء بالمَوجودين فأجابه غيرُ الموجودين، ولو ناداهم - أي الموجودين - وخصَّص النِّداء بهم، لم يحُجَّ مِنَ النَّاس إلَّا مَن كانَ يَومئِذٍ مَخلوقاً، وفورود[1] الضَّمير المرفوع في النِّداء ثانياً لمُطابقة الضَّمير المنصوب، لا للفرقِ او محض التفنن، ويخدشه عدم جريانه في خبر الكافي[2] كما ترى، وأمَّا الكلامُ في كيفية هذا الخطاب، والجواب فسيجيئ إنْ شاءَ اللهُ سبحانه.

﴿وَوَقَفُوا مَواقِفَ [١٢٢:ظ] اَنْبِيائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلائكَتِهِ الْمُطيفِينَ بِعَرْشِهِ﴾[3]

أطَافَ بالشَّيءِ، أي: أحاط به، فهو مُطيفٌ، قاله في العين[4]، وأطافَ به، أي: اَلَمَّ به، وقاربَهُ[5]، أمَّا وُقوفهم مواقِف الأنبياءِ، فلِمَا وَرَدَ مِنَ الأخبارِ في أنَّ الأنبياء عليهم السلام كانوا يأتون البيت مِن لَدُنِ آدم عليه السلام، روى الصَّدوق رحمه الله في الفقيه مُرسلاً، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (أتى آدَم عليه السلام هَذَا البَيتَ ألفَ اَتْيَةٍ عَلَى قَدَمِيهِ، مِنهَا سَبعمَائةِ حَجَّة، وثَلاثَمائةِ عَمرَة)[6].

---

(١) في نسخة (ب): وحينئذٍ فورد.

(٢) الكافي: ٤/ ٢٠٦ ح ٦.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١/ ١٢٣، شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٢٣.

(٤) كتاب العين، مادة (طوف).

(٥) الصحاح، مادة (طوق).

(٦) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٢٢٩ ح ٢٢٧٤.

وروى محمّد بن يعقوب رضي الله عنه بالإسنادِ عن هشام بن الحكم [1] عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (مَرَّ مُوسَى النَّبيِّ صَلَواتُ الله عَلَيهِ بِصَفَائحَ الرَّوحَا عَلَى جَمَلٍ أَحمَرٍ خِطَامُهُ مِن لِيفٍ، عَلَيهِ عَبَاءَتَانِ قَطوَانِيَتَانِ، وَهوَ يَقُولُ: لَبَيكَ يَا كَرِيم لبَّيكَ، قَالَ: وَمَرَّ يُونُس بِصَفَائح الرَّوحَاءِ، وَهوَ يَقُولُ: لَبَّيكَ كَشَّافَ الكُرَبِ العِظَام لَبَّيكَ، وَقَالَ: مَرَّ عِيسَى بِن مَرَيَم بِصَفَائحِ الرَّوحَاءِ، وهوَ يَقُولُ: لَبّيكَ عَبدُكَ ابنُ أَمَتِكَ، وَمَرَّ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله بِصَفَائح الرَّوحَاءِ، وَهوَ يَقُولُ: لَبَّيكَ ذَا المَعَارِجِ لَبَّيكَ)[2].

وعن زُرارة[3]، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (إنَّ سُلَيمَان بِن دَاوُد حَجَّ البَيتَ فِي الجِنِّ، والإِنسِ، وَالطَّير، والرِّيَاح، وَكَسَى البَيتِ القَبَاطِي)[4].

وعن المُفضَّل بن جابر[5] عن أبي جعفر، قال: (صَلَّى فِي مَسجِدِ الخِيفِ سَبعُمَائة نَبِيٍّ، وَإنَّ مَا بَينَ الرُّكنِ، والمَقَامِ لَمَشحُونٌ مِن قُبُورِ الأَنبِيَاءِ، وَإنَّ آدَم لَفِي حَرَمِ الله عَزَّ وَجَلَّ)[6].

وعن زيد الشحَّام[7]، عمَّن رواه عن أبي جعفر عليه السلام قال: (حَجَّ مُوسَى

---

(١) ينظر ترجمته في القسم الأول

(٢) الكافي: ٤/ ٢١٣ ح ٤.

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٤) الكافي: ٤/ ٢١٣ ح ٦.

(٥) لم اقف عليه في كتب الرجال.

(٦) الكافي: ٤/ ٢١٤ ح ٧.

(٧) أبو أسامة، زيد بن يونس الأزدي، مولى شديد بن عبد الرحمن بن نعيم الأزدي

بـن عِمـرَانَ، ومَعَـهُ سَـبعُونَ نَبِيّـاً مِـن أنبِيَـاءِ، بَنِـي إِسرَائيـلَ، خَطـمُ إِبِلِهـم مِـن لِيـفٍ، يُلَبُّـونَ، وَتُجِيبُهُـم الجِبَـال)[1].

وأمَّـا تشـبُّههم بالملائكـة المُحدِقـينَ بالعـرش، فقـد مـرّ شـطرٌ مِـن الأخبـارِ الـواردةِ فيـه في قصَّـة آدم عليه السلام.

وروى الصَّـدوق رحمه الله في العيـون، والعلـل في علـل محمَّـد بـن سـنان[2]، قـال: كتـب الرِّضـا عليه السلام إليـه علَّـة الطـواف بالبيـت: (إنَّ اللهَ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى، قَـالَ: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**﴾[3]، فَرَدُّوا عَلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذَا الجَوَابِ، فَعَلِمُوا أَنَّهُم أَذنَبُوا فَنَدِمُوا، فَلَاذُوا بِالعَرشِ، وَاستَغفَرُوا، فَأَحَبَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أن يُتَعَبَّدَ بِمِثلِ ذَلِكَ العِبَادِ، فَوَضَعَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ بَيتاً بِحِذَاءِ البَيتِ المَعمُورِ، ثُمَّ أَمَرَ آدَم عليه السلام فَطَافَ بِهِ، فَتَابَ

الغامـدي الشـحام، الكـوفي، ثقـة عـين، مـن أصحـاب الباقـر والصـادق عليهما السلام وروى عنهـما، لـه كتـاب يرويـه عنـه جماعـة، قيـل: تـوفي سـنة (١٠٠ هـ)، ينظـر ترجمتـه: الخـلاف: ١/ ١١٨، الفهرسـت، الطـوسي: ١٣٠، معـالم العلـماء: ٨٦، التحريـر الطـاووسي، حسـن بـن زيـن الديـن العامـلي، تحـ: فاضـل الجواهـري: ٢٤٤، نقـد الرجـال: ٢/ ٣٩٠، الكنـى والالقـاب: ١/ ٦، مسـتدركات علـم رجـال الحديـث: ٣/ ٤٧٢.

(١) الكافي: ٤/ ٢١٤ ح٨.

(٢) أبـو جعفـر، محمَّـد بـن سـنان الزهـراوي، روى عـن الامـام الرضـا عليه السلام ضعيـف لا يعـول عليـه، لـه مسـائل، ينظـر ترجمتـه: الرجـال، النجاشي: ٣٢٨، رجـال ابـن داود: ١٧٤.

(٣) مـن قولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلَائِكَـةِ إِنِّي جَاعِـلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَـةً قَالُـوا أَتَجْعَـلُ فِيهَـا مَـنْ يُفْسِـدُ فِيهَـا وَيَسْـفِكُ الدِّمَـاءَ وَنَحْـنُ نُسَـبِّحُ بِحَمْـدِكَ وَنُقَـدِّسُ لَـكَ قَـالَ إِنِّي أَعْلَـمُ مَـا لَا تَعْلَمُـونَ﴾ البقـرة: ٣٠.

اللهُ عَلَيهِ، وَجَرَى ذَلِكَ فِي وُلْدِهِ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ)[1].

توضيحٌ: الرَّوحاء، بالفتح، والمدِّ، موضِعٌ بين الحَرَمَينِ، على ثلاثين أو أربعين ميلاً مِنَ المدينة[2]، والصَّفائح: أحجارٌ عِرَاضٌ رِقَاقٌ، ويُمكن أن يكونَ موضِعاً مِنَ الرَّوحاء، وقَطَوان، بالتَّحريك: موضِعٌ بالكوفة، منهُ الأَكسيَة القَطوانيَّة[3]، وهي أكسيةٌ بيضاءٌ قصيرةُ الخَمل، والنُّون زائدةٌ، والقَباطي: جمعُ قُبْطية بالضمِّ؛ وهي: الثَّوب مِن ثيابِ مِصر، رقيقةٌ بيضاءٌ، منسوبٌ إلى القِبْط بالكسر، وهم أهلُ مِصر[4]، وضمُّ القاف فيها مِن تغيرُّ النِّسبة، وأمَّا في النَّاس فقِبْطيٌّ بالكسر.

﴿يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَه مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ﴾[5]

المَتجَر بالفتح: مصدرٌ، أو اسم مكانٍ، والإضافة بيانيَّة، أو لاميَّة[6]، والتَّبادر: التَّسارُع[7]، والمَوعِدِ بالكسر، يحتمِلُ الوجهين، والإضافةُ لاميَّة.

روى محمّد بن يعقوب رضي الله عنه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (الحَجُّ، والعَمرَة سُوقَانِ مِن أَسوَاقِ الآخِرَة، وَالعَامِلُ بِهِمَا فِي جِوَارِ اللهِ، إن أَدرَكَ مَا يَأَمَل غَفَرَ

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٩٨، علل الشرائع: ٢/ ٤٠٦.

(٢) ينظر: القاموس المحيط، مادة (روح)

(٣) ينظر: مجمع البحرين، مادة (قطا).

(٤) ينظر: تاريخ مدينة دمشق: ١/ ٣٤٩.

(٥) نهج البلاغة: ٣٣ خ١

(٦) ينظر: مجمع البحرين، مادة (جرا).

(٧) ينظر: الصحاح، مادة (بدر).

اللهُ لَـهُ، وَإن قَـصُرَ بِـهِ أَجَلَـهُ وَقَـعَ أَجْـرهُ عَـلَى اللهِ)[1].

وبالأسناد عن خالد القلانسي[2]، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال عليّ بن الحسين عليهما السلام: (حُجُّوا أَو اعتِمِرُوا تَصِحُّ أَبدَانَكُم، وَ [١٢٣: و] تَتَسِع أَرزَاقَكُم، وَتُكفَونَ مَؤونَاتِ عِيَالِكُم، وقال: الحَاجُ مَغفُورٌ لَهُ، وَمَوجُوبٌ لَهُ الجَنَّةَ، وَمُستَأنَفٌ لَهُ العَمَلَ، وَمَحفُوظٌ فِي أَهلِهِ، ومَالِه)[3].

وعن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (الحَاجُّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصنَافٍ: صِنفٌ يُعتَقُ مِنَ النَّارِ، وَصِنفٌ يُخرَجُ مِن ذُنُوبِهِ كَهَيئَةِ يَومَ وَلَدَتُه أُمّهُ، وَصِنفٌ يُحفَظُ فِي أَهلِهِ، ومَالِهِ، وَهوَ أَدنَى مَا يَرجِع بِهِ الحَاج)[4].

وعن ابن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (مَن مَاتَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ذَاهِبَاً، أَو جَائِياً، أَمِنَ مِنَ الفَزَعِ الأَكبَرِ يَومَ القِيَامَةِ)[5].

والأخبارُ في ثواب الحجِّ، وفضله أكثرُ مِن أن تُحصى.

---

(١) الكافي: ٤/ ٢٦٠ ح ٣٥.

(٢) خالد بن ماد القلانسي، الكوفي، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن صلى الله عليه وآله، مولى، ثقة، له كتاب، يرويه أبو هريرة عبد الله بن سلام، قال به بعض الاصحاب وفيه نظر، ينظر: الرجال، النجاشي:١٤٩، منتهى الطلب: ٦/ ٣١٢، نقد الرجال: ٢/ ١٨٨، معجم رجال الحديث: ٨/ ٣٤، مشايخ الثقات، غلام رضا عرفانيان: ١٣١، وسائل الشيعة: ١٩ / ٣٥٣.

(٣) الكافي: ٤/ ٢٥٢ ح ١.

(٤) الكافي: ٤ / ٢٥٣ ح٦.

(٥) الكافي: ٤/ ٢٦٣ ح ٤٥، تهذيب الأحكام: ٥/ ٣٣ ح ٦٨.

﴿جَعَلَهُ سُبْحانَهُ، وتَعالى لِلْإِسْلامِ عَلَماً، وَلِلْعائِذِينَ حَرَماً﴾[1]

العَلَم بالتَّحريك: العَلَامَةُ، والجبلُ، وكُلُّ ما يُهتدى به [2]، ولعلَّ المُراد على الأوَّل: إنَّه سُبحانه جعلَ البيتَ أي حَجَّةَ مِن علاماتِ الإسلام، كما أنَّ بعضَ العِبادَاتِ مِن علامات الإيمان، ففي قوله عليه السلام: وللعائذين حرماً، لا بُدَّ مِن ارتكابِ ما يُشبه الاستخدام لعدم الحاجة الى تقدير المُضافِ، وجَعلِ الحَجِّ حرماً للعائذين لا يخلو عن بُعدٍ.

وفي بعضِ النُّسخ: وللعابدين، بالباء الموحدة، والدَّال المُهملَة [3]، وحينئذٍ لا يَبعُد تقدير المُضاف.

ويُمكن أن يعودَ الضَّمير المنصوب إلى الحجِّ، فكونُه عَلَماً للإسلام ظاهرٌ، وكذا كونه حرماً للعابدين على النُّسخة الثانية، وعلى الأُولى يُمكن أن يُراد بالعائذين المُستجيرون مِن السَّخط، والعذاب، وأمَّا على الثاني؛ وهو أن يُحمَل العَلَم على ما يُهتدَى به.

فلو عادَ الضَّمير إلى البيتِ، فمعنى كونه عَلَماً ظاهراً، إذ به يَهتدَي أهلُ الإسلام إلى طريقِ النَّجاة، وكذا كونه حرمَاً للعائذين أو العابدين عن النُّسختين، ولو عاد إلى الحجِّ فمعنى كونه حرماً للعائذين بالذَّال المُعجمَة كما

---

(١) نهج البلاغة: ٣٣ خ١ وفيه: (جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ لِلاسْلامِ عَلَمًا، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (علم).

(٣) ربيع الابرار ونصوص الأخبار: ٢/ ٢٩٧. وفيه: (جعله الله للإسلام علمًا وللعابدين حرماً).

سبق، وقد مرَّ بيانُ كون البيت حرماً في تفسيرِ البيتِ الحرام .

﴿فَرَضَ حَجَّةُ، وأَوجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفادَتَهُ﴾[1]

قد مرَّ تفسيرُ الفرضِ[2]، والواجب في تفسير قوله عليه السلام: وفَرَضَ عليكم حجَّ بيته الحرام.

الفرضُ، والحُكمُ، والوِفادَة بالكسر: الاسم مِن قولهم: وفَد فلان على الأميرِ وَإلَيه وَفْداً، ووُفُوداً، أي: قصده لزيارةٍ أو استِرْفادٍ، وانْتِجاعٍ[3]، واصلُه الوُرود للرسالة، ثُمَّ عمَّم في كُلِّ قدومٍ، وورودٍ.

والوفَدُ بالفتح: الجماعةُ يَفِدُونَ، واحدهم وافِدٌ، والضَّمائرُ الثلاثةِ المجروراتِ أمَّا راجعةٌ إليه سُبحانه، أو إلى البيتِ، والمال واحد.

ورَوى محمّد بن يعقوب رضي الله عنه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (الحَاجُّ، والمُعتَمِر وَفْدُ الله، إن سَألُوهُ أَعطَاهُم، وَإن دَعَوه أَجابَهُمْ، وَإن شَفَعُوا شَفَّعَهُم، وَإن سَكَتُوا ابتَدَأهُم، وَيُعَوَضُونَ بِالدِّرهَم أَلفَ دِرهَم)[4].

ورُوي بإسناده عن معاوية بن عمَّار[5] عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (إذَا أَخَذَ النَّاسُ مَنَازِلَهُم بِمِنَى، نَادَى مُنَادٍ: لَو تَعلَمُونَ بِفَنَاءِ مَن حَلَلتُم لَأَيقَنتُم

---

(١) نهج البلاغة: ٣٣ خ١.

(٢) مرَّ ذلك في صفحة (٢٧٠) ق٢.

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (وفد).

(٤) الكافي: ٤/ ٢٥٥ ح ١٤.

(٥) ينظر ترجمته في القسم الأول.

بِالخُلفِ بَعدَ المَغفِرَةِ، فَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1]) [2].

الحَجُّ بالفتح، مصدر، وبالكسر اسم، وقيل: إنَّه مصدر أيضا، وقُرئ في الآية على الوَجهَينِ، ويُوجدان في النُّسخ، والنَّاس: عامٌّ، أُبدِلَ منه، مَن استطاع: بدل البعضِ مِنَ الكُلِّ، أي: ولله على مَن استطاعَ إلى حِجُّ البيتِ سبيلاً مِنَ النَّاس حِجُّ البيتِ، وهو عامٌّ للذُكورِ، والإناثِ، والخُناثى، خُصَّ بمنفصلٍ، أمَّا عقلاً؛ لاشتراطِ الفَهمِ في التَّكليفِ، أو نقلاً، لقوله ﷺ: (رُفِعَ القَلَمُ عَن ثَلَاثَةٍ: الصَّبِيُّ حَتَّى يَبلُغَ، وَالمَجنُونِ حَتَّى يَفِيقَ، وَالنَّائِمُ حَتَّى يَنتَبِه)[3].

فخرج الصَّبي، والمجنون عن الوجوب، ولَمَّا كان العبد محجوراً عليه، لا قُدرةَ له على التصرُّف في نفسه لم يكن مُستطيعاً، فخرج [١٢٤: ظ] مِن العُمومِ، والإستطاعةُ: القُدرةُ، والطَّاقة، ولا خلافَ في أنَّ تَخلِيَةِ السَّرب، واتساع الزَّمان، والسَّلامة مِنَ المَرضِ المَانِعِ مِنَ السَّفر.

شُروطٌ في الاستطاعة:

---

(١) من قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ٩٧.

(٢) الكافي: ٤/ ٢٥٧ ح ٢٢.

(٣) الخلاف: ٢/ ٤١، غنية النزوع: ١١٨.

وقال العلَّامة[1] رحمه الله في المُنتهى: قد اتفق علماؤنا على أنَّ الزَّاد، والرَّاحِلَة شرطانِ في الوُجوبِ، فمَن فقدهما أو أحدهما، مع بُعدِ مسافته لم يَجِب عليه الحجّ، وإن تمكَّنَ مِنَ المَشي، قال: والقريبُ إلى مكَّةَ لا يُعتبرُ في حقِّه وُجودُ الرَّاحلة[2].

ولا يخفى أنَّ تحديد القُرب لا يخلو عن إشكالٍ، ومُقتضى بعض الرِّوايات وجوبُ الحجِّ على مَن تمكَّن مِنَ المَشي في بعض الطَّريق، والرُّكوب في بعضٍ، بل وَرَدَ في كثيرٍ مِنَ الرِّوايات وُجوب الحجِّ على مَن أطاقَ المَشي، إلَّا أنَّه لا نعلم به قائلاً، والحملُ على الاستحباب لا يخلو عن إشكالٍ.

وذهبَ بعضُ الأصحابِ، ومنهم: الشَّيخانِ[3]، إلى اشتراط الرُّجوع إلى كفايةٍ؛ مِن صناعةٍ، أو مالٍ، أو حِرفَةٍ، واحتجَّ الشَّيخ رحمة الله عليه بأصالة البراءة، وبالإجماع، وبما رواه عن أبي الرَّبيع الشَّامي[4] قال: سُئلَ أبو عبدالله عليه السلام عن قولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾[5]، فقال: مَا يَقُولُ النَّاس؟ قال: فقلت له: الزَّاد، والرَّاحلة، فقال

---

(١) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٢) ينظر: منتهى المطلب: ١٠/ ٧٤.

(٣) يراد بهم الشيخ المفيد والشيخ الطوسي أعلى الله مقامهم.

(٤) أبو الربيع، خليد بن أوفى الشامي العنزي من أصحاب الإمام الباقر والصادق عليهما السلام، له كتاب، رواه عنه ابن مسكان وخالد بن جرير. والفهرست، الشيخ الطوسي: ٢٧١، ورجال النجاشي: ١٥٣، قاموس الرجال: ١١/ ٣٢٥.

(٥) من قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ

أبـو عبـدالله عليه السلام: قَـد سُـئلَ أبُـو جَعفَـر عليه السلام عَـن هَـذَا؟ فَقَـالَ: هَلَـكَ النَّـاسُ إذاً؛ لَأنَّ كَانَ مَـن كَانَ لَـهُ زَادٌ، ورَاحِلَـة قَـدرَ مَـا يَقُـوتُ عِيَالُـه، وَيَسـتَغنُونَ بِـهِ عَـن النَّـاسِ، يَنطَلِـقُ إلَيـهِ فَيَسـلِبَهُم إيَّـاهُ، لَقَـد هَلَكُـوا إذاً، فقيـل لـه: فـما السَّـبيلُ؟ قـال: فقـال: السِّـعَةُ فِي المَـالِ إذَا كَانَ يَحِـجُّ بِبَعـضٍ، ويُبقِـي بَعضـاً لِقُـوتِ عِيَالِـهِ، أَلَيـسَ قَـد فَـرَضَ اللهُ الـزَّكَاة، فَلَـم يَجعَلهَـا إلَّا عَـلَى مَـن مَلَـكَ مَائتَـي دِرهَـم)[1].

وأُجيـبَ عـن الأوَّل: بـأنَّ الأصـلَ؛ إنَّـما يُصـارُ إليـه إذا لم يقُـم دليـلٌ عـلى خِلافـهِ، والدَّليـلُ هاهنـا مـا بـين معنـى الاسـتطاعة، وعـن الثـاني: بالمنـعِ، وعـن الثالـث: بعـد الطَّعـنِ في السَّـندِ، بالقـولِ بالمُوجِـبِ، وهـو اعتبـار بقـاء النَّفقـة لعِيالِـهِ مُـدَّة ذِهابِـه، وعَـودُه، زيـادةً عـلى الـزَّادِ، والرَّاحلـة.

وحكـى العلَّامـة رحمه الله في المُختلَـف عـن الشَّـيخ المُفيـد رحمه الله في المُقنِعـة: أنَّه أوردَ روايـة أبي الرَّبيـع بزيـادةٍ مُرجِّحـة لِمَـا ذَهـبَ إليـه، وهـي: قـد قيـل لأبي جعفـر عليه السلام ذلـك، فقـال: (هَلَـكَ النَّـاسُ إذاً، كَانَ مَـن كَانَ لَـهُ زَاد، ورَاحِلَـة، لَا يَملِـكُ غَيرَهُمَـا، وَمِقـدَارُ ذَلِـكَ مِمَّـا يَقُـوتُ بِـهِ عِيَالُـهُ، وَيَسـتَغنِي بِـهِ عَـن النَّـاسِ، فَقَـد وَجَـبَ عَلَيـهِ أَن يَحُـجَّ، ثُـمَّ يَرجِـع فَيَسـأَلُ النَّـاسَ بِكَفِّـهِ، لَقَـد هَلَـكَ إذَن، فَقِيـلَ لـه: فـما السَّـبيلُ عِنـدَكَ؟ قـال: السِّـعَةُ فِي المَـالِ؛ وَهـوَ أَن يَكُـونَ مَعَـهُ مَـا يَحِـجُّ بِبَعضِـهِ، وَيُبقِـي البَعـضَ يَقُـوتُ بِـهِ نَفسَـهُ، وعِيَالَـهُ)[2].

حِـجُّ الْبَيْـتِ مَـنِ اسْـتَطَاعَ إِلَيْـهِ سَـبِيلًا وَمَـنْ كَفَـرَ فَـإِنَّ اللهَّ غَنِـيٌّ عَـنِ الْعَالَمِـينَ﴾ آل عمـران: ٩٧.

(١) الكافي: ٤/ ٢٦٧ ح ٣.

(٢) المقنعة، الشيخ المفيد، تحـ: مؤسسة النشر الإسلامي: ٣٨٤، مختلف الشيعة: ٤/ ٨.

وأُجيبَ: بأنَّ أقصى ما تدلُّ عليه هذه الزِّيادة اعتبارُ بقاءِ شيءٍ مِنَ المالِ، وُيمكن أن يكونَ المُراد به قوتُ السَّنةِ له، ولعياله؛ لأنَّ ذلك كافٍ في عدمِ السُّؤالِ بعدَ الرُّجوعِ، وبه تحققَّ الغِنَى شرعاً، وفيه تأمُّل.

ثُمَ أنَّ أصحابنا أجمعوا على فوريَّةِ وُجوبِ الحَجِّ، واستدلُّوا عليه برواياتٍ، وصرَّح بعضهم: بأنَّ تأخيره مع الشَّرائط كبيرةٌ موبقَة، ومعنى الفوريَّة: وجوبُ المُبادرَةِ إليه في أوَّلِ عامِ الاستطاعةِ، وإلَّا ففيما يليه، وهكذا.

ولا خِلافَ بين المُسلمين في أنَّ الواجب بأصلِ الشَّرعِ ليسَ إلَّا مرَّةً واحدةً، وحَملُوا ما يدلُّ مِنَ الأخبارِ على وجوبِ الحَجِّ على أهل الجِدَةِ فِي كُلِّ عامٍ على الاستحباب[1]، أو على أنَّه يجبُ في كُلِّ عامٍ على البدلِ، أي: لو لم يفعل في السَّنةِ الأُولى، وجبَ عليه الإتيان في الثانية، وهكذا، ولا يخفى أنَّ الأوَّل أولى.

والحَجُّ في الآية يشمل العُمرَة، لِمَا رواه محمّد بن يعقوب رحمه الله عن عمر بن أذينة[2] قال: كتبتُ إلى [١٢٥: و] أبي عبدالله عليه السلام بمسائل، بعضُها مع ابن بكير[3]،

---

(١) ينظر: مفاتيح الشرائع: ١/ ٢٩٤.

(٢) عمر بن محمد بن عبد الرحمن بن أذينة، روى عن الامام الصادق عليه السلام مكاتبة، ثقة، صحيح، شيخ البصريين ووجههم، له كتاب، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ٢٨٣، طرائف المقال: ١/ ٥٤٧.

(٣) أبو علي الشيباني، عبد الله بن بكير بن أعين بن سنسن، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، ينظر ترجمته: جوابات أهل الموصل: ٣٧، إكليل المنهج في تحقيق المطلب: ٣٣٨، منتهى المقال في احوال الرجال: ٤/ ١٦٣، طرائف المقال: ١/ ٥٠٨، شعب المقال في درجات الرجال: ١٩٦، مستدركات علم رجال الحديث: ٤/ ٤٩٣.

وبعضُها مع أبي العبَّاس[1]، فجاء الجوابُ بإملائه: سَألتَ عَن قَولِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[2] يَعنِي بِهِ الحَجَّ، والعَمرَة جَمِيعَاً؛ لأنَّهُمَا مَفرُوضَانِ[3].

وسألتُ عن قولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[4]: (يَعنِي بِتَمَامِهِمَا أَدَائِهِمَا، وَاتِقَاءُ مَا يَتقِي المُحرِم فِيهِمَا)[6].

ويدلُّ على وجوبهما بعد الإجماعِ: أخبارٌ كثيرةٌ، قالوا: في الآيةِ ضُروبٌ مِنَ التأكيد، والمُبالَغةِ في أمرِ الحَجِّ، منها: قولهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ﴾[7]،

---

(١) لم اقف على ترجمته في كتب التراجم.

(٢) من قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ٩٧.

(٣) ينظر: مناهج الأخيار في شرح الإستبصار، السيد احمد بن زين العابدين العلوي العاملي: ٣/ ٣٠٢، الوافي: ١٢/ ٢٤٩.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ البقرة: ١٩٦.

(٦) الكافي: ٤/ ٢٦٣ ح ١.

(٧) من قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ

فجعله حقّاً واجباً عليهم؛ لكونه إلهاً، فيجبُ عليهم الإنقياد، سواءٌ عرَفُوا وجه الحِكمَةِ فيه، أم لم يعرفوا، فإنَّ كثيراً مِن أفعالِ الحَجِّ تَعَبُّدٌ محضٌ.

ومنها: إنَّه سُبحانه عبَّر عن إيجابه بلام الاختصاص، ثُمَّ بكلمة على، وهي للوجوب، ومنها: أنَّه بنى الكلام على الإبدال، وفيه ضِربانِ مِنَ التأكيد؛ لكونه تثينةٌ للمُراد، وتكريراً، وتفصيلاً بعد الإجمال، فيدلُّ على شدَّة الإهتمام.

ومنها: إنَّه ذَكَرَ مَن كفرَ مكانَ مَن لم يَحُجَّ، وفيه مِن التَّغليظِ ما لا يخفى، وإليه الإشارة فيما رُوي عن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله: (مَن مَاتَ، ولَم يَحُجَّ فَليَمُت إن شَاءَ يَهُودِيّاً، وَإن شَاءَ نَصرَانِيّاً)[1].

وما رواه محمّد بنْ يَعقوبَ رحمه الله بإسناده عن ذريح المحاربي[2] عن أبي

حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَّ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ٩٧.

(١) التمهيد: ١٦/ ١٦٥، التفسير الكبير: ٨/ ١٦٤، المواقف: ٣/ ٥٥١، تخريج الأحاديث والآثار، الزيلعي، تحـ: عبد الله بن عبد الرحمن السعد: ١/ ٢٠٢، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢/ ٧٠.

(٢) ابو الوليد، ذريح بن محمد بن يزيد، المحاربي، جليل ثقة، له أصل، روى عن الامام الصادق والكاظم عليهما السلام وروى أيضاً عن: أبي بصير، وعبادة الاسديّ، روى عنه: أبان بن عثمان الأحمر، وجميل بن صالح الأسدي، والحسن بن الجهم، وصفوان بن يحيى له كتاب، ينظر ترجمته: من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٥١٠ الرجال، النجاشي: ١٦٣، نقد الرجال: ٢/ ٢٢٨، معجم رجال الحديث: ٨/ ١٥٦، موسوعة طبقات الفقهاء:٢/ ١٩٦، وسائل الشيعة: ٣٠/ ٣٦٩.

عبدالله عليه السلام قال: (مَن مَاتَ، ولَم يَحُجَّ حَجَّةُ الإسلَامِ، لَم يَمنَعُهُ مِن ذَلِكَ حَاجَةٌ تُجحِفُ بِهِ، أَو مَرَضٍ لَا يُطِيقُ فِيهِ الحَجَّ، أَو سُلطَانٍ يَمنَعُهُ، فَليَمُت يَهُودِيَّاً، أَو نَصرَانِيَّاً)[٣].

ولا يُنافي هذا التَّغليظ ما رواه عليٌّ بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليهما السلام، قال: (إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ الحَجَّ عَلَى أَهلِ الجِدَةِ فِي كُلِّ عَامٍ، وَذَلِكَ قَولُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[٤]، قال: قلتُ: فَمَن لَم يَحُجَّ مِنَّا فقد كفرَ؟ قال: لَا، وَلَكِن مَن قَالَ لَيسَ هَذَا هَكَذَا فَقَد كَفَرَ)[٥].

وتعبيره عليه السلام بلفظ: الفرضِ، محمولٌ على تأكيد الاستحباب؛ لإجماعِ المُسلمين كما سَبقَ.

ويُمكن أن يكونَ تكليف أهل الجِدَةِ مِن بُطونِ الآية، فلا يُنافي وجوبُ حَجَّةِ الإسلام، أو يكون الأمرُ المُستفاد مِنَ الكلامِ أعمُّ مِنَ الايجابِ، والنُّدب، مُختلِفاً حُكمه، بالنَّظر إلى المُكلَّفين، فتدبَّر.

وقيل: إنَّ قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[٦] كلامٌ مُستقلٌّ، ووعيدٌ عامٌّ في حقِّ مَن كفرَ، ولا تعلُّقَ له بما قبله، وبعده واضح.

(٣) الكافي: ٤/ ٢٦٨ ح ١.

(٤) آل عمران: ٩٧.

(٥) مسائل علي بن جعفر، علي بن الامام الصادق عليه السلام، تحـ: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث: ٢٦٣ ح ٦٣٤.

(٦) آل عمران: ٩٧.

ومنها: إنَه سُبحانه ذَكرَ الغِنَى عن العَالَمين، مع العُدولِ عن الإضمارِ إلى الإظهار بذكر اسم الله تهويلاً للخَطبِ، ولا ريب أنَّه يدلُّ على شدَّة المَقتِ، والسَّخطِ.

ومنها: إنَّه تعالى عَدِلَ عن الإضمارِ في قوله: عن العالمين، ولم يقُل: عنه، فدلَّ على أوَّليَّة الغِنَى عن ذلك الواحد إذ كان غنيَّاً عن العَالَمين، ويدلُّ على الإستغناءِ الكامل، فدلَّ على كمالِ السَّخطِ، ويُمكن أن يُقال: إنَّه يُفيدُ فائدةً أُخرى، هي: دفعُ توهُّم أنَّ غِنَاهُ عن العاصِين لطاعَةِ المُطيعين[1]، فتأمَّل.

ومنها: إيرادُ الكلامِ بصيغَةِ الخَبرِ جُملةٌ إسميَّة.

ومنها: تأكيدُ الغِنَى المفهوم في أوَّل الآية على وجهِ الإشعار، حيثُ دلَّ على أنَّ هذا الإيجاب كان لِمُجرَّد الإلهيَّة، لا لجرِّ نفعٍ، أو دفعِ ضَرَرٍ، بالتَّصريحِ في آخِرِ الآية، بقوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[2][3].

---

(١) ينظر: تفسير الكشاف: ١/ ٤٤٩، تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تح:عادل أحمد الموجود: ٣/ ١٥، زبدة التفاسير: ١/ ٥٢٩.

(٢) آل عمران: ٩٧.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٨/ ٣٠٦.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام بَعْدَ انْصِرافِهِ مِنْ صِفّينَ[1]

صفِّين: كسجِّين، اسمُ الأرضِ التي كانت فيه الوقعةُ العُظمى، وهي مِن أرضِ الشَّام، قُرب الرَّقة بشاطئ الفُرات، غيرُ مُنصَرِفٍ للتأنيث، والعَلَميَّة، والنُّون فيها أَصْليَّة[2].

﴿أَحْمَدُهُ اسْتِتْماماً لِنِعْمَتِهِ، وَاسْتِسْلاَماً لِعِزَّتِهِ، واسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ﴾[3]

استتمَّ الشَّيءُ، وتمَّمهُ، وأَتمَّهُ بمعنى، واستتمَّ النِّعمة: طلبَ [١٢٦: ظ] إتمامُها[4]، وفي الكلامِ إيماءٌ إلى قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[5].

والاستسلامُ: الإنقيادُ[6]، والعِزَّةُ: القوَّة، والشِّدَّة، والغَلَبَة[7]، والعِصمَةُ:

(١) موقعة صفين: مكان المعركة التي وقعت بين جيش الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، وجيش معاوية بن أبي سفيان في شهر صفر سنة ٣٧ ه، بعد موقعة الجمل بسنة تقريبا، على الحدود السورية العراقية، فيه جرت معركة الإمام على بن ابي طالب عليه السلام ضد الخارجين عن حدود الإسلام معاوية بن أبي سفيان، وعمر بن العاص في سنة ٣٧ هـ، ينظر: تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط العصفري، تحـ: د. سهيل زكار: ١٩١، وقعة صفين، ابن مزاحم المنقري: ٥٦٤.

(٢) ينظر: مجمع البحرين، مادة (صفف)، معجم البلدان: ٣/ ٤١٤.

(٣) نهج البلاغة: ٣٣ خ ٢.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (تمم).

(٥) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ابراهيم: ٧.

(٦) ينظر: الصحاح، مادة (سلم).

(٧) ينظر: المصدر نفسه، مادة (عزز).

المنعُ، والحِفظُ[1]، وكُلٌّ مِنَ المنصوبات الثلاثة مفعولٌ له؛ لقوله عليه السلام: أحمده، وكون استتمام النِّعمة غايةٌ للحَمدِ ظاهرٌ.

وأمَّا الإنقيادُ للعزَّة، فيُمكن أن يكونَ المُراد به ظُهورهُ، وترتُّب الأثرِ عليه، ويُمكن أن يُقال: الإنقياد هو: الطَّاعةُ[2]، ولا ريب في حُصولها بالحَمدِ، ويُمكن أن يكونَ مِن قبيلِ قَعدَت عن الحربِ جُبْناً، فإنَّ الإنقياد القلبيِّ مِن أسبابِ الحمدِ، والشُّكر، وما ذكرهُ بعضُ الشَّارحين، مِن (أنَّ العبد يستعدُّ بكمالِ الشُّكرِ لمعرفة المشكور، وهي مُستلزِمَةٌ للانقياد لعزَّته، والخُضوعُ لعظمته، وهو في ذلك ناظرٌ إلى قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾[3]([4]، فلا يخلو عن بُعدٍ.

ولَمَّا كان استتمام النِّعمة التي مِن جُملتها الهدايات الخاصَّة، والتَّوفيقاتِ الإلهيَّة، وكذا الإنقيادُ للعزَّة مِن أسبابِ العِصمَةِ عن المَعصِيَّة، أخَّر الاستعصام عن الأوَّلَينِ، وجَعلهُ بعضُ الشَّارحين وسيلةً إلى الغايتين الأوُلِيَينِ، وفيه ما فيه.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، مادة (عصم).

(٢) ينظر: مجمع البحرين، مادة (قيد).

(٣) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ١/ ٢٢٣.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ابراهيم: ٧.

﴿وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلى كِفَايَتِهِ، إِنَّهُ لاَ يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَلا يَئِلُ مَنْ عَادَاهُ، وَلا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ﴾[1]

العونُ: الظَّهير على الأمرِ، واستعَنْتُ فُلاناً، واسْتَعَنْتُ به: طَلَبْتُ منه الإعانة[2].

والفَاقةُ: الفقرُ، والحاجة، يُقالُ: افتاق الرَّجل، ولا يُقالُ: فاق[3]، وكِفَايَةُ الرَّجُل: القيامُ بما يحتاجُ إليه.

وَوَأَلَ، يَئِلُ كَوعَد، يَعِد وَأْلاً، ووُؤُلاً: إذا الْتَجَأ إلى موضِعٍ، ونَجا[4]، ومنه: ما رُوي في حديثه عليه السلام: مِنْ أَنَّ دِرْعَهُ كانَتْ صَدْراً بِلا ظَهْرٍ، فقيل له لَوِ احْتَرَزْتَ مِنْ ظَهْرِكَ؟ فقال: ﴿إِذَا أَمْكَنْتُ مِنْ ظَهْري فَلا وَأَلْتُ﴾[5]، أي: لا نَجَوْتُ، ولعلَّ المُراد بالمُعاداة: تركُ الإستعانة به سُبحانه، فيُشبه قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[6].

ولَمَّا كان كمالُ الكافي، وتمامُ الفاقة إلى كفايته بعدَم ضَلالِ مَن هداهُ العامِد

---

(١) نهج البلاغة: ٣٣ خ ٢.

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (ظهر).

(٣) ينظر: المصدر نفسه، مادة (فوق).

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ١٤٣، سبل الهدى والرشاد: ٦/ ٣٨٩.

(٥) الفائق في غريب الحديث: ٣/ ٣٤١.

(٦) من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر: ٦٠.

إلى كمالِ عِلمه، وعدمُ افتقارِ مَن كفاهُ الرَّاجِع إلى تمامِ قُدرتِه وجُوده، مع عدمِ نجاةِ مَن أعرَضَ عنه، الَّذي يؤل إلى انحصار الكافي فيه، علَّل عليه السلام الإستعانةُ المُعلَّلة بالفَاقَةِ بالأُمورِ الثَّلاثة.

﴿فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ، وأَفْضَلُ ما خُزِنَ﴾[1]

قال بعضُ الشَّارحين: الضَّميرُ يعودُ إلى الحَمدِ المُفهومِ مِن قوله عليه السلام: أحمدُه، وقال بعضُهم: يعودُ إلى الله تعالى، ولَمَّا كانت ذاته مُقدَّسةٌ عن الوَزْنِ، والخزنِ اللَّذَيْن هُما مِنْ صِفاتِ الأَجسام، فبالحري أن يكون المقصود رجحان عرفانه في ميزانِ العقلِ، إذ لا يُوازنه عرفانُ ما عَداه، بل لا يخطُرُ ببال العارِف عند الإخلاص سواه[2].

ولا يخفى أنَ الأولى بعد ارتكابِ التَّقديرِ، وإرجاعه إليه سُبحانه تقديرُ الفضلِ، والجُود، حتَّى يكونَ الكلام علَّةً لعدَم افتقارِ مَن كفاهُ لقُربه، ويُمكن أن يكونَ علَّةً لمجموعِ الحَمدِ، والإستعانة.

﴿وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلاَصُهَا، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَ﴾[3]

الشَّهادةُ: (الإخبارُ بالشَّيءِ عن مُشاهدةٍ، أو ما يقومُ مَقام المُشاهدة)[4]،

---

(١) نهج البلاغة: ٣٣ خ٢.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٣٧.

(٣) نهج البلاغة: ٣٣ خ٢.

(٤) المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان: ١/ ١١٧.

ومنه: شَهِدَ فُلان عِندَ القاضي؛ لأنَّه يُخبرُ عنه علمهُ[1]، والإمتحانُ الإختبارُ، والمُمتَحنُ المُصفَّى المُهَذَّب، يقالُ: مَحَنْتُ الفِضَّة، أي: صفيتها، وخَلَّصْتُها بالنَّارِ[2]، وممُتحناً على صيغة المفعول، ورفعُ الإخلاص، وكذا ما بعده في أكثرِ النُّسخ[3]، وفي بعضها على صيغة الفاعل، ونصبُ ما بَعْدَها في المَوضِعَينِ، والأوَّلُ أظهر.

والمُصاص بالضَّمِّ: خالِصُ كُلِّ شَيءٍ، يُقالُ: فُلانٌ مُصاص قومه، أي: كان أخلصهم نسباً[4]، يستوي [١٢٧: و] فيه الواحد، والاثنان، والجمع، والمؤنَّث مُصامِصٌ، أي: أشهَدُ شهادةُ امتحن أخلاصها، فظهرَ خالِصَاً مِنَ الشَّوائب، اعتقد خالصها مِن حيث خلوصها.

﴿نَتَمَسَّكُ بها أَبَداً ما أَبْقانَا، وَنَدَّخِرُهَا لأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا﴾[5]

تَمَسَّكتُ بالشَّيءِ، وَامْتَسَكْتُ به، واسْتَمْسَكْتُ به، وَأَمْسَكْتُ به، كلُّه بمعنىً، أي: اعتصَمتُ به[6]، وندخرها، في كثيرٍ مِنَ النُّسخ بالدَّال المُهملَة المُشدَّدة، على صيغةِ الافتعال، وفي بعضها بالذَّال المُعجمَة السَّاكنة، وفتح

(١) ينظر: مجمع البحرين، مادة (شهد).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (محن).

(٣) لم اقف عليها في نسخ النهج.

(٤) ينظر: الصحاح، مادة (مصص).

(٥) نهج البلاغة: ٣٣ خ٢.

(٦) ينظر: مجمع البحرين، مادة (مسك).

الخاء[1]، وهما بمعنى الأهاويل جمعُ أهوال كأنعام، وأناعيم، والهولُ: المَخافَةُ مِنَ الأمرِ[2].

والمُراد: بما يلقانا شدائد الآخرة، أو ما هو أعمُّ منها.

﴿فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ وَمَرْضَاةُ الرَّحْمن، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ﴾[3]

عزائمُ الأُمور: ما وكَّدتَ رأيك عليه، وقطعتَ على فعله، يُقال: عَزَمْتُ على كذا، عَزْماً، وعُزْماً بالضمِّ، وعَزِيماً، وعَزِيمةً، وَعَزائِمُ الله تعالى: فرائضه الَّتي أوجَبَها[4]، وفاتِحةُ الشيَّء: أوّله، والمَرضَاةُ، والرِّضا، والرِّضوان واحدٌ، والدَّحرُ: (الدفعُ بعنفٍ على سبيلِ الإهانة، والإذلال)[5].

والظَاهر أنَّ المَدْحَرة مصدرٌ، والحملُ على المُبالَغةِ، لا كما زعمَ بعضُ الشَارحين: أنَّها اسم مكانٍ[6]، ويدلُّ على أنهَّا مرضاةُ الرَّحمن، ما رواه محمَّد بن يعقوب بإسناده عن أبي حمزة، قال: سَمِعتُ أبا جعفر عليه السلام يقولُ: (مَا مِن شَيءٍ أَعظَمُ ثَوَاباً مِن شَهَادَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَعدِلُهُ شَيءٌ، وَلَا

---

(١) ينظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: ٢ / ٢٤٤.

(٢) ينظر: كتاب العين، مادة (هول).

(٣) نهج البلاغة: ٣٤ خ٢.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (فرض).

(٥) لسان العرب، مادة (دحر).

(٦) لم اقف عليها في نسخ النهج.

يُشرِكَهُ فِي الأُمُورِ أَحَدٌ)[1].

وعن عُبيد الله بن الوليد الوصَّافي[2] رفعه قال: (قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ، غُرِسَت لَهُ شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ مِن يَاقُوتَةٍ حَمرَاءَ، مَنبَتُهَا فِي مِسكٍ أَبيَضَ، أَحلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ الثَّلجِ، وَأَطيَبُ رِيحاً مِنَ المِسكِ، فِيهَا أَمثَالُ ثَدي الأَبكَارِ، تَعلُو عَلَى سَبعِينَ حُلَّة)[3].

وقال رَسُولُ الله ﷺ: (خَيرُ العِبَادَةِ: قَولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله)[4].

وقال: (خَيرُ العِبَادَةِ الإِستغفَارُ، وَذَلِكَ قَولُ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[5]) [6].

﴿وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ، ورَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ

(١) الكافي: ٢/ ٥١٦ ح ١.

(٢) أبو سعيد، عبيد الله بن الوليد الوصافي، الكوفي، عربي ثقة، روى عن الامام أبي جعفر، و الامام أبي عبد الله الباقر عليهما السلام، وله كتاب يرويه ابن مسكان، والوصافي نسبة إلى رجل من سادات العرب وكأنه وصاف بن عامر العجلي، ينظر ترجمته: الجرح والتعديل: ٥/ ٣٣٦، الرجال، الطوسي: ٢٣٤، الرجال، النجاشي: ٢٣١، نقد الرجال: ٣/ ١٨٧، جامع الرواة: ١/ ٥٣٠، منتهى المقال في احوال الرجال: ٤/ ٢٩١، طرائف المقال: ٢/ ٣٢، معجم رجال الحديث: ١٢/ ٩٦.

(٣) الكافي: ٢/ ٥١٧ ح ٢.

(٤) التوحيد: ١٨ ح ٢.

(٥) من قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ محمد:١٩.

(٦) المحاسن: ١/ ٣٠ ح ١٦.

الْمَأْثُورِ، وَالْكِتابِ الْمَسْطُورِ ﴾[1]

الشُّهْرةُ: (وُضُوحِ الأمرِ، تقولُ: شَهْرتُ الأمرَ أَشْهَرُه شَهْراً، وشُهْرَةً فَاشْتَهَر، أي: وَضَحَ)[2]، والعَلَمُ بالتَّحريك: الجَبَلُ، وما يُهْتَدي به، والعَلامَةُ، والرَّاية[3]، وفي بعضِ النُّسخ: العِلْم بكسر العين، وسكون اللاَّم[4]، والأوَّلُ أظهر، والمَأْثُورُ: المنقولُ، تقول: أثرتُ الحديث، إذ أذكرته عن غيرِكَ[5].

قال بعضُ الشَّارحين: العَلَمُ المأثور: يجوز أن يعني به القرآن؛ لأنَّه المَحكيُّ، والعَلَم: مَا يُهتدى به، والمُتكلِّمون يُسمُّونَ المُعجزات أعلاماً، ويجوزُ أن يُريد به أحدى مُعجزاته غيرُ القُرآن، فإنَّها كثيرةٌ، ويُؤكد هذا قوله بعده: والكتاب المسطور، وإن جازَ أن يكونَ تأكيداً على قاعدة الخِطابة[6]، وقال بعضهم: المأثورُ المَقدَّم على غيرِهِ، والمأثُورُ أيضاً: المنقولُ، وكونُه مأثوراً، أمَّا إشارةٌ إلى كونه مُقدَّماً على سائر الأديان، كما يُقدَّمُ العَلَم، ويَهتَدي به قومٌ بعدَ قومٍ، أو إلى نقله مِن قرنٍ إلى قرنٍ[7] انتهى.

والظَّاهر: أنَّه حَملَ العَلَم على معنى الرَّاية؛ لأنَّها تُقدَّم، وجعلَ العلم

---

(١) نهج البلاغة: ٣٤ خ٢.

(٢) الصحاح، مادة (شهر).

(٣) ينظر: الصحاح، مادة (علم).

(٤) ينظر: بحار الأنوار: ١٨/ ٢١٨.

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (اثر).

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة:١/ ١٣٦، الجامع لأحكام القرآن: ٢ / ٤١.

(٧) ينظر: بحار الأنوار: ١٨/ ٢١٨.

كالتَّفسيرِ للدين، وإن كان لا يخلو عن مُناسبته، إلَّا أنَّا لم نظفر بهذا التَّفسير للمأثور في كُتبِ اللُّغة، نعم هذا يُناسِبُ معنى الإيثار، والاختيار، ومع ذلك كونُ هذا النَّوع مِن التقديم إيثارِ محلِّ تأمُّلٍ.

وعلى تقدير الصحَّة فلعلَّ الأولَى جعلُ العَلَم عبارة عن القرآن، أو غيره مِن المُعجزاتِ، كما تقدَّم.

والسَّطرُ: (ترتيبُ الحُروف على وجهٍ مخصوصٍ)[1]، تقولُ: سطَّرتُ الكتاب أُسطره سَطْراً، أي: كتبته، والسَّطْرُ: الصَّفُّ مِنَ [١٢٨: ظ] الشَّيء، يُقالُ: غرسَ سَطْراً، وبنى سَطْراً[2]، وأصلُه المصدر.

والقرآنُ مسطورٌ؛ لأنَّه مكتوبٌ عِندَ اللهِ في اللَّوح المحفوظ، أو لأنَّه يكتبُه المُؤمنون في الصَّحائف، والألواح، وبالوجهينِ فُسِّر قوله تعالى: ﴿**وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ**﴾[3].

وقيل: القرآنُ مسطورٌ؛ لأنَّه سُطِّرَ حقائقه في ألواح النُّفوس[4].

﴿**وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ**﴾[5]

---

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٩/ ٤٠٢.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (سطر).

(٣) الطور: ٢.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٤٠.

(٥) نهج البلاغة: ٣٤ خ٢.

السّطوعِ: الارتفاع، ويُسمَّى الصُّبح الأوَّل ساطِعاً لارتفاع ضوئه[1]، ولَمَعَ البرقُ كمنع لُمعاً، ولمعاناً، أي: أضاءَ[2]، والوصفُ للتأكيد، والصَّدعُ، والفرقُ، والفصلُ نظائرٌ، وصدع بالحقِّ: إذا تكلَّم به جهاراً، والصَّديعُ: الصُّبح، والصَّدْعُ: الشَّقُّ[3].

وفي الكلامِ إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[4]، قيل: (أَيْ أَظْهِرْ، وأَعْلِنْ، وصَرِّحْ بما أُمِرْتَ به، غيرُ خائفٍ، قيل: أي فافرُقْ بين الحقِّ، والباطل بما أُمِرْتَ به[5]، وقيل: أي شُقَّ جماعاتهم بالتَّوحيد[6].

﴿إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجاً بِالبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيراً بِالآيَاتِ، وَتَخْوِيفاً لِلْمَثُلاتِ﴾[7]

زاحَ الباطل، أي: زال، وذهبُ، أزاحه غيرهُ[8]، والشُّبهةُ الباطل: يَشبه

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (سطح).

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (لمع).

(٣) ينظر: الصحاح، مادة (صدع).

(٤) من قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ الحجر: ٩٤.

(٥) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ١٣٢، بحار الانوار: ٩/ ١١٤.

(٦) ينظر: الكافي: ٨ / ٣٦٠، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ٨/ ١٦٤، تفسير غريب القرآن: ٣٦٩، التفسير الصافي: ٢/ ٥٣.

(٧) نهج البلاغة: ٣٤ خ٢، وفيه: (وَتَحْذِيراً بِالآيَاتِ، وَتَخْوِيفاً بِالْمَثُلاتِ).

(٨) ينظر: لسان العرب، مادة (زيح).

الحقّ[1]، وسيجيئ تفسيرها في كلامه عليه السلام، والبيِّناتُ: الدِّلالات الواضحة الفاصلة بين القضيَّة الصَّادقة، والكاذبة، مأخوذة مِن إبانَةِ أحد الشَّيئين عن الآخر ليزول التباسه به[2].

والآيةُ: العَلَامَةُ، أو التي فيها عِبرَةٌ، أو التي فيها الحُجَّةُ، والآيةُ مِنَ القرآنِ: جماعةُ حُروفٍ، وكلماتٍ، مِن قولهم: خرجَ القومُ بِآيَتِهِمْ، أي: بجماعتهم[3]، وأصلُ الآيَة أَوَيَةٌ بالتَّحريك، قال سيبويه[4]: (موضِعُ العينِ مِنَ الآية واوٌ؛ لانَّ ما كان موضِعُ العينِ واوٌ، والَّلام ياءٌ أكثرُ مِمَّا موضَعُ العينِ، والَّلام منه ياءان، مثل: شَوَيْتُ أكثرُ مِن حَييت)[5]، والنِّسبةُ إليه أوَوِيّ.

وقال الفرَّاء[6]: أصلُها فاعِلةٌ، وإنَّما ذَهبَت منه الَّلام، ولو جاءَتْ تامَّةً لجاءتْ آيِيَة، ولكنها خُفِّفَتْ [7].

---

(١) ينظر: مجمع البحرين، مادة (زيح).

(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/ ٣٦٦، مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ٣١٧، إكمال النقصان من تفسير منتخب التبيان: ٣١٣.

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (آيا).

(٤) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٥) نسب الجوهري إلى سيبويه، ونقل ابن فارس عن الجوهري ذلك بنصه، ينظر: الصحاح، مادة (أيا)، ومعجم مقاييس اللغة: ١/ ١٦٨.

(٦) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٧) لم يرد في كتاب معاني القرآن للفراء وانما ورد عن الفراء في: ينظر: الصحاح، مادة (أيا)، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ١/ ٨٨، لسان العرب، مادة (أيي).

ويُمكن أن يكون المُراد بها في كلامه عليه السلام آياتُ القرآن المُشتمِلَة على الوعيد، أو ما نَزَلَ بالأُممِ المَاضين.

وَالمُثُلَة: بفتح الميم، وضمِّ الثاء: العقوبة، والجمعُ: المثلات[1]، والأنسبُ أن تكونَ إزاحةُ الشُّبهات بمعنى إبطالُ المِلَلِ الباطلة، والآراء الفاسِدَة.

والاحتجاجُ بالبيِّناتِ: الاستدلالُ على المَطالِب الحقَّة، والتَّحذيرُ بالآيات: التَّخويفُ بمَا نزَلَ بالأُمم مِمَّا يدلُّ عليه الكتاب الكريم، أو غيرُه مِنَ العُقوباتِ الدُّنيويَّة، والتَّخويفُ بالمُثلات: الإنذارُ بالعقوبات الأُخرويَّة، والفقرتان يَحتمِلُ العكس.

﴿وَالنّاسُ في فِتَنٍ، انجَذَمَ فيها حَبْلُ الدِّينِ، وَتَزَعْزَعَتْ سَواري الْيَقينِ﴾[2]

الفِتَنُ: جمعُ فِتْنَة، وهي في الأصل: (الامتحانُ، والاختبار، تقولُ: فَتَنْتُ الذَّهبَ، إذا أَدْخَلْتَهُ النّارَ لِتَنْظُرَ ما جَوْدَتُه)[3]، وتكونُ بمعنى: الابتلاء بالشَّدائد، وبمعنى: العذاب، والكُفر، والقتال، والضَّلال، والفضيحة، واختلاف النَّاس في الآراء، والإحراق، والصَّرف عن الشَّيء، وغيرُ ذلك[4].

وانْجَذَم: بالجيمِ، والذَّال المُعجمَة، أي: انقطعَ[5]، وفي بعضِ النُّسخ:

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (مثل).

(٢) نهج البلاغة: ٣٤ خ٢، وفيه: (... وَتَحْذِيراً بِالآيَاتِ، وَتَخْوِيفاً بِالمَثُلَاتِ).

(٣) الصحاح، مادة (فتن).

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (فتن).

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (جذم).

انْجَزَم بالزّاء مكان الذَّال[1] بمعناه، ومنه: (قَلَمٌ جَزْمٌ، لِلَّذي لا حَرْفَ له)[2]، والحَبْلُ بالسُّكونِ: الرِّسنُ، وكُلُّ ما يُتوصَّل به إلى شيءٍ، والعَهْد، والأَمان، وَالوصال[3]، وتَزَعْزَعَ، أي: تحرَّك، واضطرب، تقولُ: زَعْزَعْتُهُ فتَزَعْزَعَ[4]، والسَّواري: جمعُ ساريةٍ، وهي: الإسطوانة[5].

والظَّاهر أنَّ الواو في قوله عليه السلام: والنَّاس في فِتَنٍ، للحالِ، والعامِلِ، والفِتَن المُشارُ إليها فتنُ الجَاهليَّة، وحالُ البعثه[6].

وانجذامُ حبلُ الدِّين، عبارةُ عن تشتُّت الأُمور، واختلاف النَّاس في أرائهم، وعدمُ تواصلهم، واضطرابُ دعائم اليقين عن عدَمِ ثباتِ أركانِ الدِين، ومراسمه.

وجوَّز بعضُ الشَّارحين أن يكون قوله عليه السلام: والنَّاسُ، ابتداءُ كلام [١٢٩: و]، والغرضُ ضمُّ أصحابه، وذِكرُ مساوئ أهل زمانه، ليَنتبِهُوا مِن رَقدَةِ الغَفلَةِ، ويُشمِّروا عن ساقِ الجِدِّ، لإقامته مراسم الملَّة التي مِن جُملتها الجِهادُ، الَّذي هو مِن أهمِّ المَطالِب في ذلك الزَّمان[7].

---

(١) ينظر: بحار الانوار: ١٨/ ٢١٧.

(٢) الصحاح، مادة (جزم).

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (حبل).

(٤) ينظر: المصدر نفسه، مادة (زعع).

(٥) ينظر: كتاب العين، مادة (سري).

(٦) ينظر: اختيار مصباح السالكين: ٨٦.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٤١.

وأن يكونَ المُراد بتَزَعزُعِ سواري اليقين: موتُ أصحابه الَّذين كانوا لا تأخذهم في الله لومةُ لائمٍ، أو خوفُهم مِنَ الأعداءِ المَارِقين عن الدِّين.

﴿وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ، وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ، وَضاقَ المَخْرَج، وَعَمِيَ الْمُصْدَرُ﴾[1]

النَّجرُ بفتح النُّون، وسكُون الجيم: الأصلُ، والطَّبعُ، وسَوْقُ الإبل شديداً[2]، واختلافُ النَّجر اختلافُ النَّاس في الأُصولِ والقواعد، أو في الأهواءِ، والآراء، وسُلوكهم في مذاهبهم، أو في الفطرة التي فُطِرُوا عليها.

وتشتُتِ الأمر: تفرُّقه[3]، ويُمكن أن يكون المُراد به اختلافهم في الفُروع، محلُّ الخروج مِنَ الشُّبَهِ الوارِدَة عليهم، أو الخروج منها، وفي النِّسبَة تجوُّز، كما في نسبته العَمَى إلى المصدر، وهو محلُّ الرُّجوع عن الماء، وعن المقصد، أو هو: الرُّجوع نفسه[4]، وهذا العَمَى عمَى القلب، كما قال سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[5].

﴿فَالْهُدَى خَامِلٌ، وَالْعَمَى شَامِلٌ، عُصِيَ الرَّحْمنُ، وَنُصِرُ الشَّيْطانُ، وَخُذِلَ الْإِيمانُ، فَانْهارَتْ دَعائِمُهُ، وَتَنكَّرَتْ مَعالِمُهُ، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ، وَعَفَتْ شُرُكُهُ﴾[6]

---

(١) نهج البلاغة: ٣٤ خ٢.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (نجر).

(٣) ينظر: الصحاح، مادة (شتا).

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (صدر).

(٥) من قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج: ٤٦.

(٦) نهج البلاغة: ٣٤ خ٢.

الخامِلُ: (السَّاقِطُ الَّذي لا نَبَاهَة له)[1]، وانهارَت، أي: تساقَطَت، وانهدمَت[2]، والإنهيالُ، والإنهيارُ يتقاربان معنىً، كما يتقاربان لفظاً، والدَّعائمُ: جمعُ دِعامة بالكسر، وهي: عِمَادُ البيتِ الَّذي يقومُ عليه[3]، وبه سُمِّي سيِّدُ القومِ دِعامة[4].

ومَعلَمُ الشَّيءِ: ما جُعِلَ عَلَامةً له، يُستدلُّ بها عليه، ويُعلَمُ بها حُدوده، وقيل: مَعالِمُ الشَّيءِ[5].

وتَنكَّرَت، أي: تَغيَّرَت إلى مجهولٍ[6]، ودَرَسَ رَسمُ الشيَّء، أي: ذهَبَ، وبَطُلَ، وكذلك عفى.

والشُّرُك، بضمَّتين: جمعُ شِراك ككِتاب، وهي: الطَّرائقُ، وفي بعضِ النُّسخ: شركه بالتَّحريك، جمع شركه كذلك، وهي: مُعظمُ الطَّريق، ووَسَطُه[7].

﴿أَطاعُوا الشَّيْطانَ، فَسَلَكُوا مَسالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَناهِلَهُ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلامُهُ، وَقامَ لَواؤُهُ﴾[8]

---

(١) الصحاح، مادة (خمل).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (هور).

(٣) ينظر: المصدر نفسه، مادة (دعم).

(٤) ينظر: مجمع البحرين، مادة (دعم).

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (علم).

(٦) ينظر: الصحاح، مادة (نكر).

(٧) ينظر: المصدر نفسه، مادة (شرك).

(٨) نهج البلاغة: ٣٤ خ٢.

الوُرودُ: حُضورُ الماءِ للشُّرب[1]، والنَّهلُ بالتَّحريك: عيُن ماءٍ تَرِدُه الإبل في المراعي، وتُسمَّى: المنازِل الَّتي في المَفَاوز على طُرقِ السُفَّارِ مَناهِلَ؛ لأنَّ فيها ماءً[2]، والأعلامُ جمعُ عَلَم، وَهُوَ: اللِّواء.

﴿فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفافِها، وَوَطِئَتْهُم بِأَظْلافِها، وَقامَتْ عَلى سَنابِكِها﴾[3]

الدَّوسُ: الوطئ بالرِّجل[4]، والخِفُّ: للبعيرِ، والنَّعام، بمنزلة القَدَم للإنسان[5]

والحَافِرُ للخيل، والظِّلفُ بالكسر للبقر، والشَّاة، والظَّبي، ونحوها [6]، والسُّنْبُك كقُنفُذ: طرفُ مُقدَّم الحافِر، والجمعُ سنابك[7].

قال بعضُ الشَّارحين: الظَّرفُ يُحتَمَل أن يكون مُتعلِّقاً بقوله عليه السلام: **﴿سَارَتْ أَعْلَامُهُ، وقَامَ لِوَاؤُهُ﴾**، ويُحتمَل أن يتعلَّق بمُقدَّر، يكونُ خبراً لقوله: وَالنَّاس، وهذه الفِتن هي التي أشارَ إليها أوَّلاً، وإنَّما أوردها ثانياً

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (ورد).

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (نهل)، لسان العرب، مادة (نهل).

(٣) نهج البلاغة: ٣٥ خ٢.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (دوس).

(٥) ينظر: كتاب العين، مادة (خفّ).

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة (حفر)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: ٢/ ٣٨٥.

(٧) ينظر: مجمع البحرين، مادة (سبك).

بزيادةِ أوصافٍ، فبَالَغَ عليه السلام في تشبيهها بأنواعِ الحيوانِ، فاستعارَ لها أخفافاً، وأظلافاً، وحوافر، وجعلَ لها دوساً، ووطئاً، وقياما على أطرافِ الحوافر، ويُحتملُ أن يكون هناك إضمارٌ، أي: داستهم بأخفاف إبلها الى آخره، وحينئذٍ يكون التَّجوُّز في نسبة الوَطْء والدَّوس، والقيام إليها فقط، وهو المجاز في الاسناد[1]، انتهى، وفيه تأمُّل.

﴿فَهُمْ فيها تائِهُونَ حائِرُونَ، جاهِلُونَ مَفْتُونُونَ﴾[2]

التَّائه: الضَّالُّ المُتحيِّر[3]، فحائرون كالتَّفسيرِ له، والمُفتُنون: مَن أصابتُه الفِتنةُ، وقد مرَّ تفسيرها[4].

﴿فِي خَيْرِ دَارٍ [١٣٠: ظ]، وشَرِّ جِيرَانٍ، نَومُهُمْ سُهُودٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عالِمُها مُلْجَمٌ، وَجاهِلُها مُكْرَمٌ﴾[5]

الظَّاهر: أنَّ السُّهود جمعُ سُهْد بالضمِّ، وهو: السَّهرُ، والأرقُ[6]، لا مصدر سَهِدَ كفرح، كما زعمه بعضُ الشَّارحين[7]؛ لأنَّ مصدر فعِل بكسر العين لا يجيء على فعُول بالضمِّ، وهو أنسبُ بالدُّموع، والمُلجَمُ: الممنُوعُ عن الكلام،

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٤٢.

(٢) نهج البلاغة: ٣٤ خ٢.

(٣) ينظر: مجمع البحرين، مادة (تيه).

(٤) ينظر صفحة: ٤٧٢.

(٥) نهج البلاغة: ٣٥ خ٢.

(٦) ينظر: الصحاح، مادة (سهد).

(٧) ينظر: القاموس المحيط، مادة (سهد).

وعمَّا يُريدُ لخوفٍ، ونحوه.

واختلفَ الشَارحون لكلامه عليه السلام فقال بعضُهم: المُرادُ: بخير دار، الشَّام، لأنَّها الأرضُ المُقدَّسة، والمُرادُ: بشر جيران، أصحابُ مُعاوية[1].

ونَومُهم سُهودٌ؛ لأنَّهم لا ينامون اهتماماً بأُمورهم، وإعداد أنفسهم، للقتال، وكُحلهُم دُموعٌ: لبُكائهم على قَتلاهُم، والمُرادُ بالعالِم نفسه عليه السلام، وبالجاهِلِ مُعاوية.

وهذا مبنيٌّ على أن يكون قوله عليه السلام، والنَّاسُ في فِتَنٍ الى آخره، بياناً لحالِ أهلِ زمانه، لا أهل الجاهليَّة في زَمانِ البِعثَة.

وقيل: المُرادُ: وبخير دارٍ الكوفة، وشرُّ جيران: أصحابه عليه السلام الَّذين خَذَلُوه، وقَعدُوا عن نَصرِه؛ لأنَّ خير المُتجاوزين المُتعاضِدون فِي سبيلِ الله[2].

ونومهم، أي: نومُ النَّاس مُطلقاً سهودٌ؛ لخوفهم، وابتلائهم بالفِتَن، وكحلهم دُموع، لبكائهم على المقتولين، أو نومهم، أي: نومُ المُتخاذِلين مِن أصحابه عليه السلام، وهُم الجيران سهودٌ خوفهم من معاوية، وأصحابه، وكحلهم دموع: البُكاء على القتلى، أوَّله لنفاقهم، فأنَّه إذا تمَّ نِفَاقُ المرء مَلَكَ عَينيه، وهذا الاحتمال كالسَّابق في البناء على ما سَبقَ.

وقيل: المُراد بخير دار الدُّنيا، وليس المُرادُ تفضيلها على دار الآخرة، بل

---

(١) ينظر: مصباح السالكين: ٨٧.

(٢) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١/ ١١٣، شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد: ١/ ١٣٧.

إنَّ الدُّنيا دارٌ فاضِلَةٌ لِمَن قامَ فيها بأوامر اللهِ سُبحانه، كما سيجيئ في كلامه عليه السلام أنَّها متجرُ عِبادِ اللهِ.

والمُرادُ بشرِّ جيرانٍ: أهلُها؛ لأنَّ أكثرهم الجُهَّالُ، وهم شرُّ المُتجاوِرين، أو شرُّ جيرانٍ لِمَن التجأ إليهم، للانتصارِ بهم على أعداء الدِّين، ونومُهم سهودٌ: لوُقوعِ الفِتَن بهم، وكحلهم دموع: لابتلائهم بالمصائب، والشَّدايد، والأرضُ مكانهم مِنَ الدُّنيا.

والعالِمُ المُلجَمُ بلجام الذُّل: مَن قامَ فيها بالأمرِ بالمعروفِ، والنَّهيُ عن المُنكَر، والجاهِلُ المُكرَّم: الأشرارُ الجُهَّال.

وعلى هذا الوجه: يُمكن أن يكونَ الكلام وصفاً لحالِ البِعثَة، أو زمانه عليه السلام، وقيل: المُرادُ بخير دارٍ مكَّة، وبشرِّ جيران قُريش، وهذا لفظُ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله حين حكى بالمدينة حاله في مبدأ البِعثَة، فقال: (كُنتُ فِي خَيرِ دَارٍ، وَشَرِّ جِيرَانٍ) ثُمَّ حكى صلى الله عليه وآله ما جرى له مع عقبة بن أبي مُعيط [1]، والحديثُ

---

(١) أبو الوليد، عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، من كبار مشركي قريش، وهو من أشدّ الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأذى له حيث كان يضع الجزور بطريق الرسول صلى الله عليه وآله، وحاول مرة خنقه بيده، قُتل يوم بدر، ينظر: المعارف، ابن قتيبة الدنيوري، تحـ: ثروت عكاشة: ١٥٥، سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام: ١/ ٣٠١، المحبر: ١٥٧ أنساب الاشراف: ١/ ١٤٧،

مشـهورٌ[1].

وقولـه عليه السلام: نومهـم سُـهود، وكحلهـم دُمـوع، مثـل أن يقـولَ: جُودهُـم نجلٌ، وأمنهـم خـوفٌ، أي: لـو اسـتماحهم محمَّـد صلى الله عليه وآله النَّـوم لجـادوا عليـه بالسُّـهودِ عِوضَـاً عنـه، واسـتجادهم الكحـل لـكان كحلهـم الَّـذي يَصلِـونَ بـه الدُّمـوع.

ثُـمَّ قـال عليه السلام: بـأرضٍ عالِمُهـا مُلجَـمٌ، أي: مَـن عـرَفَ صِـدقَ محمَّـد صلى الله عليه وآله، وآمَـنَ بـه في تقيِّـةٍ، وخـوفٍ، وجاهلهـا مكـرم، أي: مَـن جَحَـدَ نبوَّتـه، وكذَّبـه في عـزٍ، ومَنَعَـةٍ، هـذا الوجـهُ أظهـرُ الوُجـوه، وأحراهـا بالسِّـياق.

إلَّا أنَّـه يُمكـن أن يكـون المُـراد بكـون نومهـم سـهوداً، وكحلهـم دموعـاُ مـا سَـبَقَ في بعـضِ الوُجـوه، مِـن أنَّـه بيـانٌ لشـدَة الفِتـن، وتظاهرهـا، والضَّـميرُ في نومهـم، وكحلهـم يُمكـن أن يعـودَ إلى النَّـاس عامَّـةً، أو إلى الجـيران، أي: أنَّهـم كانـوا يـؤذُون رَسـولَ الله صلى الله عليه وآله، ومـع ذلـك كانـوا مُبتلـين بالشَّـدائد، والبلايـا، والقتـل، والقتـالُ أولى أصحـابِ الرَّسـول صلى الله عليه وآله صحابتـه، فيكـونُ بيانـاً لشـدَّة بلائـه صلى الله عليه وآله، وابتـلاء أصحابـه، وتحمُّلهـم أذى القـوم.

وقـال بعـضُ الشَّـارحين: الظَّاهـرُ أنَّ هـذا الَّـذي أورَدَ السيِّد رضي الله عنه مِـن هـذه الخُطبـة فصـولٌ مُلتَقَطَـةٌ، ليسـت عـلى نظامهـا التـي خرجـت عليـه؛ فـإن كان كذلـك، فربـما يلـوحُ منهـا لـو انتظمـت [١٣١: و] مقاصِـدٌ تُوضِّـح مـا اختلفـوا فيـه، واللهُ أعلـم[2].

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ١/ ١٣٧، شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٤٤.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٤٤.

وَمِنْها: وَيَعْني آلَ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله

﴿هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبالُ دينِهِ﴾[1]

اللَّجَأ: موضِعُ الإلتجاء، كالمَلْجَأ، ويقالُ: لَجَأْتُ إليه، وَالْتَجَأْتُ إِلَيْهِ، لَجَاءً بالتَّحريك أيضاً، ومَلْجَأً[2].

والعَيبةُ: (ما يُجعلُ فيه الثِّياب)[3]، والموئلُ بالكسر: الملجأ الَّذي ينجو مَن التجأ إليه[4].

والحُكم بالضمِّ: العلمُ، والفقه، والقضاءُ بالعدلِ، والمنعُ عن الجهل، والسَّفه[5].

والكهفُ: كالبيت المنقور في الجبل، والجمعُ الكُهوف، ويُقالُ: فلانٌ كَهْفٌ، أي: ملجأ[6]، وجِبالُ الدِّين: كنايةً عمَّا يستقرُّ به الدِّين، ويحفظُه عن المَيدَانِ بأهله، والتزلزل، والاضطراب، كما تستقرُّ الأرضُ بالجبال، أو عمَّا يَهتدَي به النَّاس في طرق الدِّين، كما يهتدي النَّاس بالجبال في الفيافي،

---

(١) نهج البلاغة: ٣٥ خ٢.

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (لجأ).

(٣) المصدر نفسه، مادة (عيب).

(٤) ينظر: كتاب العين، مادة (أيل).

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (حكم).

(٦) ينظر: المصدر نفسه، مادة (كهف).

والمفاوز، وفيه دلالةٌ على عُلوِّ شأنهم، وارتفاعُ درجتهم.

والضَّمائر الستَّة المَجرورات، إمَّا راجِعةٌ إلى الله سُبحانه، فالظَّاهر أنَّ المُراد بالكتب الكتب السَّماويَة، وسَيَجيئُ إنْ شاءَ اللهُ مِن الأخبارِ ما يدلُّ على أنَّها عندهُم عليهم السلام.

وإمَّا عائدةٌ إلى الرَّسولِ صلى الله عليه وآله فالظَّاهر أنَّ المُراد بها: الكتابُ الكريم على ما نَزلَ عليه، والجفرُ، والجامعة، وغيرُ ذلك، وسيأتي إنْ شاءَ اللهُ تعالى بعضُ الأخبارِ في هذا المعنى.

﴿بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ﴾[1]

الارتعاد: الاضطراب، يُقالُ: أَرْعَدَهُ فارْتَعَد، والاسمُ الرِّعدة بالكسر، وبالفتح أيضاً، ويُقال: أَرْعَدَ الرَّجل إذا أخذته الرعدة، والفَريصَة: اللَّحمَةُ بين الجَنبِ، والكَتف، التي لا تزالُ تُرْعد مِنَ الدَّابَة [2]، وجمعها فَريصٌ، وفَرائِصُ، وارتعادُ الفرائص: عبارةٌ عن الخوفِ، والفَزَع.

والضَّميرُ المرفوع في أقام، راجعٌ إلى الله سُبحانه، أو إلى الرَّسولِ صلى الله عليه وآله والمَجروران راجِعانِ إليه صلى الله عليه وآله على ما ذكره بعض الشَّارحين[3]، أو إلى الدِّين، على ما هو القُرب.

---

(١) نهج البلاغة: ٣٥ خ٢.

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (رعد).

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٤٦.

وَمِنْها: فِي الْمُنافِقينَ

وفي كثيرٍ مِن النُّسخ الصَّحيحة: وَيَعْني قَوْماً آخَرينَ [1]، بدل قوله: في المنافقين، قال بعضُ الشَّارحين: إشارته هذه ليست إلى المنافقين، كما ذكره السيّدُ رضي الله عنه [2]، وإنَّما هي إشارةٌ إلى مَن تغلَّبِ عليه، وجحد حَقَّه كمعاوية، وغيره، ولعلَّ الرَّضيّ [3] رحمه الله عَرَفَ ذلك، وكنَّى عنه [4].

والظَّاهر أنَّ مُراد السيِّد [5] بالمنافقين، أو بقومٍ آخرين: جميعُ مَن خَالَفَهُ عليه السلام مِنَ الخُلفاءِ الثَّلاثة، وغيرهم، أو الخُلفاءِ خاصَّةً، وَعَدمُ تصريحه لنوعٍ مِنَ التَّقيَّة، كما يظهر مِن ذِكرِ أبي بكر، وعمر في الشُّقشقيَّة بلفظِ: فُلان، وفُلان، على ما في أكثرِ النُّسخِ [6].

﴿زَرَعُوا الْفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الغُرُوَر، وَحَصَدُوا الثُّبُوَر﴾ [7]

الفُجور: (الفِسقُ، والكَذِب، وأصله: المَيْلُ، والفاجِر: المائلُ) [8].

---

(١) نهج البلاغة: ٣٥ خ٢، شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد: ١/ ١٣٨، اختيار مصباح السالكين: ٨٨، شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٤٦.

(٢) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٤) شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد: ١/ ١٣٩.

(٥) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٦) لم اقف عليه في نسخ النهج

(٧) نهج البلاغة: ٣٥ خ٢.

(٨) الصحاح، مادة (فجر).

والغُـرور بالضـمِّ: الخُدْعـة[1]، وَحَصَـد الـزَّرع كنـصَرَه، وضربـه: قطعـه بالمِنْجَـل.

والثَّبور: الهَلاكُ، والخُسران، أيضاً، والمكان[2].

فسـوقُهم، وعُدُولهـمْ عـن الحـقِّ الصَّريـح الَّـذي هـو إتباعُـه عليه السلام، والتَّمسُّـك بحبـلِ ولائـه صلـوات الله عَلَيْـه، مِمـا يـزدادُ، وينـشر بغرورهـم، وغـرور الشَّـيطان، ويُثمِـرُ الهـلاكَ، والخُـسران في الدُّنيـا، والآخـرة، شـبَّهَهُ عليه السلام بالحَـبِّ في نُمـوِّه، وانتشـار العـروق منـه في الأرض، وازديـاده بالسَّـقي، وانتفـاعُ الـزُرّاعِ بـه، واسـتعار لـه لفظـاً الـزَّرع، والسَّـقي، والحصـد.

﴿ لا يُقاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِنْ هِذهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلا يُسَوّي بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُم عَلَيْهِ أَبَداً ﴾[3]

قِسـتُ الـشَّيء بالـشَّيء، أي: قدَّرتـه عـلى مثالـه، والمِقْيـاس: مقـدارٌ، وقيـسُ رمْـحٍ بالكـسر، وقاسَـهُ: قَـدْرُهُ[4]، وَسَـوَّيته بـه، وسـاوَيْتُ بمعنـىً، وفي بعـضِ النُّسـخ: لا يُسـاوى بِهِـمْ[5]، وفي التَّعبيرِ بلفـظ الجَريـانِ تشـبيهٌ [١٣٢: ظ] للنِّعمـة بالمـاء السَّـائل في عُمومِـه، وشُـمولِه.

---

(١) ينظر: الصحاح، مادة (غرر).

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (ثبر).

(٣) نهج البلاغة: ٣٥ خ٢.

(٤) ينظر: مجمع البحرين، مادة (قيس).

(٥) ينظر: المختصر: ٧٨.

وهذه النِّعمةُ التي أشارَ إليها عليه السلام يشملُ النِّعَم الدُّنيويَّة، والأُخرويَّة، كما أنَّه يدخلُ في المُنعَمِ عليهم جميعُ الصحَّابة، والتَّابعين، وغيرهم.

فأوَّلُ النِّعَم: نِعمَةُ الوُجودِ؛ فإنَّه لولاهم لَما خَلَقَ اللهُ جِنَّاً، ولا إنساً، ولا سماء ولا أرضاً، وقد مرَّ شيءٌ يسيرٌ مِن الأخبارِ في هذا المعنى، في قصَّة آدم عليه السلام.

ومنها: نِعمَةُ الحياة للصَّحابة، وغيرهم مِن أهلِ الإسلام، فمِنَ الضَّروريَّات أنَّه لو لا ثُبوت أميرُ المُؤمنين عليه السلام في الحروب لتزلزلَت أركانُ الإسلام، ولولا سيفه ما استقام ظهرُ الإيمان، ولا قامت دِعامَةُ الدِّين، ولم يبقَ أثرٌ مِنَ الإسلام، والمُسلمين.

ومنها: نِعمَةُ الهداية، والإرشاد، والدُّعاء إلى الإسلام، وقد اعترف بذلك المُخالِف، والمُوالِف، وادَّعت كُلُّ فِرقَةٍ الانتساب إليه في العلومِ، والاقتباسِ مِن مَشكَاةِ ضِيائه، ومصابيحِ أنواره.

وبالجُملةِ: فضائلهم، وفواضلهم أجلُّ، وأعلى مِن أن يُرتقى الى أدنى مدارجها الوصفُ، والبيان، وهم مَعدِنُ كُلِّ خيرٍ، ومَنبعُ كُلِّ إحسانٍ، وما الإخبارُ عن فضائلهم إلَّا كوصفِ الشَّمس بالضَّوءِ "الباهر"[1]، والإغترافِ مِنَ البحرِ الزَّاخر.

﴿هُمْ أَساسُ الدِّينِ، وَعِمادُ الْيَقينِ، إِلَيْهِمْ يَفيءُ الْغالِي، وَبِهِمَ يَلْحَقُ التَّالِي﴾[2]

---

(١) في نسخة (ب): الباهرة.

(٢) نهج البلاغة: ٣٥ خ٢.

الأساسُ، بالفتح: أصلُ البناء، وأصلُ كُلِّ شيءٍ، كالأسُّ، مثلثةٌ، والأَسَس مُحرَّكة[1]، ويفيء، أي: يَرجِع، ويُقالُ: فلانٌ سريعُ الفَيء مِن غَضَبِهِ[2]، والغُلُوُّ: مُجاوزَة الحدِّ[3]، والتَّالي: المُتأخِّر، يُقالُ: مَا زِلْتُ اَتْلُوهُ حتَّى اَتْلَيْتُهُ، أي: تَبِعْتُهُ حتَّى تَقَدَمْتُهُ، وصارَ خلفي[4].

ولعلَّ المعنى: أنَّه لا بدَّ لِكُلِّ أحدٍ مِنَ التَّمسُّك بذيلهم، وعدمِ التَّخلُّف عنهم، فمَن أفرطَ، أو فرَّطَ يرجِعُ إليهم، ويلحقُ بهم، فإنَّهم الصِّراطُ المُستقيم، ومِيزانُ الدِّين القويم.

وهذا مِن قبيلِ ما وَرَدَ في الزِّيارة الجامعة مِن قوله عليه السلام: (الرّاغِبُ عَنْكُم مارِقٌ، وَاللَّازِمُ لَكُمْ لاحِقٌ، وَالمُقَصِّرُ في حَقِكُمْ زاهِقٌ)[5].

﴿وَلَهُمْ خَصائِصُ حَقِّ الْوِلايَةِ، وَفيهِمُ الْوَصِيَةُ، والْوِراثَةُ﴾[6]

خصائصُ الشَّيء: لوازمه، والوِلاية بالكسر: الإمارةُ، والسُّلطان، وأمَّا الوَلاية بالفتح: فهو النَّصر، والحُبُّ، وهما مَصْدَران، وقال سيبويه: بالفتحِ مَصْدرٌ، وبالكسرِ اسمٌ، كالإمارةِ، والنِّقابة[7]، والوِراثة بالكسر: تشملُ وراثةُ

---

(١) ينظر: الصحاح، مادة (أسس).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (فيأ).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (غلّ).

(٤) ينظر: اصلاح المنطق: ١٥١، الصحاح، مادة (تلا).

(٥) بحار الأنوار: ٩٩/ ١٥٠.

(٦) نهج البلاغة: ٣٥ خ٢.

(٧) لم اقف عليه في الكتاب وانما ورد في: ينظر: الصحاح، مادة (ولى)، التبيان في تفسير

العِلم، والخِلافة، والمال، والسِّلاح.

في الكلام ردٌّ على ما وضعوه مِن قولهم: (نَحنُ مَعَاشِرَ الأَنبِيَاءِ لَا نُورِّث)[1]، والمُرادُ بإثبات لوازم الولاية، والخلافة لهم عليهم السلام نفيها عن غيرهم ينفي لازمها، والوصيَّةُ: هو النَّصُّ على أميرِ المُؤمنين، وأولاده المَعصومين عليهم السلام.

وقد حكى الشَّارح الفاضل عبد الحميد بن أبي الحديد أبياتاً كثيرةً، مَقولَةٌ في صدر الإسلام، تتضمَّنُ تسميته بوصيِّ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله[2].

﴿الْآنَ اِذْ رَجَعَ الْحَقُّ اِلى اَهْلِهِ، وَنُقِلَ اِلى مُنْتَقَلِهِ﴾[3]

هكذا في أكثرِ النُّسخ، وفي بعضها ما ذكره الشَّارح البحْراني[4]: قَدْ رجع موضع إذ رجع[5]، وفي بعضِ النُّسخِ: وَكانَ قَدْ رَجَعَ[6]، وعلى الأخيرَينِ، فالأمرُ واضحٌ، وأمَّا على الأوَّل، فيُحتمَل أن يكون الآن مُبْتَدأً، وإذ رجِعَ خبره

القرآن: ٧/ ٤٩.

(١) ينظر: الإيضاح، الفضل بن شاذان الأزدي، تحـ: السيد جلال الدين الحسيني: ٥١٥، المسائل الصاغانية: ٩٩، رسائل الشريف المرتضى: ٣/ ١٤٦، فتح الباري: ١٢/ ٦، زبدة البيان في أحكام القرآن، المحقق الأردبيلي، تحـ: محمد الباقر البهبودي: ٦٥٦.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد: ١/ ١٤٣.

(٣) نهج البلاغة: ٣٥ خ٢.

(٤) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٤٨.

(٦) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١ / ١١٠.

بناءً على جوازِ كونِ إذْ، وإذا اسمَين.

قال صاحِبُ الكشَّافِ في سورة آل عمران، في تفسير قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً**﴾[1]: وقُرِئ: لمن مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، مَنُّهُ أَو بَعْثُهُ إِذْ بَعَثَ فيهم، وفيه وجهان: أن يُرادَ لِمَنْ مَنِّ اللهُ على المؤمنين مَنُّه، أو بَعْثُهُ إذ بَعَثَ، فحُذِفَ لقيام الدِّلالة، أو يكون إِذْ في محلِّ الرَّفع كَإِذا في قولك: أخطبُ ما يكُونُ الأميرُ إذا كان قائماً، أيْ: مِنْ مَنِّ اللهُ عَلَى المؤمنِينَ وقتُ بعثه[2]، انتهى.

وقال الفاضلُ التَّفتازاني[3]: مبنى الوَجهين على أنَّ كُلَّاً [١٣٣: و] مِن إِذْ، وإِذا كما يُستعملُ ظرفاً، يُستعملُ اسماً، فعلى الظَّرفيَّة هاهنا، المبتدأ محذوفٌ، أي

---

(١) من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ آل عمران: ١٦٤.

(٢) ينظر: الكشاف: ١/ ٤٧٧.

(٣) سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد اللهّ التفتازاني الهروي الشافعي الخراساني، عالم في النحو والتصريف والمعاني والبيان والفقه والأصول والمنطق وغير ذلك. ولد سنة ٧١٢ ه بتفتازان إحدى قرى نواحي نسأ، وأخذ عن القطب والعضد، وانتفع الناس بتصانيفه، وتوفي بسمرقند سنة ٧٩١ ه، من تصانيفه الكثيرة: شرح تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، حاشية على الكشاف للزمخشري في التفسير، التهذيب في المنطق، المقاصد في علم الكلام، وحقائق التنقيح لصدر الشريعة في الأصول، ينظر ترجمته: الاعلام: ٧/ ٢١٩، الكنى والألقاب: ٢/ ١٢١، هدية العارفين: ٢/ ٢٤٩، معجم المطبوعات العربية: ١/ ٦٣٥، معجم المؤلفين: ١٢/ ٢٢٨.

مَنُّه، أو بعثه، والظَّرفُ مُتعلِّقٌ به، وَمِنْ مَنِّ الله خبره، والدَّالُّ على المحذوف هو الخبرانْ، قُدِّرَ مَنُّه، والظَّرف إن قُدِّرَ بَعْثُهُ[1].

وكذا في المثالِ يكونُ الخَبر محذوفاً، والظَّرفُ دالَّاً عليه، أي: أَخْطَبُ أَكْوانِ الْأَميرِ، وأَوْقاتِهِ حاصِلٌ إذا وُجدَ قائماً، وعلى الاسميَّة لا حذف؛ لأنَّ إِذْ مَرْفُوعٌ على الابتداء، وَمِنْ مَنِّ الله خبره، أي: مِنْ منِّ الله وَقْتُ بَعْثِهِ على طريقةِ نهاره صائم، وإذا مرفوعٌ على الخَبريَّة، أي، أخطب أوقات الأمير وقت كونه قائماً.

وما ذُكرَ مِن لزوم حذفِ الخبر؛ إنَّما هو على تقديرِ ظرفيَّة إذا انتهى، وبيانُ أنَّه على طريقة نهاره صائمٌ إنّ مِنْ مَنّ الله خبرٌ عن الوقتِ، وهو في الحقيقةِ خبرٌ عمَّا أُضيفَ الوقتُ إليه.

وذكرَ ابن هشام[2] في مُغنى اللَّبيب، في قولك: بينما أنا قائمٌ إذ جاءَ عمرٌ،

---

(١) ينظر: شرح المقاصد في علم الكلام: ٢/ ١٣٤.

(٢) جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري الخزرجي الشافعي الحنبلي الشهير بابن هشام النحوي، ولد في ذي القعدة سنة ٧٠٨هـ، من أهل القاهرة وفي بمصر في ٦ ذي القعدة، ودفن بمقبرة الصوفية. من مؤلفاته: قطر الندى وبل الصدى، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب وكلاهما في النحو، شرح الجامع الصغير لحمد بن الحسن الشيباني في فروع الفقه الحنفي، شرح بانت سعاد، وشرح الشافية وسماه عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب، حاشية على التوضيح لجده ابن هشام النحوي، توفي: ٧٦١ه، ينظر ترجمته: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي الأتابكي: ١٠/ ٣٣٦، إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطيّ، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم: ١/ ٢٨، معجم المطبوعات العربية: ١/ ٢٧٣، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٦/ ١٢٧، معجم

وقيل: بين مبتدأ، وإذ خبره، والمعنى: حين أنا قائمٌ حينَ جاءَ زيد [1]، انتهى.

ويُحتملُ أن يكون الآنَ في قوله عليه السلام ظَرفاً لرجِع، وتكونُ إذ زائدةٌ للتوكيد، نقل ذلك ابن هشام، عن أبي عبيدة [2]، وابن قتيبة [3]، أو يكونُ للتحقيق كَقَدْ، نقله ابن هشام عن بعضهم [4].

وهذانِ المَعنيان لإذْ، وإن زيَّفهما ابن هشام، لكنَّ المعنى الأخير لُموافقته للنُّسخة الأُخرى، يُمكن أن يُستشهد لإثباته بكلامه عليه السلام، واحتمال كون الآن مُتعلِّقاً بما قبله، وإذْ تعليلية حتَّى يكونَ المُراد مِنَ الوصيَّة، والوراثة ما ترتَّب عليه الأثر، وخرج عن القُوَّة إلى الفِعل بَعيدٌ فتأمَّل.

والمُنتقَل بالفتح اسْمُ مكانٍ مِن الانتقال، وَيجيء اسْمُ المكانِ، وكذا اسم الزَّمان مِنَ المزيدِ فيه على لفظ المفعول قياساً مُطرداً، ولا حاجةَ إلى ما تكلَّفه بعضُ الشَّارحين مِن أنَّ في الكلام تقديرٌ مُضافٌ، أي: إلى موضِع مُنتقله.

قال: والمُنتقَل بفتح القاف، مَصْدَرٌ بمعنى الانتقال، كقولك: في هذا

المؤلفين: ١/ ١٦٤.

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحـ وضبـ: محمد محيي الدين عبد الحميد: ١/ ٨٣.

(٢) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٤) ينظر: مجاز القرآن: ١/ ٣٦، تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدنيوري، تحـ: إبراهيم شمس الدين: ١٥٨، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحـ: عبد الجليل عبده شلبي: ١/ ١٠٨، التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري: ٢٢.

الأمر مضطرب، أي: اضطرابٌ، قال: قَدْ كانَ لي مُضْطربٌ واسعٌ في الأرض ذاتِ الطُّول، والعرض، وتقولُ: ما مُعتقدك؟ أي: اعتقادك.

يقولُ: قد رجِعَ الأمرُ إلى نِصابِه، وإلى الموضِعِ الَّذي هو على الحقيقةِ المَوضِعُ الَّذي يجبُ أن يكونَ انتقاله إليه [1]، انتهى.

ولعلَّ الأنْسَبَ بالتَّوصيفِ بواسع فيما استشهد به أيضاً، أي: يكونُ اللَّفظ اسمَ مكانٍ، إلَّا أن يُعلَم أنَّ مُرادَ الشَّاعر بيانُ حالِ الاضطراب لا المحلِّ، وفي المثالِ أن تكونَ الكلمة اسمُ مفعُولٍ، بل المصدرُ أيضاً إذا سُئل: ما اعتقادك، بمعنى المفعول، بقرينة أنَّه يُجاب عنه بذكرِ القضيَّة المُصدَّقِ بها،، والأمرُ فيه هيِّنٌ.

والمُرادُ بموضِع الانتقال، أمَّا المَوضِعُ الَّذي كان الحقُّ فيه بأمر الله سُبحانه، فنقله النَّاقلون إلى غيره غَصباً، وعُدوانَاً، أو الموضِع الَّذي يليقُ بأن ينتقلَ الحقُّ إليه، ويستقرُّ فيه.

وقال الشَّارحُ الفاضل عبد الحميد بن أبي الحديد: ("يَبعدُ"[2] أن تكونَ هذه الكلمات مَقُولَةٌ عُقيبَ انصرافه مِن صِفِّين؛ لأنَّه انصرف منها وَقْتَئِذٍ مُضطرِبَ الأمرِ، مُنتشرَ الحبلِ بواقعة التَّحكيم، ومكيدة ابن العاص، وما تمَّ لمُعاوية عليه مِنَ الاستظهارِ، وما شاهَدَ عليه السلام في عسكره مِنَ الخُذلانِ، وهذه الكلمات لا تُقال في مثلِ هذه الحال، وأَخْلِقْ بها أن تكونَ قيلَت في ابتداءِ بيعته،

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد: ١/ ١٤٠.

(٢) في نسخة (ب): يبعد عندي.

قبل أن يخرجُ عن المدينة إلى البَصْرة، وأنَّ الرَّضي رحمه الله نقلَ ما وجدَ، وحكى ما سَمِعَ، والغلطُ مِنْ غيره، وَالوهمُ سابقٌ له، وَما ذكرناه واضحٌ)[1]، انتهى.

وهو كلامٌ متينٌ، واللهُ تعالى أعلمُ بحقيقةِ الحالِ.

بعض فضائل أهل البيت عليهم السلام

تذييِّل، وتكميل: قد تضمَّن الفَصْلان مِن هذه الخُطبة الإشارةُ إلى بَعْضِ فضائل آل الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله، وهي، وإن كانت [١٣٤: ظ] مِمَّا لا يحومُ حوله عدوّ احصاء، وقد رُوي فيها مِن طُرقِ العامَّة، والخاصَّة ما لا يُحيطُ به الانتهاء، إلَّا أنَّا نقنعُ في هذا المقام باليسيرِ منهما، عن الكثيرِ مِما رواه أصحابنا رضوان الله عليهم في كتبهم، تأكيداً لِمَا يدلُّ عليه كلامه عليه السلام، وتشييِّداً لأركانِ الإسلام،، وعسى اللهُ أن يجعلنا بذلك مِمَّن شَمِلَهُ فيضُ فضله وجوده.

وقد رُوي عن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال: (إِنَّ اللهَ جَعَلَ لِأَخي عَلِيٍ فَضائِلَ لَا تُحْصى كَثْرَةً، فَمَنْ ذَكَرَ فضيلَةً مِنْ فَضائِلِهِ، مُقِرّاً بِها، غَفَرَ اللهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وما تَأَخَّرَ، وَمَنْ كَتَبَ فضيلَةً مِنْ فَضائِلِهِ، لَمْ تَزَلِ المَلائكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا بَقِيَ لِتِلْكَ الْكِتابَةِ أَثَرٌ، ورَسْمٌ، وَمَنِ اسْتَمَعَ فَضيلَةً مِنْ فَضائِلِهِ، غَفَرَ اللهُ لَهُ الذُّنُوبَ الَّتي اكْتَسَبَها بِالِاسْتِماعِ، وَمَنْ نَظَرَ إِلى كِتابٍ مِنْ فَضائِلِهِ، غَفَرَ اللهُ لَهُ الذُّنُوبَ الَّتي اكْتَسَبَها بِالنَّظَرِ، ثُمَ قَالَ: النَّظَرُ إِلَى عَلِيٍ عِبَادَةٌ، وَذِكْرُهُ عِبادَةٌ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إيمَانَ عَبْدٍ إِلَّا بِوِلايَتِهِ، وَالْبَراءَةِ مِنْ أَعْدائِهِ)[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد: ١ / ١٤٣.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٢٠١، المناقب، الخوارزمي: ٣٢ ح ٢.

وسنذكرُ مِن الأخبارِ التي روته الجمهور في كتبهم في موضِع آخر إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

وما انطوت عليه هذه الخُطبة الشَّريفة أمورٌ، منها:

أنَّهم موضِعُ السِّرِّ المخزون، ومَعدِن العِلم المكنون، كعلم المنايا، والبلايا، والعِلمُ بالاسم الأعظم، وأمثالُ هذه، ومِمَّا وَرَدَ في ذلك، ما رَواهُ ثِقةُ الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني رحمه الله بإسناده عن عبدالله بن جندب [1] أنَّه كتبَ إليه الرِضا عليه السلام: (أَمَا بَعدُ، فَإنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله، كَانَ أَمِينَ الله فِي خَلقِهِ، فَلَمَّا قُبِضَ عليه السلام كُنَّا أَهلَ البَيتِ وَرَثَتَهُ، فَنَحنُ أُمَنَاءُ الله فِي أَرضِهِ، عِندَنَا عِلمُ البَلَايَا، والمَنَايَا، وَأَنسَابُ العَرَبِ، وَمَولِدُ الإسلَامِ، وَإِنَّا لَنَعرِفُ الرَّجُلَ إِذَا رَأَينَاهُ بِحَقِيقَةِ الإِيمَانِ، وَحَقِيقَةِ النِّفَاقِ، وأَنَّ شِيعَتَنَا المَكتُوبُونَ بِأَسمَائِهِم، وَأَسمَاءِ آبَائِهِم، أَخَذَ اللهُ عَلَينَا، وعَلَيهِم المِيثَاق، يَرِدُونَ مَورِدَنَا، وَيَدخُلُونَ مَدخَلَنَا، لَيسَ عَلَى مِلَّةِ الإسلَامِ غَيرُنَا، وغَيرَهُم، وَنَحنُ النُّجَبَاءُ النُّجَّاة، وَنَحنَ إفرَاطُ الأَنبِيَاءِ، وَنَحنُ أَبنَاءُ الأَوصِيَاءِ، وَنَحنُ المَخصُوصُونَ فِي كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَنَحنُ أَولَى النَّاسِ بِكِتَابِ الله، وَنَحنُ أَولَى النَّاسِ بِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، ونَحنُ

---

(١) عبد اللهَّ بن جُندَب البجلّي، الكوفّي، عربّي، من أصحاب الامام الصّادق والامام الكاظم و الامام الرّضا عليهم السلام، وروى عنهما، وكان وكيلاً لهما عليهم السلام رفيع المنزلة لديهما، ثقة، ينظر ترجمته: الرجال، البرقي: ٤٥، رجال، الطوسي: ٣٥٩،، خلاصة الأقوال: ١٩٣، منتهى الطلب: ٥/ ٢٤٨، رجال ابن داود: ١١٧، التحرير الطاووسي: ٣٤١، نقد الرجال: ٣/ ٩٤، جامع الرواة: ١ / ٤٧٩، منتهى المقال في احوال الرجال: ٤/ ١٧٠، موسوعة طبقات الفقهاء: ٢/ ٣٣١.

الَّذِينَ شَرَعَ الله لَنَا دِينَهُ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ: شَرَعَ لَكُم يَا آلَ مُحَمَّد مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحَاً، قَد وَصَّانَا بِمَا وَصَّى بِهِ نُوحَاً، والَّذِي أَوحَينَا إلَيكَ يَا مُحَمَّدُ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إبرَاهِيمَ، ومُوسى، وعيسَى، فَقَد عُلِّمنَا، وَبُلِّغْنَا عِلَمَ ما عُلِّمْنَا، واستُودَعْنا عِلمَهُم، نَحنُ وَرَثَةُ أُولِي العَزمِ مِنَ الرُّسُلِ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ يَا آلَ مُحَمَّد، وَلا تَتَفَرَّقُوا فيهِ، وَكُونُوا عَلَى جَمَاعَةٍ، كَبُرَ عَلى المُشْرِكينَ مَن أَشرَكَ بِوُلَايَةِ عَلِيٍّ مَا تَدْعُوهم إِلَيهِ مِن وُلَايَةِ عَلِيٍّ، إِنَّ اللهَ يَا مُحَمَّد يَهْدي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ مَن يُجِيبُكَ إِلَى وُلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام)[1]. وقد روى هذه الرّواية محمّد بن الحَسَن الصّفار رضي الله عنه في كتاب بصائر الدَّرجات بالإسناد عن عبدالله بن عامر[2] عن ابن أبي نجران[3]، قال: كتبَ أبو الحَسَنِ الرِّضا عليه السلام رسالةً، وأقرأَنيها، قال عليّ بن

(١) الكافي: ١/ ٢٢٣ ح ١.

(٢) أبو محمد، عبد الله بن عامر بن عمران بن أبي عمر الأشعري شيخ من وجوه أصحابنا، ثقة بالاتفاق له كتاب النوادر، الحسين بن عبيد الله رواه عنه ابن أخيه الحسين بن محمد بن عامر، ينظر ترجمته في: الرجال، النجاشي: ٢١٨، خلاصة الاقوال: ٢٠١، نقد الرجال: ٣/ ١١٧، طرائف المقال: ١/ ٢٤١، جامع الرواة: ١ / ٤٩٤، منتهى المقال في احوال الرجال: ٤ / ١٩٧، الرسائل الرجالية، محمد بن محمد ابراهيم الكلباسي: ٣ / ١٦٦، شعب المقال في درجات الرجال، ميرزا أبو القاسم النراقي: ٩٧، معجم رجال الحديث: ١١/ ٢٤٤.

(٣) أبو الفضل، عبد الرّحمن بن أبى نجران واسمه عمرو بن مسلم التّميمي، مولى كوفي روى عن الرّضا عليه السلام، وروى أبوه نجران عن أبى عبد اللهّ عليه السلام، كان عبد الرّحمن ثقة ثقة معتمدا على ما يرويه له كتب كثيرة لم يرى منها الا: كتاب البيع والشراء، ينظر ترجمته في: الرجال، النجاشي: ٢٣٥، الرجال، الطوسي: ٣٦٠، منتهى المطلب: ٣/ ١٥٤، الرجال، ابن داود: ١٢٨، تقد الرجال: ٣ / ٤١، مناهج الأخيار

الحسين عليهما السلام: (إِنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله كَانَ أَمِينُ اللهِ فِي أَرضِهِ)[1]، وذكر الحديث.

وروى محمّد بن يعقوب رحمه الله عن سعيد الأعرج[2]، قال: دخلتُ أنا، وسُليمان بن خالد[3] على أبي عبدالله عليه السلام فابتدأنا، وقال: (يَا سُلَيمَان، مَا جَاءَ عَن أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام يُؤخَذُ بِهِ، وَمَا نَهَى يُنتَهَى عَنهُ، جَرَى لَهُ مِنَ الفَضلِ مَا جَرَى لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، ولِرَسُولِه عليه السلام الفَضلُ عَلَى جَمِيعِ مَن خَلَقَ اللهُ.

المُعِيبُ عَلَى أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام كَالمُعَيِّبِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَى رَسُولِه صلى الله عليه وآله، وَالرَّادُّ [١٣٥: و] عَلَيهِ فِي صَغِيرَةٍ، أَو كَبِيرَةٍ، عَلَى حَدِّ الشِّركِ بِاللهِ، كَانَ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ عليه السلام بَابَ اللهِ الَّذِي لَا يُؤتَى إِلَّا مِنهُ، وَسَبِيلَ الَّذِي مَنْ

في شرح الاستبصار، السيد احمد العاملي: ٢/ ٣٦.

(١) بصائر الدرجات: ١٣٨ ح ١.

(٢) أبو عبد الله سعيد بن عبد الرحمن الأعرج السمان التيمي مولاهم، كوفي، ثقة، له أصل روى عن الإمامين أبي عبد الله، وموسى بن جعفر عليهما السلام، وروى عنه جماعه، ينظر ترجمته: الناصريات: ٨٤، الخلاف: ١/ ٤٠٦، الرجال النجاشي: ١٨١، منتهى الطلب: ١/ ٤٧، نقد الرجال: ٢/ ٣٢٣، جامع الرواة: ١/ ٣٦٠.

(٣) أبو الرّبيع، سليمان بن خالد بن دهقان بن نافلة، البجلّي، الكوفّي، مولى عفيف بن معدي كرب. كان قارئا، فقيها، وجها، ثقة، صاحب قرآن. روى عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، عده الشيخ المفيد من شيوخ أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وخاصته وبطانته وثقاته، ومن الفقهاء الصالحين. توفي في حياة الإمام الصادق عليه السلام، ينظر ترجمته: الارشاد: ٢/ ٢١٦، الرجال، النجاشي: ١٨٣، الخلاف: ١/ ١٥٧، الرجال، ابن داود: ٢٤٨، منتهى الطلب: ١/ ٢٢٦، خلاصت الاقوال: ١٥٣، تاريخ الكوفة، البرقي، تحـ: ماجد أحمد العطية: ٣٨٩، مناهج الأخيار في شرح الإستبصار: ٢/ ٢٤٧.

سَلَكَ بِغَيرِه هَلَكَ، وَبِذَلِكَ جَرَت الأَئمَّة عليهم السلام وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، جَعَلَهُم اللهُ أَركَانَ الأَرضِ أَن تَمِيدَ بِهِم، وَالحُجَّةُ البَالِغَةُ عَلَى مَن فَوقَ الأَرضِ، وَمَن تَحتَ الثَّرَى، وَقَالَ: قَالَ أَمِيرُ المُؤمنين عليه السلام: أَنَا قَسِيمُ الله بَينَ الجَنَّةِ، والنَّارِ، وَأَنَا الفَارُوقُ الأَكبَر، وَأَنَا صَاحِبُ العَصَا، والمِيسَم، وَلَقَد أَقَرَّت لِي جَمِيعُ المَلَائِكَةِ، والرُّوحُ بِمِثلِ مَا أَقَرَّت لِمُحَمَّد صلى الله عليه وآله، ولَقَد حَمَلتُ عَلَى مِثلِ حَمُولَةِ رَسُول الله؛ وَهِيَ حَمُولَة الرَّبِّ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله يُدعَى فَيُكسَى، ويُستَنطَقُ، وَأُدعَى فَأُكسَى فَاستَنطَقُ فَانطِقُ عَلَى حَدِّ مَنطِقِهِ، وَلَقَد أُعطِيتُ خِصَالاً لَم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبلِي، عَلِمتُ عِلمَ المَنَايَا، والبَلَايَا، وَالأَنسَابُ، وَفَصلَ الخِطَابِ، فَلَم يَفُتْنِ مَا سَبَقَنِي، وَلَم يَعزِبُ عَنِّي مَا غَابَ عَنِّي، أُبَشِّرُ بِإذنِ الله، وَاؤدِّي عَن الله عَزَّ وَجَلَّ كُلُّ ذَلِكَ مَكَّنَنِي اللهُ فِيهِ بِإذنِهِ)[1].

وعن المُفضَّل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام مثله بتغيّر يسير[2]، وعن أبي الصَّامت الحلواني[3] عن أبي جعفر عليه السلام ما يَقرُب منهما[4].

وروى شيخُ الطَّائفة رحمه الله في أماليه بالإسناد عن المُفضَّل، عن أبي عبدالله

---

(١) الكافي: ١/ ١٩٧ ح ٢.

(٢) الكافي: ١/ ١٩٦ ح ١.

(٣) أبو الصَّامت الحلواني من اصحاب ورواة الامام الباقر، والامام الصادق عليهما السلام، ينظر ترجمته: جامع الرواة: ٢/ ٣٩٤، قاموس الرجال: ١١/ ٣٦٩، مستدركات علم رجال الحديث: ٨/ ٤٠٦، المفيد من معجم رجال الحديث: ٧٠٤، مشايخ الثقات: ١٥٠.

(٤) الكافي: ١/ ١٩٨ ح ٣.

عليه السلام قال: (قَالَ أَمِيرُ المُؤمِنينَ صَلَواتُ الله عَلَيهِ: أُعطِيتُ تِسعاً، لَم يُعْطَهَا أَحَدٌ قَبلِي سِوَى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله لَقَد فُتِحَت لِي السُّبُل، وَعُلِّمتُ المَنَايَا، والبَلَايَا، والأَنسَابِ، وَفَصلُ الخِطَابِ، وَلَقَد نَظَرْتُ فِي المَلَكُوتِ بِإذنِ رَبِّي، فَمَا غَابَ عَنِّي مَا كَانَ قَبلِي، وَلَا مَا يَأتِي بَعدِي وَإنَّ بِولَايَتِي أَكمَلَ اللهُ لِهَذِهِ الأُمَّة دِينَهُم، وَأَتَمَّ عَلَيهِم النِّعَم، وَرَضِيَ لَهُم إِسلَامَهُم، إذ يَقُولُ يَومَ الوِلَايَةِ لِمُحَمَّد صلى الله عليه وآله: يَا مُحَمَّد أَخبِرهُم إِنِّي أَكمَلتُ لَهُم اليَومَ دِينَهُم، وَأَتمَمتُ عَلَيهِم النِّعَم، وَرَضِيتُ إِسلَامَهُم[1]، كُلُّ ذَلِكَ مَنّاً مِنَ اللهِ عَلَيَّ، فَلَهُ الحَمدُ)[2].

ورَوى محمّد بن يعقوب رضي الله عنه بالإسنادِ عن عبد الواحد بن المختار[3] قال: قال أبو جعفر عليه السلام: (لَو كَانَ لِأَلسِنَتِكُم أوكِيَةٌ[4] لَحَدَّثتُ كُلَّ امرِئ بِمَا لَهُ،

---

(١) إشارة الى قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ المائدة:٣

(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي: ٢٠٥ ح ٣٥١.

(٣) عبد الواحد بن المختار الأنصاري الكوفي من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وروى عنهما، وروى عنه زرارة وابن بكير والفضيل بن يسار وأبان بن عثمان ينظر ترجمته: مستطرفات السرائر: ٢٧، الرجال، الشيخ الطوسي: ١٣٩، نقد الرجال: ٣/ ١٦٧، مستدركات علم رجال الحديث: ٥/ ١٥٤، معجم رجال الحيث: ١٢/ ٤٣، المفيد من معجم رجال الحديث: ٣٥٩، الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام، عبد الحسين الشبستري: ٢/ ٣٣٨.

(٤) أوكية: جمع وكاء، وهو رباط القربة وغيرها، شبه الحالة التي تمنع الإنسان عنالتكلّم بما يضرّه بالوكاء الذي يشدّ به رأس القربة للإفصاح والإيضاح، ينظر: لسان العرب، مادة، (وكي)، شرح أصول الكافي: ٦/ ٥١.

وعَلَيْهِ)[1].

وَرَوى محمّد بن الحَسَن الصّفار في بصائر الدرجات بالإسْنادِ عن أبي بصير[2] عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قُلتُ لَهُ: (ما لنا مَن يحُدِّثُنا بما يكونُ كما كان عليٌّ عليه السلام يُحدِّث أصحابه؟ قال: بَلَى، والله، وَإنَّ ذَلِكَ لَكُم، وَلَكِن هَاتِ حَدِيثاً وَاحِداً حَدَّثتُكُم بِهِ، فَكَتَمتُم فسكَتُّ، فو اللهِ ما حدَّثني بحديثٍ إلَّا، وقد حدَّثتُ به)[3].

وَرَوى محمّد بن يعقوب رحمه الله بالإسنادِ عَنْ سَيْف بن عُميرة[4] عن إسحاق بن عمَّار[5] قال: سَمِعتُ العَبد الصَّالح عليه السلام ينعى إلى رَجُلٍ نفسه، فقلتُ في نفسي: وإنَّه ليَعلم متى يموتُ الرَّجُل مِن شيعته، فالتفتَ إليَّ شِبه المُغضَب، فقال: (يَا إسحَاق، قَد كَانَ رُشَيدٌ الهِجرِي يَعلَمُ عِلمَ المَنَايَا،

---

(١) الكافي: ١/ ٢٦٤ح ١.

(٢) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٣) بصائر الدرجات: ٢٨١ ح ٥.

(٤) سيف بن عميرة النخعي، عربي، كوفي، ثقة، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليهما السلام، ينظر ترجمته: الرجال، البرقي: ٤١، رسالة في آل أعين: ٣٥، جوابات أهل الموصل: ٤٠، مستطرفات السرائر: ١٩٣، الرجال، النجاشي: ١٨٩، الفهرست، الشيخ الطوسي: ١٤٠، معالم العلماء: ٩١، منتهى الطلب: ٤/ ٣٩٠، خلاصة الأقوال: ١٦٠، رجال ابن داود: ١٠٨، نقد الرجال: ٢/ ٣٨٨.

(٥) إسحاق بن عمار بن موسى الساباطي، ممن روى عن الإمام الصادق عليه السلام، ثقة، له أصل، وأصله معتمد عليه، ينظر: رجال النجاشي:٥٥، ورجال الطوسي: ٣٣١، الخلاف: ٣/ ٢٦٣، والفهرست، الشيخ الطوسي: ٥٤.

والبَلَايَا، وَالإِمَامُ أَولَى بِعِلمِ ذَلِكَ، ثُمَّ قال: يَا إسحَاق، اصنَع مَا أَنتَ صَانِعٌ، فَإِنَّ عُمرُكَ قَد فَنَى، وَإِنَّكَ تَموُتُ إِلَى سَنَتَينِ، وَإِنَّ إِخوَتَكَ، وأَهلَ بَيتِكَ لَا يَلبَثُونَ بَعدَكَ إِلَّا يَسِيرَاً، حَتَّى تَتَفَرَّق كَلِمَتُهُم، ويَخُونُ بَعضَهُم بَعضَاً، حَتَّى يَشمُتَ بِهِم عَدُوُّهُم، فَكَانَ هَذَا فِي نَفسِكَ، فقلتُ: فإِنِّي استغفرُ اللهَ بِمَا عرضَ في صَدري، فلم يلبث إسحاق بعدَ هذا المجلس إلَّا يسيراً حتَّى مات، فما أتى إليه إلَّا قليل حتَّى قامَ بنوا عمَّار بأموالِ النَّاس فأفلسوا)[1].

وروى الصّفّار عن أبي الرَّبيع الشَّامي، قال: قلتُ لأبي عبدالله عليه السلام: بلغني عن عمرو بن إسحاق حديث، فقال: (اعرِضهُ، قال: دخل عليَّ أميرُ المُؤمنين عليه السلام فرأى صُفرَةً في وجهه، فقال: مَا هَذِهِ الصُّفرَة؟ فذكرَ وجعاً به، فقال له عليّ عليه السلام: إِنَّا لَنفرَحُ لِفَرَحِكُم، وَنَحزَنُ لِحُزنِكُم، وَنَمرَضُ لِمَرَضِكُم، وَنَدعُو لَكُم، وَتَدعُونَ فَنُؤمِّنَ [١٣٦: ظ]، قال عمرو: قد عرفتُ ما قلت، ولكن كيف ندعو فتُؤمِّنَ؟ فقال: إِنَّا سَوَاءٌ عَلَينَا البَادِي، والحَاضِر، فقال أبو عبدالله عليه السلام: صَدَقَ عَمرُو)[2].

---

(١) الكافي: ١/ ٤٨٤ ح ٧.

(٢) بصائر الدرجات: ٢٨٠ ح ٢.

وعن أبي سعيد الخُدري[1]، عن رُميلة[2]، ما يُؤدِّي مُؤدَّاه [3]، وروى محمّد بن يعقوب رحمه الله بالإسنادِ عن حمران بن أعين عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (إنَّ جبرَئيل عليه السلام أَتى رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله بِرُمَّانَتَينِ، فَأَكَلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله إحدَيهِمَا، وَكَسَرَ الأُخرَى بِنِصفَينِ، فَأَكَلَ نِصفاً، وَأَطعَمَ عَلِيّاً عليه السلام نِصفاً، ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: يَا أَخِي، هَل تَدرِي مَا هَاتَانِ الرُّمَانَتَانِ؟ قَالَ: لا، قال: أَمَّا الأُولَى فَالنُّبوَّة، لَيسَ لَكَ فِيهَا نَصِيبٌ، وَأَمَّا الأُخرَى فَالعِلمُ، أَنتَ شَرِيكِي فِيهِ، فقلتُ: أصلحكَ اللهُ، كيفَ كانَ يكونُ شريكه فيه؟ قال: لَم يُعَلِّم اللهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عِلماً إلَّا، وأَمَرَهُ أَن يُعَلِّمَهُ عَلِيّاً عليه السلام)[4]، وعن زُرارة عن أبي جعفر عليه السلام ما يُؤدِّي مُؤدَّاه.

---

(١) أبو سعيد، سعد بن مالك بن سنان، الخدري الأنصاري، المدني، من الفقهاء، شهد بيعة الرضوان، والخندق وغيرها من المشاهد كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وشهد معه النهروان، وروى عن النبي صلى الله عليه وآله، والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وعنه مجاهد، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وأنس، وسعيد بن المسيب، وغيرهم، مات بالمدينة سنة ٧٤ هـ، ينظر ترجمته: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٦/ ١٣٨، موسوعة طبقات الفقهاء:١/ ١١٥، الكنى والألقاب: ١/ ٨٢، معجم الرجال والحديث: ٢/ ٢٣٧، التاريخ الكبير:٤/ ٤٤.

(٢) رميلة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وثقه ابن داود وفي الكشيّ، خبر بسندين فيه مدح عظيم له، ينظر: رجال الكشي: ١/ ٣٢٠، خلاصة الأقوال: ١٤٦، التحرير الطاووسي: ٢٠١، منتهى المقال في احوال الرجال: ٣/ ٢٤١،خاتمة المستدرك: ٧/ ٣٨٤.

(٣) بصائر الدرجات: ٣٧٩ ح ١.

(٤) الكافي: ١/ ٢٦٣.

وعن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام ما هو أقربُ إلى الأوّل بزيادةٍ في آخره، هو: أنّه قال: (ثُمَّ انتَهَى العِلمُ إِلَينَا، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدرِهِ)[1]، ورواه في بصائر الدَّرجات مثله[2].

وروى محمَّد بن يعقوب رحمه الله عن عليٍّ بن النُّعمان[3] رفعَهُ عن أبي جعفر عليه السلام قال: (يَمضُونَ الثّمَادِ، ويَدَعُونَ النَّهرَ العَظِيم، قيل له: ما النَّهرُ العظيم؟ قال: (رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله، والعِلمُ الَّذِي أَعطَاهُ الله، إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَمَعَ لِمُحَمَّد صلى الله عليه وآله سُنَن النَّبِيِّنَ، مِن آدَم، وهَلُمَّ جَرّاً إلَى مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، قيل له: وما تلك السُنن؟ قال: عِلمُ النَبِيِّنَ بَأَسرِهِ، وَإنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله صَيَّرَ ذَلِكَ كُلِه عِندَ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام، فقال له رجلٌ: يا ابن رسولُ الله، فأميرُ المُؤمنين أعلمُ أم بعضُ النَّبِيِّن؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: اسمَعُوا مَا يَقُولُ، إنَّ اللهَ يَفتَحُ مَسَامِعَ مَن يَشَاءُ، إنِّي حَدَّثتُهُ: إنَّ اللهَ جَمَعَ لِمُحَمَّد صلى الله عليه وآله عِلمَ النَّبِيِّنَ، وَإنَّه جَمَعَ ذَلِكَ كُلَّهِ عِندَ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ، وَهوَ يَسأَلُنِي أَهُوَ أعلَمُ أَم بَعضَ النَّبِيِّن)[4].

---

(١) الكافي: ١/ ٢٦٣ ح ٣.

(٢) ينظر: بصائر الدرجات: ٣١٥ ح ٣.

(٣) أبو الحسن، علي بن النعمان الأعلم النخعي، مولاهم، كوفي، ثقة، وجها، ثبتا صحيحا، واضح الطريقة، من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام وروى عنه وعن عبد الله بن زرارة بن أعين الشيباني، وقال الشيخ الطوسي: له كتاب نوادر الحديث، كثير الفوائد، ينظر ترجمته: تاريخ آل زرارة: ٩٠، الخلاف: ١/ ٤٠٦،، الرجال، النجاشي: ٢٧٤، الفهرست، الشيخ الطوسي: ١٠٦، خلاصة الأقوال: ١٨٠، منتهى الطلب: ٤/ ٢٥٩، رجال ابن داود: ١٤٢.

(٤) الكافي: ١/ ٢٢٢ ح ٦.

وفي بصائر الدَّرجات عن عليٍّ بن النُّعمان، عن بعضِ الصَّادقين، يرفعه إلى جعفر، عن أبي جعفر عليه السلام مثله[1].

وروى محمّد بن يعقوب بالإسناد عن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (إنَّ اسمَ الله الأَعظَمِ عَلَى ثَلاثَةٍ، وسَبعينَ حَرفَاً، وَإنَّمَا كَانَ عِندَ آصِف مِنهَا حَرفٌ وَاحِدٌ، فَتكَلَّمَ بِهِ، فَخَسَفَ الأَرضَ مَا بَينَهُ، وبَينَ سَرِيرِ بَلقِيس، حتَّى تَنَاوَلَ السريرَ بِيَدِهِ، ثُمَّ عَادَت الأَرضُ كَمَا كَانَت، أَسرَعُ مِن طَرفَةِ العَينِ، وَنَحنُ عِندَنَا مِنَ الإسمِ الأَعظَمِ، اثنَانِ، وسَبعُونَ حَرفَاً، وَحَرفٌ عِندَ الله تَبَارَكَ، وتَعَالَى استَأثَرَ بِهِ فِي عِلمِ الغَيبِ عِندَهُ، وَلَا حَولَ، ولَا قُوَّةَ إلَّا بِالله العَلِيِّ العَظِيمِ)[2].

وعن هارون بن الجهم[3] عن رجُلٍ مِن أصحابِ أبي عبدالله عليه السلام قال: سَمِعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقولُ: (إنَّ عِيسَى بِنَ مَريَمَ عليه السلام أُعطِيَ حَرفَينِ، كَانَ يَعمَلُ بِهِمَا، وَأُعطِيَ مُوسَى أَربَعَةَ أَحرُفٍ، وَأُعطِيَ إبرَاهِيمَ ثَمَانِيَةَ أَحرُفٍ،

---

(١) بصائر الدرجات: ١٣٧ ح ١٢.

(٢) الكافي: ١/ ٢٣٠ ح ١.

(٣) هارون بن الجَهم ابن ثوير بن أبي فاختة سعيد بن جهمان، القرشي بالولاء، كوفي، ثقة، سمع الحديث من الامام أبي عبد اللهّ الصادق عليه السلام، وروى عنه، روى عنه: محمد بن خالد البرقي، وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، وزكريا بن عمران القمّي له كتاب، ينظر ترجمته: الرجال، البرقي: ٣٠، مستطرفات السرائر: ٢٧٣، الرجال، النجاشي: ٤٣٨، الفهرست، الشيخ الطوسي: ٢٥٩، معالم العلماء: ١٦٤، إيضاح الاشتباه: ٣١٤، موسوعة طبقات الفقهاء: ٢/ ٥٩٢.

وَأُعطِي نُوحٌ خَمسَةَ عَشَرَ حَرفاً، وَأُعطِيَ آدَم عليه السلام خَمسَةً وعِشرِينَ حَرفاً، وَأنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالَى جَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ لِمُحَمَّد صلى الله عليه وآله، وَأنَّ اسمَ اللهِ الأَعظَمِ ثَلاثَةً، وسَبعُونَ حَرفاً، أُعطِيَ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله اثنَينِ وسَبعِينَ حَرفاً، وَحَجَبَ عَنهُ حَرفاً وَاحِداً)[1].

وَقَد ذَكَرنَا هذه الرِّواية ليُعلم مقدار فضلهم صلوات الله عليهم في ذلك المعنى على النَّبيِّين عليهم السلام.

وفي بصائر الدَّرجات بالإسنادِ عن عبد الرَّحمن بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾[2] قَالَ: فَفَرَّجَ أَبُو عَبدِ الله عليه السلام بَينَ أَصَابِعِهِ، فَوَضَعَهَا عَلَى صَدرِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَالله عِندَنَا عِلمُ الكِتَابِ كُلِّهِ)[3].

ومنها: «**أنَّهُم لَجَأُ أَمرِ الله، ورَسُولِهِ، وَمَوئِلُ حُكمِهَا**»[4]

ومِمَّا رُوي في ذلك: ما رواه الصَّدوق رضي الله عنه في كتابِ التَّوحيد، ومعاني الأخبار بالإسنادِ عن محمّد بن مسلم، قال: سَمِعْت أبا [١٣٧: و] عبدالله عليه السلام يقولُ: (إنَّ لله عَزَّ وَجَلَّ خَلقاً خَلَقَهُم مِن نُورِهِ، وَرَحمَةً مِن رَحمَتِهِ لِرَحمَتِهِ،

---

(١) الكافي: ١/ ٢٣٠ ح ٢.

(٢) من قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ النمل: ٤٠.

(٣) بصائر الدرجات: ٢٣٢ ح ٢.

(٤) نهج البلاغة: ٣٥ خ٢، وفيه: (وَلَجَأُ أَمْرِهِ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ).

فَهُم عَينُ الله النَّاظِرَة، وأُذْنُهُ السَّامِعَة، وَلِسَانُهُ النَّاطِق فِي خَلقِه بِإذنِهِ، وَأُمنَاؤهُ عَلَى مَا أَنزَلَ اللهُ مِن عُذرٍ، أَو نَذِرَاً، وَحُجَّةً فِيهِم، يَمحُو اللهَ السَّيئاتِ، بِهِم يُدفَعُ الضَّيمُ، وَبِهِم يُنزِلُ الرَّحمَةَ، وَبِهِم يُحيِي مَيتَاً، وَيُمِيتُ حَيَّاً، وَبِهِم يَبتَلِي خَلْقَهُ، وَبِهِم يَقضِي فِي خَلقِهِ قَضِيَتَهُ قلتُ: جُعِلتُ فِدَاكَ، مَن هؤلاءِ؟ قال: الأَوصِيَاءُ)[1].

وروى الصفَّار في بصائر الدَّرجات بالإسنادِ عن عبد الرَّحمن بن كثير قال: سَمِعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقولُ: (نَحنُ وُلَاةُ أَمرِ الله، وَخَزَنَةُ عِلمِ الله، وَعَيبَةُ وَحيِ الله، وَأهلُ دِينِ الله، وَعَلَينَا نَزَلَ كِتَابُ الله، وَبِنَا عُبِدَ الله، وَلَولَانَا مَا عُرِفَ الله، وَنَحنُ وَرَثَةُ نَبِيِّ الله، وعِترَتِهِ)[2]، ورَوى الصَّدوق رحمه الله في أماليه بالإسنادِ عن الحسين بن خالد[3] عن الرِّضا، عن آبائه، عن أميرِ المُؤمنين عليه السلام قال: (قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: أَخبَرَنِي جبرَئيل، عَن الله جَلَّ جَلَالُه، أَنَّهُ قَالَ: عَلِيُّ بن أَبِي طَالِب حُجَّتِي عَلَى خَلقِي، وَدَيَّانُ دِينِي، أَخرَجَ مِن صُلبِهِ أَئمَّةً يَقُومُونَ بِأَمرِي، وَيَدعُونَ إِلَى سَبِيلِي، بِهِم أَدفَعُ العَذَابَ عَن عِبَادِي،

---

(١) التوحيد: ١٦٧ ح ١، معاني الأخبار: ١٦ ح ١٠.

(٢) بصائر الدرجات: ٨١ ح ٣.

(٣) الحسين بن خالد، الكوفي، روى عن الامام الرضا عليه السلام مشترك مع الصيرفي وابن ابي العلاء، ويحتمل بعيدا اتحادهم، ينظر ترجمته: الرجال، البرقي: ٥٣، الرجال، الشيخ الطوسي: ٣٥٥، منتهى الطلب: ٣/ ٢٣٦، نقد الرجال: ٢/ ٨٧، طرائف المقال: ١/ ٢٩٨، منتهى المقال في احوال الرجال: ٣/ ٣٦، مستدركات علم رجال الحديث: ٣/ ١٢٤.

وإمَائي، وَبِهِم أُنزِلُ رَحمَتِي)[1]، والأخبارُ في ذلك أكثرُ مِن أن تُحصى.

ومنها: إنَّهم الخُزَّانُ لِكُتبِ الله، ورسوله، ومِمَّا وَرَدَ في ذلك، ما رواه محمّد بن يعقوب رضي الله عنه بالإسناد عن جابر قال: سَمِعتُ أبا جعفر عليه السلام يقولُ: (مَا ادَّعَى أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ جَمَعَ القُرآنَ كُلَّهُ كَمَا أُنزِلَ إلَّا كَذَّابٌ، وَمَا جَمَعَهُ، وحَفِظَهُ كَمَا أَنزَلَ اللهُ إلَّا عَلِيُّ بن أَبِي طَالِب عليه السلام، والأَئمَّة مِن بَعدِهِ عليهم السلام)[2].

وعنه، عن أبي جعفر عليه السلام أنَّه قال: (مَا يَستَطِيعُ أَحَدٌ أَن يَدَّعِي أنَّ عِندَهُ عِلمَ جَمِيعِ -"القُرآنِ"- [3] ظَاهِرَهُ، وبَاطِنَهُ غَيرُ الأَوصِيَاءِ)[4].

وعن هشام بن الحكم في حديث بُرَيْه[5] حيَن سَأله مُوسَى بْن جَعفر عليه السلام: (كَيفَ عِلمُكَ بِكِتَابِكَ؟ قال: أنا به عالِمٌ، ثُمَّ قال: كَيفَ ثِقَتُكَ بِتَأوِيلِهِ؟ قال: ما أوثقني بعلمي، قال: فابتدأ أبو الحَسَن عليه السلام يقرأ الإنجيل، فقال بريه: إيَّاكَ كنتُ أطلِب مُنذُ خمسين سنةٍ، أو مثلك، قال: فقال: فَآمَنَ بريه، وحَسُنَ إيمانُه، وآمَنَت المرأةُ التي كانت معه، فدخل هشام، وبريه، والمرأة على أبي

---

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٦٣٧ ح ٨٥٧.

(٢) الكافي: ١/ ٢٢٨ ح١.

(٣) في نسخة (ب): القرآن كله.

(٤) الكافي: ١/ ٢٢٨ ح ٢.

(٥) بريه العبادي الحيري، أسلم علي يد أبي عبد الله عليه السلام، من أصحاب الصادق عليه السلام يقال: روى عنه ابن أبي عمير، له كتاب، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ١١٣، الفهرست، الشيخ الطوسي: ٨٩، الرجال، الطوسي: ١٧٣، معالم العلماء: ٦٥، نقد الرجال: ١ / ٢٧٠، جامع الرواة: ١/ ١١٩، إكليل المنهج في تحقيق المطلب: ١٤٤.

عبدالله عليه السلام فحكى له هشام الكلام الَّذي جرى بين أبي الحَسَن موسى عليه السلام، وبين بريه، فقال أبو عبدالله عليه السلام: (ذُرِّيَّةٌ بَعضُهَا مِن بَعضٍ، واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، فقال بريه أَنّى لكم التَّوراة، والإنجيل، وكُتب الأنبياء؟ قال: هِي عِندَنَا، ورَاثَةً مِن عِندَهُم نَقرَؤهَا كَمَا قَرأُوهَا، ونَقُولُهَا كَمَا قَالُوا، إنَّ اللهَ لَا يَجعَلُ حُجَّةً فِي أَرضِهَ، يُسأَلُ عَن شَيءٍ، فَيَقُولُ: لَا أَدرِي)[1]، ورواه في بصائر الدَّرجات بتغيّر يسير في اللَّفظ، وزيادةٌ في آخره، هي قوله: (فَلَزِمَ بُريه أبا عبدالله عليه السلام حتَّى مات)[2].

وفي بصائر الدَّرجات بالإسنادِ عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لي: (يَا أَبَا مُحَمَّد، إنَ اللهَ لَم يُعطِ الانبيَاءَ شَيئاً إلَّا، وقَد أَعطَاهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله، وقَد أَعطَى مُحَمَّداً جَمِيعَ مَا أَعطَى الأَنبِيَاءَ، وَعِندَنَا الصُّحفُ الَّتي قَالَ اللهُ: صُحفُ إبرَاهِيمَ، ومُوسَى قلتُ: جُعِلتُ فِدَاكَ، وهي الألواح؟ قال: نَعَم)[3].

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (إنَّ فِي الجَفرِ: أنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لَمَّا نَزَّلَ أَلوَاحَ مُوسَى عليه السلام أَنزَلَهَا عَلَيهِ، وَفِيهِ تِبيَانُ كُلِّ شَيءٍ، وَهوَ كَائنٌ إلَى أَن تَقُومَ السَّاعَةُ، فَلَمَّا انقَضَت أَيَّامُ مُوسَى أَوحَى اللهُ إلَيهِ: أن استَودِع الأَلوَاحَ - وَهيَ زَبَرجَدَةٌ مِنَ الجَنَّة - الجَبَلَ، فَأَتَى مُوسَى الجَبَلَ، فَانشَقَّ لَهُ الجَبَل، فَجَعَلَ فِيهِ الأَلوَاحَ مَلفُوفَةً، فَلَمَّا جَعَلَهَا فِيهِ انطَبَقَ الجَبَلُ عَلَيهَا، فَلَم تَزَل فِي الجَبَلِ، حَتَّى بَعَثَ اللهُ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله [١٣٨: ظ] فَأَقبَلَ رَكبٌ مِنَ

(١) الكافي: ١/ ٢٢٧ ح ١.

(٢) بصائر الدرجات: ١٥٦ح ٤.

(٣) بصائر الدرجات: ١٥٦ ح ٥.

اليَمَنِ يُرِيدُونَ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمَّا انتَهَوا إلَى الجَبَلِ انفَرَجَ الجَبَلُ، وَخَرَجَت الأَلوَاحُ مَلفُوفَةً كَمَا وَضَعَهَا مُوسَى عليه السلام فَأَخَذَهَا القَومُ، فَلَمَّا وَقَعَت فِي أَيدِيهِم أُلقِيَ فِي قُلوبِهِم أَن لَا يَنظُرُوا إلَيهَا، وَهَابُوهَا حَتَّى يَأتُوا بِهَا رَسُولَ الله ﷺ، وَأَنزَلَ اللهُ جَبرَئِيلَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ فَأَخبَرَهُ بِأَمرِ القَومِ، وَبِالَّذِي أَصَابُوا، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ابتَدَأَهُم النَّبِيُّ فَسَأَلَهُم عَمَّا وَجَدُوا؟ فَقَالُوا: وَمَا عِلمُكَ بِمَا وَجَدنَا؟ فَقَالَ: أَخبَرَنِي بِهِ رَبِّي، وَهِيَ الأَلوَاحُ، قَالُوا: إِنَّكَ رَسُولُ الله ﷺ فَأَخرَجُوهَا فَدَفَعُوهَا إلَيهِ، فَنَظَرَ إلَيهَا، وقَرَأَهَا، وَكِتَابُهَا بِالعِبرَانِي.

ثُمَ دَعَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: دُونَكَ هَذِهِ، فَفِيهَا عِلمُ الأَوَّلِينَ، وَعِلمُ الآخِرِينَ، وَهِيَ أَلوَاحُ مُوسَى، وَقَد أَمَرَنِي رَبِّي أَن أَدفَعَهَا إلَيكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، لَستُ أُحسِنَ قَرَاءتِهَا، قَالَ: إنَّ جَبرَئِيلَ عليه السلام أَمَرَنِي أَن آمُرَكَ أَن تَضَعَهَا تَحتَ رَأسِكَ لَيلَتَكَ هَذِهِ، فَإِنَّكَ تُصبِحُ، وقَد عَلِمتَ قَرَاءتَهَا، قَالَ: فَجَعَلَهَا تَحتَ رَأسِهِ، فَأَصبَحَ، وقَد عَلَّمَهُ اللهُ كُلَّ شَيءٍ فِيهَا، فَأَمَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ أَن يَنسَخَهَا، فَنَسَخَهَا فِي جِلدَةِ شَاةٍ، وَهوَ الجَفرُ، وَفِيهِ عِلمُ الأَوَّلِينَ، والآخِرِينَ، وَهوَ عِندَنَا، وَالأَلوَاحُ، وعَصَى مُوسَى عِندَنَا، وَنَحنُ، ورِثنَا النَّبِيَّ ﷺ)[1].

وفي رُواية حبَّة العرني[2] عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قالَ: (لَمَّا وَضَعتُهُ عَن رَأسِي، فَأصبَحتُ بِالغَدَاةِ، وَهوَ كِتَابٌ بِالعَرَبِيَةِ جَلِيلٌ، فِيهِ عِلمُ مَا خَلَقَ اللهُ

(١) بصائر الدرجات: ١٦٠ ح ٤.

(٢) أبو قدامة، حبة بن جوين العرني، من أهل الكوفة، روى عن الامام علي والحسن عليهم السلام، ينظر ترجمته: رجال الطوسي: ٦٠، نقد الرجال: ١/ ٣٩٦، طرائف المقال: ٢/ ٧٩، جامع الرواة: ١ / ١٧٧، معجم رجال الحديث: ٥/ ١٩٢.

مُنذُ قَامَت السَّماواتُ، والأَرضِ إلَى أَن تَقُومَ السَّاعَةُ، فَعَلِمتُ ذَلِكَ)[1].

وعن الثُمالي، قال: قال عليٌّ عليه السلام: (لَو ثُنِيت لِيَ وِسَادَةٌ لَحَكَمتُ بَينَ أَهلِ القُرآنِ بِالقُرآنِ، حَتَّى يُزهِرَ إلَى الله، وَلَحَكَمتُ بَينَ أَهلِ التَّوراة بِالتَوراةِ حَتَّى يُزهِرُ إلَى الله، وَلَحَكَمتُ بَينَ أَهلِ الإنجِيلِ بِالإنجِيلِ حَتَّى يُزهِرُ إلَى الله، وَلَحَكَمتُ بَينَ أَهلِ الزَّبُورِ بِالزَّبُورِ حَتَّى يُزهَرُ إلَى الله، وَلَولا آيةٌ فِي كِتَابِ الله لأنبَأتُكُم بِمَا يَكُونُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)[2]، وبهذا المضمونِ رواياتٌ كثيرةٌ.

وروى الشَّيخ الطَّبرسي رضي الله عنه في الاحتجاج قال: كان الصَادق عليه السلام يقولُ: (عِلمُنَا غَابِرٌ، ومَزبُورٌ، وَنَكتٌ فِي القُلُوبِ، وَنَقرٌ فِي الأَسمَاعِ، وَإنَّ عِندَنا الجَفرُ الأَحمَر، وَالجَفرُ الأَبيَض، وَمُصحَفُ فَاطِمَةَ عليها السلام، وعِندَنَا الجَامِعَةُ؛ فِيهَا جَمِيعُ مَا يَحتَاجُ النَّاسُ إلَيهَا، فَسئلَ عن تفسير هذا الكلام؟ فقال: أَمَا الغَابِرُ فَالعِلمُ بِمَا يَكُونُ، وأَمَّا المَزبُورُ فَالعِلمُ بِمَا كَانَ، وَأَمَّا النَّكتُ فِي القُلُوبِ فَهوَ الإلهَامُ، وَأَمَّا النَّقرُ فِي الأَسمَاعِ فَحَدِيثُ المَلَائِكَةِ عليهم السلام نَسمَعُ كَلَامَهُم، وَلَا نَرَى أَشخَاصَهُم، وَأَمَّا الجَفرُ الأَحمَر فَوعَاءٌ فِيهِ سِلَاحُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله، ولَن يَخرُجَ حَتَّى يَقُومَ قَائِمُنَا أَهلَ البَيتِ، وأَمَّا الجَفرُ الأَبيَض، فَوعَاءٌ فِيهِ تَورَاةُ مُوسَى، وإنجِيلُ عِيسَى، وَزَبُورِ دَاود، وَكُتُبِ الله الأُولَى، وَأَمَّا مُصحَفُ فَاطِمَةَ عليها السلام فَفِيهَا مَا يَكُونُ مِن حَادِثٍ، وَأَسمَاءُ مَن يَملِكُ إلَى أَن تَقُومَ السَّاعَةُ، وَأَمَّا الجَامِعَةُ فَهوَ كِتَابٌ طُولُه سَبعُونَ ذِرَاعَاً، إمْلاءُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله مِن فَلَق فِيهِ، وَخَطُّ عَلِيِّ بن أَبِي طَالِب بِيَدِه عليه السلام فِيهِ وَالله جَمِيعُ مَا يَحتَاجُ إلَيهِ النَّاس إلَى يَومِ

(١) بصائر الدرجات: ١٦١ ح ٦.

(٢) بصائر الدرجات: ١٥٢ ح ١.

القِيَامَةِ، حَتَّى أنَّ فِيهِ إرشُ الخَدشِ، وَالجَلدَةُ، وَنِصفَ الجَلدَة)[1].

وروى في بصائر الدَّرجات عن محمَّد بن الفُضيل، قال: قلتُ لأبي الحَسَن عليه السلام روينا عن أبي عبدالله عليه السلام أنَّه قال: (عِلمُنَا غَابِرٌ، ومَزبُورٌ، وَنَكتٌ فِي القُلوبِ، وَنَقرٌ فِي الأَسمَاعِ، قَالَ: أَمَّا الغَابِر فَمَا تَقَدَّمَ مِن عِلمِنَا، وَأَمَّا المَزبُور فَمَا يَأتِينَا، وَأَمَّا النَّكتُ فِي القُلُوبِ فَإلهَامٌ، وَأَمَّا النَّقرُ فِي الأَسمَاعِ، فَإنَّهُ مِنَ المَلَك)[2].

قال: ورَوى زُرارة مِثلُ ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلتُ [١٣٩: و]: كيف يَعلَمُ أنَّه مِنَ المَلَكِ، وَلَا يخافُ أن يكونَ مِنَ الشَّيطانِ إذا كان لا يرى الشَّخص؟ قال: (إنَّه يُلقَى عَلَيهِ السَّكِينَةُ، فَيَعلَمُ أنَّهُ مِنَ المَلَكِ، وَلَو كَانَ مِنَ الشَّيطَانِ اعتَرَاهُ فَزَعٌ، وَإن كَانَ الشَّيطَانُ يَا زُرَارَة لَا يَتَعَرَّض لِصَاحِبِ هَذَا الأَمرِ)[3].

ورَوى الكليني رحمه الله بالإسناد عن أبي بصير قال: (دخلتُ على أبي عبدالله عليه السلام فقلتُ: جُعلتُ فِدَاكَ، إنِّي أسالك عن مسألةٍ ليس أحدٌ يَسمعُ كلامي؟ قال: فرفع أبو عبدالله عليه السلام ستراً بينه، وبين بيتٍ آخر، فاطَّلعَ فيه، ثُمَ قال: يَا أبا مُحَمَّد، سَل عَمَّا بَدَا لَكَ قال: قلتُ: جُعِلتُ فِدَاكَ، إنَّ شيعتك يتحدَّثون، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله علَّم عليّاً عليه السلام باباً يُفتَحُ له منهُ ألفَ بابٍ؟ قال: فقال أبو

(١) الاحتجاج: ٢/ ١٣٤.

(٢) بصائر الدرجات: ٣٣٨ ح ٢.

(٣) بصائر الدرجات: ١٣٨ ح ٢.

عبدالله عليه السلام: يَا أَبَا مُحَمَّد، عَلَّمَ، والله رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله عَلِيّاً أَلفَ بَابٍ، يُفتَحُ لَهُ مِن كُلِ بَابٍ أَلفَ بَاب، قال: قلت: هذا، والله العِلم، قال: فنكتَ ساعةً في الأرض، ثُمَّ قال: إنَّهُ لَعِلمٌ، وَمَا هُوَ بِذَلِكَ قال: ثُمَّ قال: يَا أَبَا مُحَمَّد، وَإنَّ عِندَنَا الجَامِعَةُ، وَمَا يُدرِيهِم مَا الجَامِعَة، قال: قلتُ: جُعِلتُ فِدَاكَ، وَمَا الجَامِعَة؟ قال: صَحِيفَةٌ طُولُهَا سَبعُونَ ذِرَاعاً بِذِرَاعِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله، وأَمْلاَهُ مِن فَلَقٍ فِيهِ، وَخَطَّ عَلِيٌّ عليه السلام بِيَمِينِهِ، فِيهَا كُلُّ حَلاَلٍ، وحَرَامٍ، وَكُلَّ شَيءٍ يَحتَاجُ النَّاسُ إلَيهِ، حَتَى الإرشَ فِي الخَدشِ، وضربَ بيده إليَّ، وقال: تَأذَن يَا أَبَا مُحَمَّد قال: قلتُ: جُعِلتُ فِدَاكَ، إنَّما أنا لكَ، فأصنع ما شئت، قال: فَغَمَرَنِي[1] بِيَدِهِ، وقال: حَتَّى إرشِ هَذَا كأَنَّه مُغضِبٌ، قال: قلتُ: هذا، والله العِلم، قال: إنَّه لَعِلْمٌ، وَلَيسَ بِذَاكَ ثُمَّ سكتَ ساعةً، ثُمَّ قال: وَإنَّ عِندَنَا الجَفرُ، وَمَا يُدرِيهِم مَا الجَفرُ، قال: قلتُ: وما الجفرُ؟ قال: وعَاءٌ مِن آدم، فِيهِ عِلمُ النَّبِيِّنَ، والوَصِيِّينَ، وَعِلمُ العُلَمَاءِ الَّذينَ مَضَوا مِن بَنِي إسرَائيلَ، قال: قلتُ: إنَّ هذا هو العِلم، قال: إنَّه لَعِلْمٌ، وَلَيسَ بِذَاكَ ثُمَّ سكتَ ساعةً، ثُمَّ قال: وَإنَّ عِندَنَا لَمُصحَفُ فَاطِمَة عليها السلام، ومَا يُدرِيهِم مَا مُصحَفُ فَاطِمَة عليها السلام قال: قلتُ: وما مُصحف فاطمة؟ قال: مُصحَفٌ فِيهِ مِثلُ قُرآنِكُم هَذَا ثَلاَثُ مَرَّاتٍ، وَالله مَا فِيهِ مِن قُرآنِكُم حَرفٌ وَاحِدٌ قال: قلتُ: هذا، والله العِلم، قال: إنَّه لَعِلمٌ، ومَا هُوَ بِذَلِكَ ثُمَّ سكتَ ساعةً.

ثُمَّ قال: إنَّ عِندَنَا عِلمُ مَا كَانَ، وَعِلمُ مَا هُوَ كَائِنٌ إلَى أَن تَقُومَ السَّاعَةُ قال: جُعِلتُ فِدَاكَ، هذا، والله هو العِلم، قال: إنَّهُ لَعِلمٌ، وَلَيسَ بِذَلِكَ

(١) في نسخة (ب): فغمزني.

قلتُ: جُعِلتُ فِدَاكَ، فأيُّ شيءٍ العلمُ؟ قال: مَا يَحدُثُ بِاللَّيلِ، والنَّهَارِ الأَمرُ بَعدَ الأمرِ، وَالشَّيءُ بَعدَ الشَّيءِ إلَى يَومِ القِيَامَةِ)[1].

وقد روى هذه الرِّواية في بصائر الدَّرجات[2] عن أبي بصير، عنه عليه السلام مِن غيرِ تغيُّرٍ في المعنى.

وروى محمّد بن يعقوب بالإسنادِ عن أبي عُبيدة، قال: سأل أبا عبدالله عليه السلام بعضُ أصحابنا عن الجفرِ؟ فقال: (هُوَ جِلدُ ثَورٍ مَملُوءٍ عِلماً، قال له: فالجامِعَةُ؟ قال: تِلكَ صَحِيفَةٌ، طُولُهَا سَبعُونَ ذِرَاعاً فِي عَرضِ الأَدِيمِ، مِثلَ فَخذِ الفَالَجِ، فِيهَا كُلُّ مَا يَحتَاجُ النَّاس إلَيهِ، وَلَيسَ مِن قَضِيَّةٍ إلَّا، وهيَ فِيهَا حَتَّى إرشِ الخَدشِ، قال: فمُصحَفِ فاطمة؟ قال: فسكتَ طويلاً، ثُمَّ قال: إنَّكُم لَتبحَثُونَ عَمَّا تُرِيدُونَ، وَعَمَّا لَا تُرِيدُونَ، فَاطِمَةَ مَكَثَت بَعدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله خَمسَةً، وسَبعِينَ يَوماً، وَكَانَ دَخلَهَا حُزنٌ شَدِيدٌ عَلَى أَبِيهَا، وَكَانَ جبرَئيل عليه السلام يَأتيهَا، فَيُحسِنُ عَزَاءهَا عَلَى أَبِيهَا، وَيُطَيِّبُ نَفسَهَا، وَيُخبِرُهَا عَن أَبِيهَا، ومَكَانَهُ، وَيُخبِرُهَا بِمَا يَكُونُ بَعدَهَا فِي ذُرِّيتِهَا، وَكَانَ عَلِيٌّ عليه السلام يَكتِبُ ذَلِكَ، فَهَذَا مُصحَفُ فَاطِمَةَ عليها السلام)[3].

ومنها: أنَّهم الهُداة إلى دينِ الله، وَحَفَظَةُ الشَّرعِ المُبِينِ، وبهم قيامُ أمرِ الله، وهو معنى الإمامة، ومع ذلك فالأخبارُ فيه كثيرةٌ.

---

(١) الكافي: ١/ ٢٣٩ ح ١.

(٢) بصائر الدرجات: ١٧١ ح ٣.

(٣) الكافي: ١/ ٢٤١ ح ٥.

ومنها: إنَّهم لا يُقاسُ بهم أحدٌ، وقد ظهرَ هذا مِمَّا تقدَّم نوعاً مِنَ الظُّهورِ، وسيأتي إنْ شاءَ اللهُ تعالى في ذِكرِ الأخبارِ [١٤٠: ظ] في صِفاتِ الإمام ما يُؤكده.

ومنها: إنَّهم لا يُسوَّى بهم مَن جرت نعمتهم عليه، وقد أشرنا إلى بعضِ أنواع تلك النِّعمة، وممَّا يدلُّ على بعض أنواعها، ما رواه محمّد بن الحسن في بصائر الدَّرجات بالإسناد عن خيثمة[1] عن أبي جعفر عليه السلام قال: سَمِعتُه يقولُ:

(نَحنُ جَنبُ الله، وَنَحنُ صَفوَتُهُ، وَنَحنُ خَيرَتُهُ، وَنَحنُ مُستَودَعِ مِيرَاثِ الأَنبِيَاءِ، وَنَحنُ أُمنَاءُ الله، وَنَحنُ حُجَّةُ الله، وَنَحنُ أَركَانُ الإِيمَانِ، وَنَحنُ دَعَائِمُ الإِسلَامِ، وَنَحنُ رَحمَةُ الله عَلَى خَلقِهِ، وَنَحنُ الَّذِينَ بِنَا يُفتَحُ، وَبِنَا يُختَمُ، وَنَحنُ أَئِمَّةُ الهُدَى، وَنَحنُ مَصَابِيحُ الدُّجَى، وَنَحنُ مَنَارُ الهُدَى، وَنَحنُ السَّابِقُونَ، وَنَحنُ الآخِرُونَ، وَنَحنُ العَلَمُ المَرفُوعُ لِلخَلقِ، مَن تَمَسَّكَ بِنَا لَحِق، وَمَن تَخَلَّفَ عَنَّا غَرِق، وَنَحنُ قَادَةُ الغُرِّ المُحَجَّلِينَ، وَنَحنُ خِيرَةُ الله، وَنَحنُ الطَّرِيقُ الوَاضِحُ، وَالصِّرَاطُ المُستَقِيمُ إِلَى الله، وَنَحنُ مِن نِعمَةِ الله عَلَى خَلقِهِ، وَنَحنُ المِنهَاجُ، وَنَحنُ مَعدِنُ النُّبوَّةِ، وَنَحنُ مَوضِعُ الرِّسَالَةِ، وَنَحنُ الَّذِينَ إِلَينَا مُختَلَفُ المَلَائِكَةِ، وَنَحنُ السِّرَاجُ لِمَن استَضَاءَ بِنَا، وَنحنُ السَّبِيلُ لِمَن اقتَدَى بِنَا، وَنَحنُ الهُدَاةُ إِلَى الجَنَّةِ، وَنَحنُ عِزُّ الإِسلَامِ، وَنَحنُ الجُسُورُ، والقَنَاطِرُ، مَن مَضَى عَلَيهَا سَبَق، وَمَن تَخَلَّفَ عَنَّا مُحِق، وَنَحنُ السَّنَامُ الأَعظَم،

(١) ابو عبد الرحمن، خيثمة بن عبد الرحمن،، روى عن الامام الباقر والصادق عليهما السلام ينظر ترجمته: الرجال، الطوسي: ١٣٣، الرجال، ابن داود: ٨٩.

وَنَحنُ الَّذِينَ بِنَا نَزَلَ الرَّحمَة، وَبِنَا تُسقَونَ الغَيث، وَنَحنُ الَّذِينَ بِنَا يُصرَفُ عَنكُم العَذَابُ، فَمَن عَرَفَنَا، ونَصَرَنَا، وَعَرَفَ حَقَّنَا، وَأَخَذَ بِأَمرِنَا، فَهوَ مِنَّا، وإلَينَا)[1].

وروى عليّ بن إبراهيم رحمه الله في تفسيره بالإسنادِ عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[2]، قال: (فَيَفنَى كُلُّ شَيءٍ، وَيَبقَى وَجهُ الله أعظَمُ مِن أن يُوصَف لا ولَكِن مَعنَاهَا: كُلُّ شَيءٍ هَالِكٍ إِلَّا دِينُهُ، وَنَحنُ الوَجهُ الَّذِي يُؤتَى اللهُ مِنهُ، لَم يَزَل فِي عِبَادِهِ مَا دَامَ اللهُ لَهُ فِيهِم رَوِيَّةً، فَإِذَا لَم يَكُن فِيهِم رَوِيَّة رَفَعَنَا إِلَيهِ، فَفَعَلَ بِهِم مَا أَحَبَّ، قال: جُعِلتُ فِدَاكَ: وما الرَّوِيَّة؟ قال: الحَاجَةُ)[3].

وروى الصَّدوق رحمه الله في التَّوحيد بالإسناد عن خيثمة، قال: سألتُ أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[4]، قال: (دِينُهُ، وَكَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله، وأَمِيرُ المُؤمنينَ عليه السلام دِينُ الله، ووَجهُهُ، وَعَينُهُ فِي عِبَادِهِ، وَلِسَانُهُ الَّذِي يَنطِقُ بِهِ، وَيَدُه عَلَى خَلقِهِ، وَنَحنُ وَجهُ الله الَّذِي يُؤتَى مِنهُ، لَن تَزَالَ فِي عِبَادِه مَا دَامَت لله فِيهِم رَوِيَّة، قلتُ: وما الرَوِيَّة؟ قال:

---

(١) بصائر الدرجات: ٨٣ ح ١٠.

(٢) من قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ القصص: ٨٨.

(٣) تفسير القمي: ٢/ ١٤٧.

(٤) القصص: ٨٨.

الحَاجَةُ، فَإِذَا لَمْ يَكُن فِيهِم حَاجَةٌ رَفَعَنَا إِلَيهِ، فَصَنَعَ مَا أَحَبَّ)[1].

وعن مروان بن صبّاح[2]، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَنَا فَأَحسَنَ خَلقَنَا، وَصَوَّرَنَا فَأَحسَنَ صُوَرَنَا، وَجَعَلَنَا عَينَهُ فِي عِبَادِهِ، وَلِسَانَهُ النَّاطِقَ فِي خَلقِهِ، وَيَدَهُ المَبسُوطَةَ عَلَى عِبَادِهِ بِالرَّأفَةِ، والرَّحمَةِ، وَوَجهَهُ الَّذي يُؤتَى مِنهُ، وَبَابَهُ الَّذِي يَدلُّ عَلَيهِ، وَخُزَّانَه فِي سَمَائِهِ، وأَرضِهِ، بِنَا أَثمَرَت الأَشجَارُ، وَأَينَعَت الثِّمَارُ، وَجَرَت الأَنهَارُ، وَبِنَا نَزَلَ غَيثُ السَّمَاءِ، وَنَبَتَ عُشبُ الأَرضِ، وَبِعِبَادَتِنَا عُبِدَ الله، وَلَولَا نَحنُ مَا عُبِدَ الله)[3]، وروى شيخ الطَّائفة في أماليه بالإسناد عَنْ جابر، وأبي موسى الأشعري[4]، وابن عبَّاس، قالوا: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: (النُّجُومُ أَمَانٌ لِأَهلِ السَّمَاءِ، وَأَهلُ بَيتِي أَمَانٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ النُّجُومُ ذَهَبَ أَهلُ السَّمَاءِ، وَإِذَا ذَهَبَ أَهلُ بَيتِي

---

(١) التوحيد: ١٥١ ح ٧.

(٢) مروان بن صبّاح الأزدي، الكوفي، من أصحاب الامام الصادق عليه السلام، ينظر ترجمته: الرجال، الطوسي: ١٥٨، معجم رجال الحديث: ١٩/ ١٣٢.

(٣) الكافي: ١/ ١٤٤ ح ٥.

(٤) أبو موسى، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر الأشعري، استعمله النبي صلى الله عليه وآله مع معاذ على اليمن، وولاه عمر إمرة الكوفة، والبصرة، روى عن النبي صلى الله عليه وآله، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، ومعاذ، وابن مسعود، وعمار، وابن عباس وغيرهم، وروى عنه أولاده وأبو بردة، وأبو سعيد الخدري وآخرون، توفي سنة ٤٤ هـ. ينظر ترجمته: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٦/ ٢٩٩، سير أعلام النبلاء:٢/ ٣٨١، الإصابة، ابن حجر، تحـ: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود واخرون: ٤/ ١٨١، موسوعة طبقات الفقهاء: ١/ ١٨١،

ذَهَبَ أَهلُ الأَرضِ)[1]، ورواه الصَّدوق رحمه الله في كتابِ كمالِ الدِّين[2].

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم: قال رسُولُ الله صلى الله عليه وآله: (جُعِلَ النُّجُومُ أَمَاناً لِأَهلِ السَّمَاءِ، وَجَعَلَ أَهلَ بَيتِي أَمَاناً لِأَهلِ الأَرضِ)[3]، ومنها: إنَّه يفيءُ إليهم الغالي، ويَرجِعُ إليهم التَّالي، وقد ظهرَ ذلك مِن بعضِ الأخبارِ المُتقدِّمة، وكذا كونُهم أساسُ الدِّينِ، وعِمَادُ اليقينِ، ومنها: إنَّ لهم خصائِصُ [١٤١: و] حقُّ الوُلاةِ، وفيهم الوصيَّة، فسيجيءُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى، ومنها: إنَّ فيهم الوراثَةُ، وقد مرَّ مِنَ الأخبارِ ما يدلُّ على أنَّهم وَرَثَةُ العِلمِ، وأمَّا وَرَاثَةُ الخِلَافَة، فإنَّهم أهلُ الحقِّ، ومنتقله، فسيجيءُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى، وأمَّا وراثَةُ المَالِ، فسيأتي في حكاية فَدَك إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

ونذكرُ هاهنا بعضُ الأخبارِ في وراثَةِ السِّلاحِ، بعونه سبحانه.

روى محمّد بن يعقوب الكليني رحمه الله بالإسناد عن سعيد السمّان[4]، قال: (كنتُ عِندَ أبي عبدالله عليه السلام إذ دخلَ رجُلان مِنَ الزَّيديَّة[5]، فقالا له: أفيكُم

---

(١) الأمالي، الشيخ الطوسي: ٣٧٩ ح ٨١٢.

(٢) كمال الدين: ٢٠٥ ح ١٩.

(٣) تفسير القمي: ٢/ ٨٨.

(٤) سعيد الأعرج هو السمان مرت ترجمته سابقا.

(٥) الزّيديّة: كل من قال بامامة علي والحسنين عليهم السلام، وامامة كل من خرج من نسل أحد الحسنين عليهم السلام عالما زاهدا شجاعا داعيا إلى نفسه، اي كل من خرج بالسيف من ولد فاطمة عليها السلام، فلذلك قالوا بامامة زيد ولم يقولوا بامامة أبيه سيد العابدين لعدم قيامه، وهي على مذاهب مختلفة منها: (المطرفية السالمية القاسمية المؤيدية

إمَامٌ مُفترَضُ الطَّاعة؟ قال: فقال: لَا، فقالا له: قد أَخبرنَا عنكَ الثِّقاتُ: أَنَّك تُفتي، وتقر، وتقولُ به، ونُسمِّيهم لك فلانٌ، وفُلانٌ، وهم أصحابُ وَرَعٍ، وتَشمِيرٍ، وهو مِمَّن لا يُكذَّبُ.

فغضِبَ أبو عبدالله عليه السلام، وقال: مَا أَمَرْتُهُم بِهَذَا، فلمَّا راياً الغَضبَ في وجهه خرجا، فقال لي: أَتَعرِفُ هَذَينِ؟ قلتُ: نعم، هُمَا مِن أهلِ سُوقنا، وهما مِنَ الزَّيديَّة، وهُما يَزعُمانِ: أنَّ سيفَ رسُولُ الله صلى الله عليه وآله عِندَ عبدالله بن الحَسَن، فقال: كَذِبَا، لَعَنَهُمَا اللهُ، وَالله مَا رَآهُ عَبدَ الله بِن الحَسَنِ بِعَينَيهِ، وَلَا بِوَاحِدَةٍ مِن عَينَيهِ، وَلَا رَآهُ أَبُوهُ، اللَّهُمَّ إلَّا أَن يَكُونَ رَآهُ عِندَ عَلِيٍّ بِن الحُسَينِ عليهما السلام فَإن كَانَا صَادِقَينِ فَمَا عَلَامَةٌ فِي مِقبَضِهِ، وَمَا أَثَرٌ فِي مَوضِعِ مَضرَبِهِ، وإنَّ عِندِي لَسَيفُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله، وإنَّ عِندِي لَرَايَةُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله، ودِرعُهُ، ولَامَتُهَ، ومِغفَرُهُ، فَإن كَانَا صَادِقَينِ فَمَا عَلَامَةٌ فِي دِرعِ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله، وَإنَّ عِندِي لَرَايَةُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله المُغلَّبَة، وَإنَّ عِندِي أَلوَاحُ مُوسَى، وعَصَاهُ، وَإنَّ عِندِي لَخَاتَمُ سُلَيمَانُ بِن دَاود عليهما السلام، وإنَّ عِندِي الطَسْتُ الَّذِي كَانَ مُوسَى الَّذي يُقَرِّبُ بِه القُربَانُ، وَعِندِي الإسمُ الَّذِي كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله إذَا وَضَعَهُ بَينَ المُسلِمِينَ، والمُشرِكِينَ لَم يَصِلْ مِنَ المُشرِكِينَ إلَى المُسلِمِينَ نُشَابَةٌ.

الصالحية، البترية، السليمانية، الناصرية، الجارودية، الحريرية، الهادوية...)، وجميعها تتبنى فكرة الخروج على الحاكم الظالم، ينظر: الفهرست لابن النّديم: ٢٤٤، النهاية ونكتها، الشيخ الطوسي والمحقق الحلي، تحـ: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة: ٣/ ١٢٤، الملل والنّحل: ١/ ١٥٤-١٥٥، التنقيح الرائع لمختصر الشرائع: ٢/ ٣١٧.

وَإنَّ عِنـدِي لَمِثـلُ التَّابُـوتِ الَّـذِي جَـاءت بِـهِ المَلَائِكَـةُ، ومَثَـلُ السِّـلَاحِ فنَـا كمَثَـل التَّابُـوتِ فِي بَنِـي إسرَائيـلَ، كَانَـت بَنُـو إسرَائيـلَ فِي أَيِ أَهـلِ بَيـتٍ وُجِـدَ التَّابُـوت عَـلَى أَبوَابِهِـم أُوتُـوا النُّبـوَّة، وَمَـن صَـارَ إلَيـهِ السِّـلَاح مِنَّـا أُوتِي الإِمَامَـةَ، وَلَقـد لَبِـسَ أَبِي دِرعَ رَسُـولِ الله ﷺ فَخَطَّـت عَـلَى الأَرضِ خَطِيطَـاً، وَلَبِسـتُهَا أَنَـا فَكَانَـت، وكَانَـت، وَقَائمُنَـا مَـنْ إذَا لَبِسَـهَا مَلَأَهَـا إنْ شَـاءَ اللهُ)[1]، وروى الصفَّـار في بصائـر الدَّرجـات[2] عـن سـعيد مثلـه، وكـذا الطَّـبرسي في الاحتجـاج[3].

وروى في البصائـر عـن سُـليمان بـن خالـد عـن أبي عبـدالله عليه السلام مـا يُـؤدِّي مُـؤدَّاهُ، وفيـه[4] بالإسـنادِ عـن عبـدالله بـن سُـليمان[5] قـال: سَـمِعتُ أبـا جعفـر عليه السلام يقـولُ: (إنَّ السِّـلَاحَ فِينَـا كَمِثـلِ التَّابُـوتِ فِي بَنِـي إسرَائِيـلَ كَانَ حَيـثُ مَـا دَارَ التَّابُـوتُ فَثَـمَّ المُلـك، وَحَيـثُ مَـا دَارَ السِّـلَاحُ فَثَـمَّ العِلـم)[6].

---

(١) الكافي: ١/ ٢٣٢ ح ١، تفسير القمي: ٢/ ٨٨.

(٢) بصائر الدرجات: ١٩٤ ح ٢.

(٣) الاحتجاج: ٢/ ١٣٣.

(٤) بصائر الدرجات: ١٩٦ ح ٥.

(٥) عبـد اللهَّ بـن سـليمان النّخعـيّ، الكـوفي، مـن أصحـاب الصّـادق عليه السلام، ينظـر ترجمتـه: الرجـال، البرقـي: ٢٢، رجـال الطـوسي: ٢٦٤، جامـع الـرواة: ١/ ٤٨٦.

(٦) بصائر الدرجات: ٢٠٤ ح ٣٧.

وعن إبراهيم بن هاشم[1] عن أبي جعفر عليه السلام ما يقرُبُ منه[2].

وعن حمران[3]، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عمّا يتحدَّثُ النَّاس به: أنَّه دُفِعَت إلى أُمِّ سَلمَة[4] صَحيفةٌ مختومَةٌ؟ قال: (إنَّ رسُولُ الله صلى الله عليه وآله لَمَّا قُبِضَ وَرِثَ عَلِيٌّ عليه السلام سِلَاحَهُ، ومَا هُنَالِكَ، ثُمَّ صَارَ إلَى الحَسَنِ، والحُسَينِ عليهما السلام، فَلَمَّا خَشِيَا أَن يُفتَّشَا استَودَعَا أُمَّ سَلَمَة، ثُمَّ قُبِضَا بَعدَ ذَلِكَ.

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن هاشم بن الخليل، الكوفي أصلًا، والقمي مسكناً ومدفناً، هو أوّل من نشر حديث الكوفيين بقم، من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، صحيح، كثير الرواية، سديد النقل، مقبول الحديث، روى عنه أجلاء الطائفة وثقاتها، ينظر ترجمته: رجال النجاشي: ١٦، رجال الطوسي: ٣٥٣، الفهرست، الشيخ الطوسي: ٣٥، ٢٨٧.

(٢) تفسير القمي: ٢/ ٢٨٢.

(٣) ينظر ترجمته في القسم الأول.

(٤) أم سلمة: هند بنت أبي أميّة - وأبي أميّة: حذيفة، وقيل: سهيل - بن المغيرة بن عبد اللهّ بن عمرو بن مخزوم القرشيّة، زوج النبي صلى الله عليه وآله تزوجها بعد أبي سلمة بن عبد الأسد، وهي أفضل أزواجه بعد خديجة الكبرى، فاضلة عارفة جليلة كثيرة الرواية عظيمة القدر، هاجرت الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة، وفضائلها كثيرة معروفة، ومنها إيداع النّبيّ صلى الله عليه وآله، إيّاها تربة سيّد الشّهداء وإخباره لها بأنّها متى فاضت دما فاعلمي انّ الحسين عليه السلام قد قتل، روت عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وفاطمة الزّهراء عليها السلام، روى عنها ابناها: عمر وزينب، وسعيد بن المسيّب وأبو سلمة وغيرهم. توفيت بعد واقعة كربلاء سنة ٦١ ه، ينظر: الطبقات الكبرى: ٨/ ٨٦، الناصريات: ١١٣، الاستيعاب: ٤ / ٤٥٤، أسد الغابة: ٥/ ٥٦٠، سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٠١، موسوعة طبقات الفقهاء: ١/ ٢٤٩، مستدركات علم رجال الحديث: ٨/ ٥٥٤.

قلتُ: فصار إلى أَبِيكَ عَلِيُّ بن الحُسينِ عليهما السلام ثُمَّ انتهى إِلَيك، أَو صَار إِليك؟ قال: نَعَم)[1]، ورواه محمّد بن يعقوب رحمه الله عن حمران، بأدنى تغييرٍ في اللَّفظ[2].

وروى محمّد بن يعقوب عن احمد بن أبي عبدالله [3] عن أبي الحَسَنِ الرِّضا عليه السلام قال: (سألته عن ذي الفَقَارِ سَيفُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله مِن أينَ هوَ؟ قال: هَبَطَ بِهِ جَبرَئيل عليه السلام، وكَانَت حُليَتُهَ مِن فِضَّةٍ، وَهو عِندِي)[4].

وروى الصَّدوق رحمه الله في العلل [١٤٢: ظ] بالإسناد عن مُفضَّل الجُعفي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سَمِعتُه يقول: (أَتَدرِي مَا كَانَ قَمِيصُ يُوسُف؟ قال: قلت: لا، قال: إنَّ إبرَاهِيمَ لَمَّا أُوقِدَت لَهُ النَّار، أَتَاهُ جَبرَئيل عليه السلام بِثَوبٍ مِن ثِيَابِ الجَنَّةِ، وَأَلبَسَهُ إِيَاهُ، فَلَم يَضُرّهُ مَعَهُ رِيحٌ، ولَا بَردٌ، ولَا حَرٌّ، فَلَمَّا حَضَرَ إِبرَاهِيمُ المَوتَ جَعَلَهُ فِي تَمِيمَةٍ، وَعَلَّقَهُ عَلَى إسحَاق، وَعَلَّقَهُ إسحَاق عَلَى يَعقُوب، فَلَمَّا وُلِدَ لِيَعقُوبَ يُوسُف عَلَّقَهُ عَلَيهِ، فَكَانَ فِي عَضُدِهِ حَتَّى كَانَ مِن أَمرِهِ مَا كَان.

فَلَمَّا أَخرَجَ يُوسُف القَمِيصَ مِن التَّمِيمَةِ وَجَدَ يَعقُوبَ رِيحَهُ، وَهوَ قَولُه

---

(١) بصائر الدرجات: ١٩٧ ح ١٠.

(٢) الكافي: ١/ ٢٣٥ ح ٧.

(٣) أحمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن، البرقي، ثقة، له كتب كثيرة، ينظر ترجمته: رجال النجاشي: ٧٦، الفهرست، الشيخ الطوسي: ٦٢.

(٤) الكافي: ١/ ٢٣٤ ح ٥.

تعالى: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾[1]، فهو ذلك القميص الَّذي أُنزِلَ بِهِ مِنَ الجَنَّةِ، قلتُ: جُعِلتُ فِداكَ، فإلى مَن صارَ هذا القميص؟ قال: إلى أهلِهِ، وكُلُّ نَبِيٍّ وَرِثَ عِلماً، أو غيرُهُ فقد انتهى إلى مُحَمَّدٍ، وآلِه صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِم أجمَعِين)[2].

وروى في البصائر بالإسناد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: (قال أميرُ المُؤمنين عليه السلام حينَ قُتِلَ عُمر نَاشَدهم، فقال: نَشَدَّتكُم بِالله، هَل فِيكُم أَحَدٌ وَرِثَ سَلاحَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله، ودَوَابَّهُ، وخَاتَمَهُ غَيرِي؟ قالوا: لا)[3].

وروى محمّد بن يعقوب رحمه الله عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام أنَّه قال: (تَرَكَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله فِي المَتَاعِ سَيفاً، ودِرعاً، وعَنزَةً، ورَحلاً، وَبَغلَتُه الشَّهبَاءَ، فَوَرِثَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلِيٌّ بِن أَبي طَالِب عليه السلام)[4]، ورواه في البصائر عن أبي بصير عنه عليه السلام[5].

توضيحٌ: قيل المُراد بمولِد الإسلام في خَبرِ عبدالله بن جندب محلُّ ظُهورِ الإسلام، أي: مَن يظهرُ منهُ الإسلام، وقيل: المُراد مَن يُولَد على الإسلام.

والنَّجاةُ بفتح النُّون جمعَ ناجٍ، أمَّا مِنَ النَّجَاءِ ممدُوداً، بمعنى: الإسراع،

---

(١) من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ يوسف: ٩٤.

(٢) علل الشرائع: ١/ ٥٣ ح ٢.

(٣) بصائر الدرجات: ٢٠٢ ح ٢.

(٤) الكافي: ١/ ٢٣٤ ح ٣.

(٥) بصائر الدرجات: ٢٠٦ ح ٤٤.

والسِّبْق، ومنه: النَّاجية، والنَّجاة بالفتح أيضاً: للناقة السَّريعة، أي: نحنُ السَّابقون، أو مِنَ النَّجاة بمعنى الخَلاص، والنَّجاةُ أيضاً: المكان المُرتفع الَّذي لا يَعْلوه السَّيل[1].

والإفراطُ: جمعُ فرط بالتَّحريك، وهو الَّذي يتقدَّم القوم على الماء[2]، ومنه الحديث: (أَنَا فَرطُكُم عَلَى الحَوضِ)[3]، فالمعنى: نحنُ السَّابقونَ وردِاً على الحوضِ، أو الجنَّة، والمُرادُ بالألفاظِ الأولاد، وقد ورد في الدُّعاء للطّفل: اللَّهُمَّ اجعَلهُ لَنَا، ولِأَبَويَهِ فُرُطَاً، فالمعنى: نحنُ أولادُ الأنبياءِ، فيكونُ أنسبُ بما بَعدَهُ، والمعيبُ في خبر سعيد الأعرج النَّاسِب إلى العيبِ، يُقال: عيبه، أي: نسبهُ إلى العيبِ، وحرفُ الجرِّ، أمَّا زائدةٌ، أو في اللَّفظِ نوعٌ مِنَ التَّضمُّين، وفي بعضِ نُسخِ الكافي: المُتعقِّب على أمير المؤمنين عليه السلام أمَّا مِن قولك: تعقَّبتُ عن الخبرِ، إذا شككتُ فيه، وعُدتُ للسُّؤالِ عنه، فيكونُ على بمعنى عن، او مِن قولك: تعقبتُ فلاناً، إذا طلبتُ عثرته، وحرفُ الجرِّ كما سَبقَ.

والعَصَا، والمِيسَم - على ما يُفهمُ مِن بعضِ الأخبارِ - عصا مُوسى، وخاتَمُ سُليمان، يكونان مع دابَّة الأرضِ، فتُجلي وجهَ المُؤمن بالعصى، وتُخطِّمُ أنفَ

---

(١) ينظر: مجمع البحرين، مادة (نجا)، تاج العروس، مادة (نجو).

(٢) ينظر: كتاب العين، مادة (فرط).

(٣) مسند ابن المبارك، عبد الله بن المبارك، تحـ: مصطفى عثمان محمد: ١٠٦، التاريخ الصغير، البخاري، تحـ: محمود إبراهيم زايد: ١/ ١٩٦، علل الدارقطني، الدارقطني، تحـ: محفوظ الرحمن زين الله السلفي: ٥/ ٩٥، الأمالي، الشيخ الطوسي: ٢٦٩ ح ٥٠٠، مسند أحمد بن حنبل: ١/ ٢٥٧.

الكافرِ بالخَاتَم، أي: تَسِمُهُ بها، مِن خطمتُ البعير إذا كَوَيْتَهُ، خطماً مِن الأنف إلى أحد خدَّيه، وتُسمَّى تلك السِّمَةُ الخطَامِ[1]، والمِيسَمُ، بكسر الميم: المُكواة[2].

وروى محمّد بن يعقوب في حديثٍ طويلٍ عن أبي جعفر عليه السلام أنَّه قال: (قَالَ أَمِيرُ المُؤمِنينَ عليه السلام أَنَا صَاحِبُ العَصَا، والمِيسَم، وَالدَّابَّةُ الَّتِي تُكَلِّمُ النَّاسَ)[3].

وقيل: المُرادُ بكونه صاحِبُ العصَا، والميسَم: أنَّه الرَّاعي، والخلق رعيّته، فإنَّ الرَّاعي للغنَم يكونُ له عصاً، ومِيسَم.

والحَمُولَة، بفتح الحاء: ما يُحمَلُ عليه مِن إبلٍ، وغيره، ولا واحِدَ لها مِن لفظها، كالرَّكوبة[4]، والمعنى: حمَّلني اللهُ على ما حَمَلَ عليهِ رسُولُ صلى الله عليه وآله، وجعلَ مَنزِلَتي كَمَنزِلَته، كما يدلُّ عليه ما بعده.

وفتحُ السَّبلِ، في رُواية المُفضَّل عِبارَةٌ عن العِلم بالمُعضِلاتِ، وعن القُدرةِ [١٤٣: و] على ما عَجِزَ عنه النَّاس بالاسم الأعظم، وغيره، والثِّمادُ في خبر عليِّ بن النُّعمان بالثاء المُثلَّثة، والدَّال المُهملَة، على وزن كِتابٍ: الماءُ القليلُ، لا مادَّة له، أو ما يظهرُ في الشِّتاء، ويَذهبُ في الصَّيف[5]، أي: يذهبونَ إلى الماءِ الَّذي لا يَروي الغَليل، ويَتركُونَ النَّهر العظيم، وفي بعضِ النُّسخِ: يَمصُّونَ

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٥٠.

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (وسم).

(٣) الكافي: ١/ ١٩٨ ح ٣.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (حمل).

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (ثمد).

الثّمادِ[1]، بدون حرف الجرِّ، مِنَ المصِّ، بالصَّادِ المُهملَةِ المُشَدَّدةِ، وهو: الشُّربُ الرَّقيق[2].

وبُرَيْهَة [3] في خبر هشام بن الحكم بضمِّ الباء المُوحدة، وفتحُ الرَّاءِ، وسُكون الياء المُثنَّاةِ مِن تحت، وفتحُ الهاءِ، وبعدها التَّاء، عَلَم، رجلٌ كان نصرانيَّاً، وفي بعضِ النُّسخِ: بُريَة، وضبطَهُ بعضهُم بضمِّ المُوحدة، وسُكون الرَّاء، وفتح المُثنَّاة مِن تحت، ويُحتملُ أن يكون بفتحِ الرَّاء، وسُكون المُثنَّاة مِن تحت، مُصغَّر إبراهيم.

والوسَادَةُ في رواية الثُّمالي: المِخدَّة، أو هي المُتكأ[4]، وقال الثَّعالبيُّ [5] في سرِّ الأدب[6]: الوسادَةُ، اسمٌ جَامِعٌ لِلمِخَدَّةِ، والمّسْنَد، والنَّمرقة، وغيرها،

---

(١) ينظر: الكافي: ١/ ٢٢٢ ح٦، مناقب ابي طالب: ١/ ٣١٧.

(٢) ينظر: تاج العروس، مادة (مصص).

(٣) ينظر ترجمته في سابقا

(٤) ينظر: مجمع البحرين، مادة (وسد).

(٥) أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي: من أئمة اللغة، والأدب. من أهل نيسابور، ولد سنة ٣٥٠ ه، كان فراءً يخيط جلود الثعالب، فنسب إلى صناعته، واشتغل بالأدب والتاريخ، فنبغ، وصنف الكثير من الكتب، من كتبه: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أجناس التنجيس، الأحاسن من بدائع البلغاء، أحسن ما سمعت، الأدب مما للناس فيه من أرب، إعجاز الإيجاز، غرر أخبار ملوك فارس، وتوفي سنة ٤٢٩ ينظر ترجمته: الاعلام: ٤/ ١٦٣، الوافي بالوفيات: ١٩/ ١٣٠، البداية والنهاية: ١٢/ ٥٥، معجم المؤلفين: ٦/ ١٨٩.

(٦) المقصود به: سر الادب في مجازي لام العرب، ولم استطع ان اظفر بمادة هذا المؤَلف

وثُنِيَتْ: أمَّا بالتَّخفيف مِن "ثَنَيتُ"[1] إذا عطفته، ورددتُ بعضه على بعضٍ، أو بالتَّشديدِ مِن ثنّيتُه، أي: جعلتُه اثنين، والمعنى: لو كُسِرَت لي الوسادة، وجُعِلَت لفتينِ لِتكون أمكن الجلوس، أو للإتكاء عليها.

وفي بعضِ الرِّوايات: (لَو كُسِرَت لِيَ الوُسَادَةِ، فَجَلَستُ عَلَيهَا)[2] فيكونُ المُراد: ما يُجلسُ عليها مِن دونِ المُتكأ، ويُحتملُ أن يكون المُراد على أن تكون الكلمة مُشدَّدة: ولو طُرِحَت وسَادَتانِ أحدها فوقَ الأُخرى، ولعلَّه يُفعلُ ذلك للحاكم على القومِ، والمَالِكِ لأمورهم، وهو أظهرُ مِن لفظِ التَّثنيَةِ، لكن لا يُناسِبُ تنكير الوسادة، كما في بَعْضِ الروّايات.

وَيُزهِرُ إلَى الله أن يَبتَهِجَ مُتَوجِهَاً إلَى الله، مِن زَهُرَت النَّار، أي: أضَاءت، أو مِنَ الزُّهرَةِ، بالضمِ، بمعنى: البياضُ، والحُسن، يُقالُ: منه زَهر كفرح،

الا ما ذكر في مجلة تراثنا عن الكتب المطبوعة في ايران انه طبع في ايران بطهران سنة ١٢٦٧ هـ، طبعة حجرية، ينظر: مجلة تراثنا: ٣٢/ ١٨٥.

(١) في نسخة (ب): ثنيت الشيء.

(٢) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، تحـ: السيد محمد الحسيني الجلالي:٢ / ٣١١، تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين، المحسن إبن كرامة، تحـ: السيد تحسين آل شبيب الموسوي: ٣٠، المواقف: ٣/ ٦٢٧، النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة، ابن ميثم البحراني: ١٥٣، عوالي اللئالي: ٤/ ١٢٨، وفيه: عنه عليه السلام: (الله لو كسرت لي الوسادة فجلست عليها، لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينطق كل كتاب بأنك قد حكمت بما انزل الله في).

وكـرم، ويُقـالُ: زَهُـرَ القَمـر، والوَجـهُ، كمنَـع، أي: تـلألأ[1].

والمَغلَبـةُ في روايـة سـعيد السَّـمان [2] أمَّـا بالتَّشـديد عـلى صيغـة المفعـول مِـن قولهـم: غلَّبتـه أنـا عليـه تغليبـاً، ومنـه المُغلَّـب للشـاعر المُحكـومِ لـهُ بالغَلَبَـةِ عـلى قرنـه[3]، كأنَّ الرَّايـة جعلهـا اللهُ غالِبَـةً عـلى الخَصـمِ، وحَكَـمَ لهـا بالغَلَبَـةِ، أو عـلى صيغـة الفاعـل، فكأنَّ الرَّايـة تُجعـلُ مِـن تحتهـا غالبـاً عـلى العـدوِّ، وأمَّـا بالتَّخفيفِ، وكسر الميـم، عـلى صيغـةِ اسـم الآلـة، والتَّميمـةُ في روايـة المُفضَّـل: عُـوذَةٌ تُعلَّـقُ عـلى الإنسـان[4].

تـمَّ الجـزء الأول مِـن كتـابِ حدائـق الحقائـق في شرح كلـمات كلام اللهِ النَّاطِـق، عـلى يـد مُؤلِّفـه الفقـير، المُحتـاجِ إلى رحمـة ربِّـه، عـلاء الدِّيـن محمَّـد بـن أبي تُـراب كلسـتانه، عفـى اللهُ عنهـما، وتجـاوَزَ عـن زلَّاتهـما، بمُحمَّـدٍ، وعـلى آلهـما الأطيبـين، صَلَـواتُ اللهِ عليهـم أجمعـين، سـنة أربـعٍ، وسـبعين بعـد الألـف مِـن الهِجـرَةِ المُقدَّسـةِ.

ويتلـوه الجـزء الثـاني في شرحِ الخُطبـةِ المشـهورة بالشُّقشـقيَّة، ومِـنَ اللهِ اسـتمدُ المعونـة في الافتتـاح، والاختتـام، إنَّـه وليُّ الفضـلِ والإنعـام.

قـد تشَّرفـتُ بكتابتـه، وَوُفِقـتُ لإتمامـه، في يـوم السَّـبت، السَّـادس، والعشرين

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (زهر).

(٢) ينظر ترجمته في صفحة: ٤٩٢.

(٣) ينظر: الصحاح، مادة (غلب).

(٤) ينظر: المصدر نفسه، مادة (تمم).

مِن شهرِ الصِّيامِ، مِن شُهور سنة إحدى وثمانين بعد ألف، وأنا المفتاق[1] الى رحمة الله المَلكِ الغَنيِّ ابن رفيع الدِّين محمّد نور الدِّين محمَد، غفرَ اللهُ لهما سوالف الزلَّات، وَرزقهما مِن فضله العظيم عوالي الدَّرجات بالنَّبيِّ وآله.

(١) المفتاق: المحتاج، لسان العرب، مادة (فتق).

المحتويات

مِنْها في صِفَةِ خَلْقِ آدم عليه السلام ٥
الكلام في السجود لآدم عليه السلام ٢٦
الكلام في جنّة آدم عليه السلام ٧٢
الكلام في الشجرة المنهيّة ٨٢
عصمة الأنبياء عليهم السلام ٩٠
تنزيه آدم عليه السلام ١٠٣
تنزيه بعض الأنبياء عليهم السلام ١٢٩
الوجه في اعتراف المعصوم بالذنب ١٤٠
توبة آدم عليه السلام، وكلمتها ١٤٧
مهبط آدم عليه السلام ١٥٧
أخذ الميثاق لنبيّنا صلى الله عليه وآله ١٨٠
مولده صلى الله عليه وآله ١٨٩
تفصيل ملل اهل الجاهليّة ٢٠٢
الكلام في الكبائر ٢٢٩
اعداد الكبائر ٢٤٥
وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام بَعْدَ انْصِرافِهِ مِنْ صِفّينَ ٢٨٥
وَمِنْها: وَيَعْني آلَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله ٣٠٥
وَمِنْها: فِي الْمُنافِقينَ ٣٠٧
بعض فضائل أهل البيت عليهم السلام ٣١٦